جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

قسم/ الدراسات القرآنية والفقه

المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في بناء المجتمع دراسة موضوعية

اطروحة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء وهي

جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة الشريعة والعلوم الإسلامية

كُتبت مِنْ قِبل الطالب

حيدر نجم عبود كاظم

بإشراف

أ.د حميد جاسم عبود الغرابي

أ.م.د حسن محمد كاظم الجُذيلي

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ العلي العَظِيمُ

(سورة الصافات، الآية: ٢٤)

ترشيح الأطروحة للطبع

نظراً لإنجاز الأطروحة (فصولها ومباحثها) الموسومة بـ (**المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها بناء المجتمع-دراسة موضوعية**) لطالب الدكتوراه (**حيدر نجم عبود كاظم**) فأني أرشحها للطبع .

التوقيع:

المشرف : ا.د حكيم جاسم عبود الغزالي

مكان العمل: جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

التاريخ: ٢ / ٢ /٢٠٢٥

التوقيع:

المشرف : حسن محمد كاظم

مكان العمل: جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية

التاريخ: ٢ / ٢ /٢٠٢٥

إقرار المشرف

أشهد أنَّ الأطروحة الموسومة بـ **(المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها بناء المجتمع دراسة موضوعية)** التي قُدمتْ من قبل الطالب **(حيدر نجم عبود كاظم)** وقد تم إعدادها بإشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه ؛ فلسفة في الشريعة والعلوم الإسلامية.

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ دكتور

الإسم: حميد جاسم عبود الغرابي

مكان العمل: جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠٢٥/٧/٢٨

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ مساعد

الإسم: حسن محمد كاظم

مكان العمل: جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٠٢٥/٧/٢٨

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع :

الاسم: أ.م.د. عمار محمد حسين الأنصاري

التاريخ: ٢٠٢٥/٧/٢٥

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالب/ـــه ( ) الموسومة

بـ (المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في بناء المجتمع- دراسة موضوعية) وقومتها لغوياً وأجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : أستاذ دكتور

الاسم : حازم فاضل محمد

مكان العمل : جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية

التاريخ: ٨/ ٤/ ٢٠٢٥

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أنّنا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ **(المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في بناء المجتمع – دراسة موضوعية)** وناقشنا الطالب **(حيدر نجم عبود كاظم)** في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل شهادة الدكتوراه ؛ فلسفة في الشريعة والعلوم الإسلامية.

أ.د. حسن كاظم اسد

جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية

عضواً

أ.د. صلاح كريم كاظم

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

رئيساً

أ.د. ضياء عزيز محمد

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً

أ.م.د. أمل كاظم زوير

جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات

عضواً

أ.م.د. محمد ناظم محمد

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً

أ.د. حميد جاسم عبود

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً ومشرفاً

أ.م.د. حسن محمد كاظم

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

عضواً ومشرفاً

التوقيع:

الاسم: أ.د. محمد حسين الطائي

العميد

التاريخ: ٢/٧/٢٠٢٠

صُدِقتْ في جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

الإهداء

إلـى ... الرحمـة المهـداة للعـالمين، مدينـة العلـم وسـيد الخلـق اجمعـين ومخـرج النـاس من الظلمات إلى النور بإذن ربه ... خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى ﷺ

وعترتـه الهاديـة المهديـة عليهم السلام وقطـب الرحـى وكـوثر الوجـود السـيدة الطـاهرة فاطمـة الزهـراء عليها السلام ومنقـذ البشـرية ومؤسـس دولـة العـدل الإلهـي الإمـام المهـدي المنتظـر عجـل الله فرجه الشريف

وإلى ... اللذين ربياني صغيراً (أمي وأبي) ، إذ أغدقا عليَّ حباً وحناناً

ومن شاركتني كثيراً في معاناتي وكانت داعمة دائمة لي ... زوجتي الوفية

إلى ... أخي الشهيد وجميع اخوته الشهداء

عرفانًا ووفاءً ... أُهدي لهم هذا الجهد اليسير

شكر وعرفان

قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿**هل جزاء الاحسان الا الاحسان**﴾[1]،هكذا أدَّبَنا ربُّنا في كتابهِ المجيد، وبخلقِ نبيه الكريم الذي قال: ((من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله))[2] ،فلا يسعني الا أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لِكُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ الأثر الطيب في اخراج هذا الجهد المتواضع وأخص بالذكر الدكتور محمد حسين الطائي، والدكتور حميد الغرابي، والدكتور حسن الجّذيلي، وكذلك الشكر موصول للدكتور ضرغام الموسوي، والدكتور عمار محمد حسين، والدكتور محمد ناظم، والدكتورة ناهدة عبد الجليل، والدكتورة إقبال محمد علي، والدكتور علي جواد وتوت، والدكتور مزهر الخفاجي وجميعُ أساتذتي الكرام.

والشكر موصول أيضًا الى المفكر الإسلامي الكبير سماحة السيد هادي المدرسي (دام عزه)، وسماحة الشيخ فاضل الصفار (دام توفيقه) والسيد مرتضى المدرسي، والسيد سجاد المدرسي، والشيخ الدكتور إبراهيم الأشتر لمساعدتي الكبيرة في موضوعات الأطروحة وأهم المصادر العلمية التي استعنت بها في البحث، كما أشكر جميع أساتذتي في المرحلة التحضيرية

والحمد لله رب العالمين

---

(1) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(2) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ٢٤/٢.

الخلاصة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المصطفى (ص) الرحمة المهداة ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، مصابيح الهدى وسفن النجاة ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فإن هذه الاطروحة الموسومة ب((المسؤولية الاجتماعية في القران الكريم وأثرها في بناء المجتمع – دراسة موضوعية)، تتناول موضوعاً بالغ الاهمية في البناء القيمي والمعرفي للمجتمع ، لما تمثله المسؤولية الاجتماعية من محور أساس في تنظيم علاقة الفرد بالجماعة ، وضمان التكافل والاستقرار في ضوء هدي القران الكريم.

وقد سعى الباحث في هذه الدراسة الى تحليل مفهوم المسؤولية الاجتماعية كما ورد في القرآن الكريم، من حيث الاسس والمبادئ والابعاد ، مع بيان التمايز بينها وبين المسؤولية الفردية، وكيفية التفاعل بينهما في اطار قراني متكامل. وتطرقت الاطروحة الى بيان الضوابط العقدية والفقهية والاخلاقية التي تحكم اداء المسؤولية، كما تناولت مناشئها الفطرية والعقلية والدينية، واركانها وشروطها التي تضمن تحققها وفاعليتها في الواقع الاجتماعي.

وانتهى الباحث الى ان القران الكريم قد رسم صورة متكاملة للمسؤولية الاجتماعية، ترتكز على الايمان، والعدل ، والاحسان ، والتكافل، وتنعكس آثارها في بناء مجتمع متماسك، متراحم، يحفظ القيم ويصون الانسان. كما ابرزت الدراسة نماذج قرانية – ايجابية وسلبية– توضح اثر الالتزام او التفريط في المسؤولية على واقع المجتمعات.

وبهذا تسهم هذه الاطروحة في تقديم رؤية قرانية اصلية لمعالجة قضايا المجتمع المعاصر، من خلال استلهام المفاهيم الالهية في بناء الانسان وعلاقاته، وتعزيز روح المسؤولية في ضوء الهدي الرباني.

قائمة المحتويات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	١
المبحث التمهيدي: تعريف المسؤولية الاجتماعية ومسارها التاريخي	١٢
المطلب الأول: تعريف المسؤولية الاجتماعية وفرقها عن الفردية	١٢
المطلب الثاني: المسؤولية الاجتماعية في الفكر القديم	٢٧
المطلب الثالث: المسؤولية الاجتماعية في الفكر الحديث	٣٦
الفصل الأول: التمييز بين المسؤولية الاجتماعية والفردية في القرآن الكريم وأبعادها وضوابطها	٤٠
المبحث الأول: التمييز بين المسؤولية الاجتماعية والفردية في القرآن الكريم	٤٢
المطلب الأول: مفهوم المسؤوليتين في ضوء القرآن الكريم	٤٢
المطلب الثاني: التمييز بين المسؤولية الفردية والاجتماعية	٤٤
المطلب الثالث: التفاعل بين المسؤولية الفردية والاجتماعية	٤٧
المبحث الثاني: أبعاد المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم	٤٩
المطلب الأول: البعد الروحي	٤٩
المطلب الثاني: البعد الأخلاقي	٦٣

المطلب الثالث: البعد العالمي	٦٨
المبحث الثالث: ضوابط المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم	٧٤
المطلب الأول: الضوابط العقدية	٧٥
المطلب الثاني: الضوابط الفقهية	٩٢
المطلب الثالث: الضوابط الأخلاقية	١٠١
الفصل الثاني: مناشئ المسؤولية الاجتماعية وأركانها وشروطها	١١٢
المبحث الأول: مناشئ المسؤولية الاجتماعية	١١٤
المطلب الأول: العقل	١١٤
المطلب الثاني: الفطرة	١١٩
المطلب الثالث: الدين	١٢٢
المبحث الثاني: أركان المسؤولية الاجتماعية	١٣٢
المطلب الأول: السائل	١٣٢
المطلب الثاني: المسؤول	١٣٦
المطلب الثالث: المسؤول عنه	١٤٠
المبحث الثالث: شروط المسؤولية الاجتماعية	١٥٨
المطلب الأول: شروط تحققها	١٥٨
المطلب الثاني: شروط تفعيلها	١٦٣

المطلب الثالث: شروط نجاحها	**١٦٨**
الفصل الثالث: أثر المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم في بناء المجتمع	**١٧٣**
المبحث الأول: نماذج إيجابية من المسؤولية الاجتماعية	**١٧٥**
المطلب الأول: قوم مدين	**١٧٥**
المطلب الثاني: قوم يونس وأصحاب الكهف	**١٧٩**
المطلب الثالث: المهاجرون والأنصار	**١٨٢**
المبحث الثاني: نماذج سلبية من المسؤولية الاجتماعية	**١٨٦**
المطلب الأول: قوم نوح	**١٨٦**
المطلب الثاني: أصحاب الرس	**١٨٩**
المطلب الثالث: بني إسرائيل	**١٩٠**
المبحث الثالث: أثر المسؤولية الاجتماعية في بناء المجتمع	**١٩٧**
المطلب الأول: دورها في تحقيق التماسك الاجتماعي	**١٩٧**
المطلب الثاني: دورها في تقليل الفوارق الاجتماعية	**٢٠٢**
المطلب الثالث: دورها في الحفاظ على القيم	**٢٠٦**
الخاتمة وأهم النتائج	**٢١٢**
المصادر والمراجع	**٢١٥**
ملخص إنكليزي	**٢٤٥**

مقدِّمة...

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين وصلِ اللّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين، وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَى أَحْسَنِ الأَعْمَالِ، الحمدُ لله الذي جعلنا من أمة الإسلام الحنيف، ومن اتباع نبيه الأمين ﷺ ورزقنا الولاية لأهل بيته عليهم السلام الطيبين الطاهرين، الذين كانوا خير مصداق لتجسيد المسؤولية على أرض الواقع، فكانوا نموذجًا يُحتذى به في تحمّل المسؤولية تجاه المجتمع والأمة بأكملها.

تُعد المسؤولية الاجتماعية أحد الأركان الأساس التي يقوم عليها البناء الحضاري للأمم، إذ تُعبر عن التزام الأفراد والجماعات تجاه مجتمعاتهم، بما يحقق التوازن بين الحقوق والواجبات، ويضمن تكافلًا اجتماعيًا يرسّخ قيم العدل والإحسان والتعاون، وقد أولى القرآن الكريم هذا المفهوم أهميةً بالغة، إذ احتوى على العديد من الآيات التي تدعو إلى تحمل المسؤولية في مختلف مناحي الحياة، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، مما يدل على دورها الجوهري في تحقيق الاستقرار والتنمية المجتمعية.

وانطلاقًا من هذه الأهمية، جاءت هذه الأطروحة بعنوان (المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في بناء المجتمع: دراسة موضوعية)، سعيًا إلى استنباط معالم هذا المفهوم من النصوص القرآنية، وبيان أسسه ومصادره، فضلًا عن استكشاف تأثيره في بناء المجتمعات واستقرارها.

أمّا من حيث المنهجية فقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الموضوعي في تفسير القرآن الكريم، إذ تم استقراء الآيات المتعلقة بالمسؤولية الاجتماعية، وتحليل مضامينها

وفق رؤية علمية منهجية. وقد جاءت الأطروحة موزعةً على تمهيد وثلاثة فصول، وهي:

المبحث التمهيدي: تعريف المسؤولية الاجتماعية وبيان مسارها التاريخي في الحضارات القديمة والحديثة.

الفصل الأول: تناول مفهوم المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم، إذ تم تعريف المصطلح، وبيان أبعاده وأهميته، مع تحليل الآيات القرآنية التي تناولت هذا المفهوم بأساليب متعددة.

الفصل الثاني: بحث في مناشئ المسؤولية الاجتماعية، إذ تم التطرق إلى مصادرها وأسسها التي تعتمد على العقيدة، والفطرة الإنسانية، والتشريعات الإلهية، فضلًا عن المسؤولية المترتبة على التكليف الشرعي والتوجيهات الأخلاقية في القرآن.

الفصل الثالث: ركّز على أثر المسؤولية الاجتماعية في بناء المجتمع، موضحًا دورها في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وترسيخ مبادئ التعاون والتكافل، وتعزيز الهوية الجماعية للأمة، مع الاستشهاد بنماذج قرآنية وتاريخية تبيّن تجلّي هذا الأثر في المجتمعات الإسلامية.

وفي الختام، تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الأبعاد القرآنية للمسؤولية الاجتماعية، وتقديم رؤية متكاملة حول أثرها في بناء مجتمع متماسك وقادر على مواجهة التحديات، مستندًا إلى القيم الإلهية والتعاليم القرآنية التي جعلت من المسؤولية الاجتماعية ركيزةً أساسيةً في نهضة الأمم.

موضوع البحث: يتناول هذا البحث مفهوم "المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في بناء المجتمع" من خلال دراسة موضوعية تحليلية، أذ يُعنى بتوضيح الأبعاد المختلفة للمسؤولية الاجتماعية كما وردت في النصوص القرآنية، وتأثيرها في تشكيل

مجتمع متماسك قائم على العدل والتكافل والتعاون، كما يسعى البحث إلى استكشاف الأسس التي يضعها القرآن الكريم لضمان تحقيق هذه المسؤولية في واقع الحياة الاجتماعية.

مشكلة البحث:

وجود فجوة معرفية أو نقص في الفهم التطبيقي والتأصيلي لمفهوم المسؤولية الاجتماعية كما ورد في القرآن الكريم، وكذلك في مدى تأثير هذا المفهوم في بناء مجتمع متماسك قائم على أسس العدالة والتكافل والتعاون، وعلى الرغم من تعدد الدراسات حول المسؤولية الاجتماعية في الفكر المعاصر، إلا أن هناك قصورًا في تناول هذا المفهوم من منظور قرآني شامل، يربط بين الآيات الكريمة والمبادئ الاجتماعية، ويُبيِّن أثرها الفعلي في بناء الفرد والمجتمع، ويمكن تلخيص مشكلة البحث في النقاط الآتية:

١- غياب التأصيل القرآني المتكامل لمفهوم المسؤولية الاجتماعية في الدراسات المعاصرة.

٢- نقص الربط بين النصوص القرآنية والبناء الاجتماعي الواقعي في المجتمع المسلم.

٣- عدم وضوح مدى تأثير تطبيق مبادئ المسؤولية الاجتماعية القرآنية في بناء المجتمع وتماسكه.

أهمية البحث: تبرز أهمية هذا البحث من عدة جوانب:

الجانب الديني: يعدّ القرآن الكريم المصدر الأساس للتشريع في الإسلام، ولذلك فإن دراسة المسؤولية الاجتماعية في ضوءه تساهم في فهم الأوامر والنواهي المتعلقة بهذه القضية الجوهرية.

الجانب الاجتماعي: يواجه المجتمع المعاصر تحديات كبيرة في تحقيق التماسك الاجتماعي، مما يجعل من الضروري العودة إلى المبادئ القرآنية التي تضمن العدالة الاجتماعية وتحقق الاستقرار المجتمعي.

الجانب الأكاديمي: يضيف البحث إلى الدراسات الإسلامية والاجتماعية بُعدًا جديدًا عبر تحليل النصوص القرآنية ذات الصلة، وتقديم رؤية شاملة للمسؤولية الاجتماعية وأثرها.

الجانب التطبيقي: يساعد البحث في وضع أطر عملية يمكن تطبيقها في السياسات الاجتماعية لتعزيز القيم الإسلامية في المجتمعات الحديثة.

أهداف البحث: تتلخص أهداف البحث في النقاط الآتية:

١- بيان مفهوم المسؤولية الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم من خلال تتبّع الآيات ذات الصلة وتحليلها تحليلاً موضوعيًا.

٢- استخلاص القيم والمبادئ القرآنية التي تُؤسِّس لفكرة المسؤولية الاجتماعية وتوجيه سلوك الفرد تجاه المجتمع.

٣- تحليل صور وتجليات المسؤولية الاجتماعية كما وردت في القرآن الكريم، مثل: رعاية اليتيم، إغاثة المحتاج، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، التعاون، والعدل.

٤- توضيح أثر المسؤولية الاجتماعية في بناء المجتمع الصالح والمتماسك كما ترسمه الرؤية القرآنية.

٥- الكشف عن العلاقة بين التوجيه القرآني في مجال المسؤولية الاجتماعية وبين معالجة مشكلات اجتماعية معاصرة، مثل: التفكك الأسري، الفقر، الإهمال، الأنانية، وغيرها.

٦- تقديم تصور إسلامي مستند إلى القرآن الكريم يمكن الاستفادة منه في بناء مجتمع قائم على التعاون والتكافل والمسؤولية.

أسئلة البحث: يسعى البحث إلى الإجابة على الأسئلة الآتية:

١- ما هو مفهوم المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم؟

٢- ما هي الآليات التي يطرحها القرآن الكريم لتحقيق هذه المسؤولية في المجتمع؟

٣- كيف تؤثر المسؤولية الاجتماعية، كما وردت في القرآن الكريم، على بناء مجتمع متماسك؟

٤- ما النماذج القرآنية التي تجسد المسؤولية الاجتماعية في سياقاتها المختلفة؟

٥- ما العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي وفق المنظور القرآني؟

٦- كيف يمكن استثمار القيم القرآنية المتعلقة بالمسؤولية الاجتماعية في بناء مجتمع حديث ومستقر؟

منهجية البحث: يعتمد البحث على المنهج الموضوعي والتحليلي، وذلك من خلال:

المنهج الاستقرائي: جمع وتتبع جميع الآيات القرآنية المتعلقة بالمسؤولية الاجتماعية، والمنهج الموضوعي: دراسة المفهوم من خلال تتبع ورصد المواضع التي وردت فيها

المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وتصنيفها وفق محاور محددة، وكان لا بد من الاستعانة أيضًا بالمنهج التحليلي لتحليل دلالات النصوص القرآنية للوصول إلى المعاني العميقة المتعلقة بالمسؤولية الاجتماعية.

الدراسات السابقة:

- المسؤولية الاجتماعية من المنظور التربوي الإسلامي

المؤلف : د. عبد الله محمد القرشي

الجامعة : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التخصص: التربية الإسلامية/ دكتوراه.

السنة: غير محددة بدقة، ولكن الدراسة متوفرة عبر موقع الجامعة.

تركز هذه الدراسة على مفهوم المسؤولية الاجتماعية من منظور تربوي عام، مستندة إلى مبادئ الإسلام، وتتناول دور التربية في غرس المسؤولية لدى الأفراد، وتُبرز أثر المؤسسات التعليمية والأسرة في تنمية هذا الجانب، كما تعتمد على المقاربة الأخلاقية والسلوكية للنصوص الشرعية دون التوقف عند نصوص القرآن الكريم فقط، وهي تفترق عن الأطروحة المكتوبة بعمومها واطلاقها وعدم تقيدها، بينما كانت أطروحة الباحث أكثر تخصصًا في القرآن الكريم كمصدر أساس للمسؤولية الاجتماعية، من خلال دراسة موضوعية تحليلية للآيات، بينما دراسة القرشي تعتمد المقاربة التربوية العامة، وتتناول المسؤولية من زاوية سلوكية ومجتمعية أوسع دون تخصيص التركيز على القرآن الكريم.

٢- المسؤولية الفردية في القرآن الكريم دراسة موضوعية

المؤلف: الطالب: حاني عبد العزيز والطالب: بوعزيز أحمد

الجامعة: جامعة أحمد دراية في الجزائر

التخصص: كلية العلوم الإسلامية

السنة: ٢٠٢١م، ماجستير

تتناول رسالة الماجستير الموسومة بـ "المسؤولية الفردية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية" بيان مفهوم المسؤولية الفردية كما ورد في القرآن الكريم، وتركز على محاسبة الإنسان عن أفعاله الفردية، وارتباط المسؤولية بالحرية، والنية، والجزاء، والمحاسبة الذاتية، دون التوسع في الجوانب الاجتماعية أو المجتمعية وقد اعتمدت المنهج الموضوعي في استقراء الآيات المتعلقة بتكليف الإنسان ومسؤوليته الشخصية أمام الله، بينما ركزت أطروحة الباحث في المسؤولية الاجتماعية، أي التزام الفرد تجاه المجتمع، وتُبرز دور هذه المسؤولية في بناء المجتمع وإصلاحه.

٣- المسؤولية الاجتماعية في الفكر الإسلامي وآفاق تفعيلها في عصر العولمة"

المؤلف : منال محمد حمدي

الجامعة :جامعة الأزهر – كلية الدراسات الإنسانية

التخصص :الدراسات الإسلامية

السنة :غير متوفر.

أولًا: تناولت هذه الدراسة مفهوم المسؤولية الاجتماعية في إطار الفكر الإسلامي الشامل، معتمدة على مصادر متعددة كالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال العلماء، بهدف بيان الأسس

العامة للمسؤولية في الإسلام. كما ركزت على كيفية تفعيل هذا المفهوم في العصر الحديث، خاصة في ظل تحديات العولمة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، مقدمةً رؤية إصلاحية لمواءمة القيم الإسلامية مع متغيرات الواقع العالمي.

ثانيًا: مميزات أطروحة الباحث بـ

"المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في بناء المجتمع – دراسة موضوعية"

١- تخصص المصدر: اعتمدت الأطروحة على القرآن الكريم وحده كمصدر أساس، دون تشتيت بين مصادر متفرقة.

٢- المنهج التحليلي الموضوعي: تم توظيف المنهج الموضوعي في تحليل الآيات القرآنية ذات الطابع الاجتماعي، مع ربطها بالواقع.

٣- التركيز على البناء المجتمعي: لم تكتف الأطروحة بتحديد المفهوم، بل ركزت على أثر المسؤولية الاجتماعية في بناء وتماسك ونهضة المجتمع.

٤- أصالة الطرح: قدّمت الأطروحة معالجة علمية عميقة داخل الإطار القرآني فقط، مما يمنحها تميزًا في التخصص والدقة مقارنة بالدراسات ذات الطابع الفكري العام.

٤- المسؤولية الاجتماعية والتنمية المستدامة من المنظور الإسلامي

المؤلف: حسين علي حسين

الجامعة :جامعة بغداد – كلية الآداب

التخصص :علم الاجتماع الديني

السنة.2017 : ماجستير.

تناولت رسالة الماجستير الموسومة بـ "المسؤولية الاجتماعية والتنمية المستدامة من المنظور الإسلامي" للطالب حسين علي حسين من جامعة بغداد، العلاقة بين المسؤولية الاجتماعية ومفاهيم التنمية المستدامة في الإسلام، مع الاعتماد على مصادر متنوعة من القرآن والسنة وأقوال الفقهاء، وركزت على أثر القيم الإسلامية في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في المجتمعات المعاصرة.

أما أطروحة الباحث الموسومة بـ "المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم وأثرها في بناء المجتمع"، فتمتاز عنها بكونها تتخصص في النص القرآني حصراً، وتُعنى بتحليل الآيات التي ترسّخ مفاهيم المسؤولية الاجتماعية من منظور موضوعي دقيق، مع التركيز على بناء المجتمع من الداخل وفق المبادئ القرآنية، لا على الجانب التنموي التطبيقي فقط، مما يجعلها أكثر عمقاً وتأصيلاً في الجانب النصي القرآني.

المبحث التمهيدي: تعريف المسؤولية الاجتماعية وبيان مسارها التاريخي...

المطلب الأول: تعريف المسؤولية الاجتماعية لغةً واصطلاحًا

المطلب الثاني: المسؤولية الاجتماعية في الفكر القديم

المطلب الثالث: المسؤولية الاجتماعية في الفكر الحديث

المبحث التمهيدي: تعريف المسؤولية الاجتماعية وبيان مسارها التاريخي:

انطلاقًا من أهمية هذا المفهوم، كان لا بد من الوقوف أولاً على معناه اللغوي والاصطلاحي، لفهم أبعاده ومضامينه فهماً دقيقاً، يؤسس للبحث في جذوره وأثره في النصوص الشرعية، خاصة في القرآن الكريم، لذلك انقسم هذا المبحث إلى ثلاث مطالب وهي كما يأتي:

المطلب الأول: المسؤولية الاجتماعية لغةً واصطلاحًا:

المقصد الأول: المسؤولية لغةً واصطلاحًا:

أولًا- المسؤولية في اللغة:

قال الفراهيدي (ت:١٧٤هـ): (سأل يسأل سؤالاً ومسألة، والعربُ قاطبة تحذفُ همزة سَلْ، فإذا وصلت بفاءٍ أو واوٍ هُمِزَتْ، كقولك: فاسأل، واسأل ... وجمع المسألة: مسائل، فإذا حذفوا الهمزة، قالوا: مسلة . والفقير يسمى: سائلاً)[١]. واسم الفاعل منه: السائل، واسم المفعول: المسؤول، والمصدر الصناعي: المسؤولية.

وذكر الجوهري (ت:٣٩٣هـ): (السؤل: ما يسأله الإنسان، وقرئ – أوتيت سؤلك يا موسى – بالهمزة وبغير الهمز. وسألته الشيئ وسألته عن الشيئ سؤالًا ومسألةً، قوله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)[٢]، أي عن عذاب)[٣].

---

(١) العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، لبنان – بيروت: ٣٠١/٧.

(٢) سورة المعارج، آية:١.

(٣) الصحاح في اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت – لبنان: ١٢٧٠/٣.

وأوضح الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) بيان معنى سأل إذ قال: (السؤال في اللغة: هو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى مال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد أو رد)[١].

وإذا كان المطلوب خبرًا، يكون بمعنى الاستخبار، وإذا كان علمًا، يكون بمعنى الاستعلام، وإذا كان عطاءً يكون بمعنى الاستعطاء، وتُعدّ هذه المادة متعدية إلى مفعولين بنفسها، فيقال: سأله متاعًا، وقد تتعدّى إلى الثاني وتستعمل بالباء أو بحرف عن، بحسب اقتضاء المعنى، والفرق بين السؤال والطلب هو أن الطلب صفة نفسانيّة قائمة بالنفس، ولا يحتاج إلى الظهور أو الإظهار كما في طلب الكمال، وهو إلزام، في حين أن السؤال ليس فيه إلزام[٢].

وعليه، فقد تبيّن أن لكلمة السؤال اشتقاقات كثيرة، ومن هذه المادة يأتي سأل عن كذا، ويسأل سؤالًا فهو سائل، وسُئل عن كذا يُسأل سؤالاً فهو مسؤول، ومن هذه المادة يُصنع المصدر الصناعي المسؤولية[٣].

ثانيًا – المسؤولية في الاصطلاح:

إن البحث عن تعريف محدد لمفهوم المسؤولية ليس بيسير؛ بسبب كثرة التعريفات وتباين أكثرها، وفيما يأتي نورد بعضًا منها:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت – لبنان: ص٢٥٠.

(٢) ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، ط١، ١٣٩٣هـ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران – إيران: ٥/٧-٩.

(٣) ظ: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت:٧١١هـ)، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ت: عامر أحمد، بيروت – لبنان: مجلد١١/٣٨٠.

١-قال الدكتور أحمد بن عبد العزيز بأن المسؤولية: (أهلية الشخص أن يكون مطالبًا شرعًا بامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، ومحاسبًا عليها)[١].

يظهر من التعريف أن الدكتور أحمد عَرَّفَ المسؤولية بالأهلية[٢]، وذلك ليس تعريف لذات المسؤولية، إنما هو بيان للحد الذي يكون به الإنسانُ مسؤولًا، واعتبار الأهلية شرط من شروط المسؤولية، يقال فلانٌ من الناس أهلًا للإكرام مثلًا، وحسب التعريف المتقدم يقال فلانٌ من الناس أهلًا للمسؤولية إذا وصل إلى حدٍ معين.

٢-عرَّفها مقداد يالجن بأنها: (تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة)[٣].

يبدو للباحث أن هذا تعريف باللازم وليس تعريف لذات المسؤولية وحقيقتها، أي تعريف للمسؤولية بما ينتج عنها من التزامات وقرارات واختيارات.

٣-وعرَّفها الدكتور محمد عبد الله دراز قائلًا: (المسؤولية هي كون الفرد مكلفًا بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدم عنها حسابًا إلى زيد من الناس)[٤].

---

(١) المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، أحمد بن عبد العزيز الحليبي، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٤م، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية: ٧١.

(٢) الأهلية لغةً: الاستحقاق، وفي الاصطلاح: صلاحية الشخص للإلزام والالتزام. أصول الفقه، محمد أبو زهرة: ٣١٦. مفتاح الوصول إلى علم الأصول، الشيخ الدكتور أحمد كاظم البهادلي (ت:١٣٩٠هـ)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان: ١٩٧/١.

(٣) التربية الأخلاقية والإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، مقداد يالجن، ط١، ١٩٧٧م، دار عالم الكتب، الرياض - السعودية:٩٩.

(٤) دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبدالله دراز (ت١٣٧٧هـ)، ط١٠، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان: ١٣٦.

يبدو لي أن هذا التعريف أيضًا قاصر عن بيان مفهوم المسؤولية؛ إذ عرَّفها بأنها تكليف، وهي أحد متعلقات التكليف ونواتجه، إذ التكليف متعلق بالفرد أو المجتمع وليس بذات المسؤولية، والتكليف يأتي في المرتبة الأولى ثُم تأتي المسؤولية في المرتبة الثانية كناتج من نواتجه، إذ الإنسان بعد أن يكلَّف بأمر معين يكون مسؤولًا عنه وعن القيام به حسب التوجيه الإلهي، فلا مسؤولية بلا تكليف ولا عكس، ومهما يكن لم يتطرق التعريف لبيان حقيقة المسؤولية وذاتها كمفهوم له معنى.

٤-ورد في موسوعة نضرة النعيم تعريفها: (المسؤولية حالة يكون فيها الإنسان صالحًا للمؤاخذة على أعماله وملزمًا بتبعاتها المختلفة)[١].

هذا التعريف أيضًا لا يُبين حقيقة مفهوم المسؤولية، إذ عرَّفها بأنها حالة يكون فيها الإنسان صالحًا للمؤاخذة، وهي من تعريف الشيء بمتعلقه، إذ الذي يكون يبدو للباحث صالحًا للمؤاخذة هو نفسه الذي يتحمل المسؤولية، فالمقصود هنا هو الفرد المسؤول باعتبار أنه يستحق الملامة والعقاب أو الشكر والثواب على الشيء الذي قام به، وذلك بعيد عن تعريف مفهوم المسؤولية كما هو واضح.

وعليه تكون النتيجة النهائية للتعريفات المتقدمة كما يأتي:

١-المسؤولية محاسبة.

٢-المسؤولية أهلية.

٣-المسؤولية إلتزام.

٤-المسؤولية تكليف.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، إشراف: صالح بن عبدالله بن حميد، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوسيلة للنشر والتوزع، دار اللؤلؤة، المنصورة – مصر: ٨/٢٤٠٠.

وفي ضوء ما تقدم ذكره من اختلاف التعريفات وتباينها فيما بينها، امكن بيان معنى المسؤولية بأنها **شعور فطري ذاتي والتزام أخلاقي وشرعي وقانوني، إزاء كل ما كُلِف به الإنسان.**

شرح التعريف يتطلب بيان فقراته المؤلف منها وهي:

١-**الشعور الذاتي:** لأن المسؤولية أحساس يتولد من داخل الإنسان وضميره، وبسبب هذا الشعور تتولد لديه المسؤولية عن أفعاله وتأثيرها على نفسه وعلى المجتمع.

٢-**التزام أخلاقي وشرعي:** لأن الشعور الذاتي يجعل الإنسان ملزم أخلاقيًا أمام خالقه، مما يعني أن المسؤولية غير مقتصرة على الشعور الداخلي للشخص، بل تشمل الالتزام بسلوك أخلاقي مبني على معايير معينة، وأيضًا المسؤولية هي التزام شرعي، بمعنى أن الإنسان مسؤول عن العمل وفق أوامر الشرع وتعاليمه، لتحقيق التوازن بين حقوقه وواجباته، وقد تكون التزام قانوني في بعض الحالات وهي المعبر عنها عند فقهاء القانون الوضعي (بالمسؤولية الجنائية)[١].

٣-**كل ما كُلِفَ به الإنسان:** يشمل جميع التكاليف الصادرة عن طريق الشرع، مما يعزز الوعي الذاتي لأداء الواجبات دون الحاجة إلى رقيب خارجي، إذ يصبح الإنسان ملزم أخلاقيًا وشرعيًا بالقيام بما أوكل إليه عن قناعة داخلية وإيمان راسخ ورضا واطمئنان نفسي.

---

(١) المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري، السيد هاشم معروف الحسني، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان: ٤١.

المقصد الثاني: المجتمع في اللغة والاصطلاح:

بعد أن عَرَّفنا مفهوم المسؤولية لغة واصطلاحًا، يلزم منا بيان مفهوم المجتمع، إذ أن مقصود الباحث من لفظ الاجتماع هو المجتمع؛ لأنه متعلق المسؤولية وهي مرتبطة به، والمسؤولية لا ترتبط فقط بالمجتمع ككيان، بل بالممارسات الجماعية بشكل عام.

أولًا – المجتمع في اللغة: لفظة المجتمع مشتقة من الفعل: جمع، قال ابن فارس: «الجيم والميم والعين أصلٌ واحد يدل على تضام الشيء[١].

والجمع بمعنى: ضم الشيء بعضه لبعض بعد تفرقة، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعًا، وجمعه وأجمعه فاجتمع وتجمع واستجمع، ومن ذلك: المجموع، وهو الذي جمع من هاهنا وهاهنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وتجمع القوم: اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، والجماع: أخلاطٌ من الناس، وقيل: هم الضروب المتفرقون من الناس[٢]، من كل شيءٍ، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعضٍ يقال له: جماعٌ[٣]، والمجتمع: موضع الاجتماع، والجماعة من الناس[٤].

ثانيًا- المجتمع في الاصطلاح:

مفهوم المجتمع عند علماء الاجتماع: ذكروا له عدة تعريفات اخترنا بعضًا منها وهي كما يأتي:

---

(١) ظ: مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٢٦/١.

(٢) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٦٧٨/١

(٣) ظ: القاموس المحيط، الفيروز آبادي: س٨١٧، تاج العروس، للزبيدي: ٤٥٤/٢٠.

(٤) ظ: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: س١٣٦.

التعريف الأول: هو نسق مكون من العرف المنّوع والإجراءات المرسومة، ومن السلطة والمعونة المتبادلة في كثير من المجتمعات والأقسام، وشتى وجوه ضبط السلوك الإنساني والحريات[١].

التعريف الثاني: هو جماعة من الناس تعمر مكاناً لأول مرة، ويشترك أعضاؤها في الأحوال الأساسية للحياة المشتركة بالإضافة إلى الإشتراك في الأحوال الخاصة[٢].

التعريف الثالث : هو مجموعة من الأفراد يعيشون في منطقة متصلة الأجزاء، أو يشتركون في تقاليد ونظم معيشة، وتكون لهم أهداف ومصالح مشتركة تجعلهم يتلوّنون بألوان مختلفة من التفكير والسلوك الذي يغلب عليه الطابع التعاوني[٣].

التعريف الرابع: يتكون المجتمع من بني الإنسان في وجودهم الذي يقوم على التضامن والاعتماد المتبادل[٤].

التعريف الخامس: عبارة عن نسج مكون من صلات اجتماعية تلك الصلات التي يحددها الإدراك المتبادل[٥].

التعريف السادس: مجموعة منظمة من الناس يعيشون سوياً، تربط أفرادهم مجموعة من القيم والأهداف والصلات والمصالح المشتركة[٦].

---

(١) ظ: مبادئ علم الاجتماع، فادية عمر الجولاني، ط١، ١٩٩٥م، الناشر: دار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع: ٣٠٤.

(٢) م، ن: ٣٠٦.

(٣) ظ: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين، ط١، ١٩٨٠م، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان: ٢٧٧.

(٤) ظ: الفرد والمجتمع في الإسلام، سيد عبد الحميد مرسي، ط١، ١٩٨١م، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر: ٢٠١.

(٥) ظ: المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، دار الأرق، الكويت: ١٢.

(٦) ظ: المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم ، محمد نجيب أحمد مصطفى أبو عجوة، ط١، ١٩٩٩م، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر: ١٧.

وإذا استطلعنا التعريفات المتقدمة نجدها تشير إلى مجموعة من الناس يعيشون سويًا وفيما بينهم روابط مشتركة، بينما إذ ذهبنا نستطلع رأي القرآن الكريم في ذلك نجده يحدد مجموعة من الصفات الأساسية للمجتمع، اكتفي بذكر بعضً منها:

١-**الإيمان بالله:** إذ المجتمع يقوم على الإيمان بالله تعالى والإلتزام بتعاليمه، قال تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**(١).

٢-**التعاون والتقوى:** المبدأ الآخر الذي يعد عنصر أساسي في بناء المجتمع وتكوينه وانسجامه هو مبدأ التعاون القائم على عنصر التقوى، قال تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾**(٢).

٣-**العدالة وأداء الأمانات:** وهي ركن أساسي لكل مجتمع يسعى نحو الاستقرار والطمأنينة، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾**(٣).

٤-**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** يقوم المجتمع الإسلامي على مبدأ الأمر والنهي بين أفراده، قال تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**(٤).

٥- **الإيثار:** قال تعالى:**﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾**(١)، تدل الآية الكريمة على فضيلة الإيثار

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧١.

ورجحانه، وإن المؤمن يؤثر غيره على نفسه وهو في أمسّ الحاجة[٢]، يعد الإيثار بهذه الصورة أحد صفات المجتمع القرآني، وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بيان حقيقة الإيثار، إذ ((سأل أبان بن تغلب الإمام الصادق اللي قائلاً: أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن فقال: يا أبان دعه لا تردّه . قلت: بلى جعلت فداك، فلم ازل أردد عليه فقال: يا أبان، تقاسمه شطر مالك، ثم نظر إلي فرأى ما دخلني فقال: يا أبان أما تعلم ان الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت: بلى جعلت فداك فقال: إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد انما أنت وهو سواء، انما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر))[٣].

هذه العناصر هي الصفات الأساسية للمجتمع الإنساني المؤمن، وهي كثيرة تم ذكر بعضها لأجل تحقيق المطلب وبيان مفهوم المجتمع، لنصل من خلال هذه الصفات الرئيسة إلى تعريف المجتمع حسب المنظور القرآني بأنه: **عبارة عن جماعة من الأفراد يجمعهم الإيمان بوحدانية الله تعالى والمبادئ والقيم المشتركة، ويتعاونون فيما بينهم على تحقيق العدل والخير للجميع.**

ومن ثَمَ فإن المجتمع من وجهة نظر القرآن الكريم يقوم على أسس دينية واخلاقية وإنسانية، تهدف إلى تحقيق المجتمع التعاوني، وإن الفكرة الأساسية التي يستهدفها القرآن الكريم في البناء الاجتماعي، هي الارتكاز على هذه المجموعة من قيم الوحي الإلهي ومبادئ الرسالة الحقة، ولعل الحكمة من ذلك، هي خلق جيل رسالي قادر على تحمل المسؤولية وتنفيذ ما أُوكل إليه من مهام.

بعد البيان المتقدم لمعنى المسؤولية ومعنى المجتمع لغة واصطلاحًا، نصل إلى بيان مفهوم المسؤولية الاجتماعية بالمعنى التركيبي من وجهة نظر القرآن الكريم،

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، الشيخ باقر الايرواني: ٩٨٩/٢.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ):٢٩٨/٦.

فنقول في تعريفها بأنها: **شعور ذاتي نابع من إيمان المجتمع بضرورة العمل بكل ما يفرضه الشرع عليهم من واجبات ويحدد لهم من حقوق مشتركة بينهم.**

تعريف المسؤولية الاجتماعية كما ورد في العبارة يشير إلى جوهرها بوصفها شعورًا ذاتيًا ينبع من إيمان المجتمع بأهمية الالتزام بما يفرضه الشرع من واجبات، واحترام ما يحدده من حقوق.

لمعرفة معاني هذا التعريف بشكل أعمق، يمكن تقسيمه إلى عناصر أولية نوضحها بالطريقة الآتية:

١-**الشعور الذاتي:** هو شعور ذاتي وموضوعي ينبع من الأفراد، لأن المحتوى الداخلي للإنسان هو أساس التغيير والبناء، ولذلك قال الله تبارك تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[١]، إذ المسؤولية الاجتماعية ليست مجرد قوانين تُفرض من الخارج، بل هي شعور داخلي ينشأ من وعي الإنسان والمجتمع بواجباتهم تجاه بعضهم البعض، أضف إلى أن هذا الشعور الذاتي المبني على الإيمان بالله تعالى كمثل اعلى يعطي للمسؤولية شرطها المنطقي كما ذهب إلى ذلك الشهيد الصدر قدس سره[٢]، ولكي يكون واقعيًا عمليًا في حياة الإنسان إلى إيمانه برقابة من جهة عليا لا تترك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء... هذه الرقابة تتواجد في حياة الإنسان نتيجة لارتباطه بالمطلق الحق العليم القدير الذي أحاط علمه بكل شيء[٣]، هذا الشعور الذاتي يعكس

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) ظ: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ)، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، مؤسسة الثقلين الثقافية، سوريا - دمشق: ١٤٠.

(٣) ظ: موجز في أصول الدين ، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، ١٩٩٤م، تحقيق ودراسة: عبد الجبار الرفاعي، الناشر: رابطة أهل البيت عليهم السلام الإسلامية العالمية، قم - إيران: ٢٩٥-٢٩٦.

الإحساس بالالتزام والإيمان الداخلي، مما يجعل تطبيق المسؤولية الاجتماعية طبيعيًا وليس بالإكراه.

٢-**الإيمان المجتمعي:** المسؤولية الاجتماعية تعتمد على إيمان جماعي يعكس ثقافة المجتمع وقيمه المستمدة من تعاليم الدين الحنيف ومبادئه، وهذا الإيمان يعزز روح التعاون والانسجام بين أفراد المجتمع، إذ يشعر كل فرد بأنه مسؤول عن الآخرين.

٣-**الإلتزام بالواجبات:** الواجبات هي ما يفرضه الشرع على الفرد من أفعال يجب القيام بها لتحقيق الخير والصلاح للفرد والمجتمع، من أمثلتها: أداء الزكاة، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، والتعاون والتكافل والاعتصام بحبل الله تعالى.

٤-**الحقوق:** إلى جانب الواجبات، الشرع يحدد حقوقًا لكل فرد في المجتمع، مثل حق الحياة الكريمة والأمن والعدالة والتعليم والكرامة والحرية والاحترام الى آخره، والالتزام بالمسؤولية الاجتماعية يتطلب احترام هذه الحقوق وضمان تحقيقها لكل فرد من أفرد المجتمع، وأهم هذه الحقوق الواردة في القرآن الكريم يتمثل فيما يأتي:

أولًا- الحق في الحياة والكرامة، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾**[1]، هذه الآية تتضمن معاني عظيمة ترتبط بمفهوم المسؤولية الاجتماعية، إذ التكريم الإلهي للإنسان أساس المسؤولية؛ لأن الله تعالى كَرَمَهُ بالعقل، الذي يعطيه القدرة على الاختيار والتمييز بين الحق والباطل والخير والشر، وذلك يجعل من الإنسان كائنًا

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

مسؤولًا عن افعاله تجاه نفسه وتجاه الآخرين والبيئة التي يعيش فيها ومحيطه الاجتماعي بأكمله، ورد في تفسير هذه الآية، أن التكريم يكون بالعلم وطبيعة الخلقة، إذ جاء في الرواية التي ذكرها علي بن إبراهيم القمي (ت:٣٠٧هـ) في تفسيره، عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((إن الله لا يكرم روح كافر ولكن يكرم أرواح المؤمنين وإنما كرامة النفس والدم بالروح والرزق الطيب هو العلم))[١]، ظاهر الرواية أن العلم المراد به هنا هو العقل، إذ الإنسان يولد وهو لا يعلم شيئًا، ويؤيد ذلك ما ذكره الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ): (إن النفس الإنسانية مختصة بقوة أخرى وهي القوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي)[٢]، وهذه القوة تعبيرًا فلسفيًا عن العقل كأداة للفهم والإدراك التي هي أساس مسؤولية الإنسان، يؤكد ذلك ما جاء عن السيد الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) في تفسير لهذه الآية **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [٣]، قائلًا: (أن كُلًا من التكريم والتفضيل في الآية ناظر إلى نوع من الموهبة الإلهية التي اوتيها الانسان، أما تكريمه فيما يختص بنوعه من الموهبة لا يتعداه إلى غيره وهو العقل الذي يميز به الخير من الشر والنافع من الضار والحسن من القبيح ويتفرع عليه مواهب أخرى كالتسلط على غيره واستخدامه في سبيل مقاصده)[٤]، ونفس

---

(١) ظ: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت:٣٠٧هـ)، ط١، ١٣٨٧هـ، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، النجف – العراق: ٢٢/٢.

(٢) مفاتيح الغيب، محمد بن الحسن بن الحسين التيمي البكري المعروف ب فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، ط٣، ١٤٢٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: ٣٧٢/٢١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، ط٢، ١٩٧٣م، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم – إيران: ١٦٤/١٣.

المعنى ذكره الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره[1]، والسيد محمد تقي المدرسي في تفسيره[2].

يتضح مما سبق أن الآية المذكورة آنفًا تشير إلى أن الله قد كَرَّمَ الإنسانَ وأعطاه مكانة سامية، مما يؤكد على أهمية احترام هذه الكرامة فرديًا واجتماعيًا.

ثانيًا- الحق في الحرية، قال الله تعالى: **﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾**[3]، إذ تؤكد الآية على نفي الدين الاجباري، لما أن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والايمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الاكراه والاجبار[4]، والحرية ركن أساسي من أركان المسؤولية، وعند الاجبار تنتفي المسؤولية أساسًا.

ثالثًا- الحق في العدالة الاجتماعية، قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَآيِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾**[5]، ابتدأ سبحانه بهذه الأحكام الثلاثة التي هي بالترتيب أهم ما يقوم به صلب المجتمع الانساني لما ان صلاح المجتمع العام أهم ما يبتغيه الاسلام في تعاليمه المصلحة، ولذلك اهتم في اصلاح المجتمع اهتماما لا يعادله فيه غيره وبذل الجهد البالغ في جعل الدساتير والتعاليم الدينية حتى العبادات

(1) التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٤، ٢٠٠٧م، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، قم – إيران: ٦٨/٥.

(2) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط٢، ٢٠٠٨م، إخراج وتنسيق: زكي حسن أحمد، الناشر: دار القارئ، بيروت – لبنان: ٤٦٢/٤.

(3) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(4) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٣٤٣/٢-٣٤٤.

(5) سورة النحل، الآية: ٩٠.

من الصلاة والحج والصوم اجتماعية ما أمكن فيها ذلك كل ذلك ليستصلح الانسان في نفسه ومن جهة ظرف حياته[1].

رابعًا- الحق في التملك، قال تعالى: ﴿**لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُم** ...﴾[2]، لقد ذكر الله تعالى الأكل في الآية وأراد (سائر التصرفات وإنما خص الأكل لأنه معظم المنافع)[3]، يظهر أثر المسؤولية الاجتماعية من خلال تحقيق مبدأ التراضي في المعاملات المالية، وحفظ حقوق الآخرين، ومنع عوامل هدم المجتمع وزعزعة استقراره ويشمل ذلك كل صور الأكل بالباطل وكذا الاحتيال والغش والسرقة والربا والرشوة وغيرها من الوسائل غير المشروعة.

خامسًا- الحق في التعليم، قال تعالى:﴿... **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...**﴾[4]، تشير الآية إلى أهمية العلم وقيمة المتعلمين، وعدم المساواة في العلم يشاطر عدم المساواة في المسؤولية، فالمسؤولية على أصحاب العلم تختلف درجتها عند غيرهم، ولكن هل تشمل الآية العلماء جميعًا؟ يذهب الشيخ محمد جواد مغنية إلى أنه: (ليس المراد بالعلماء هنا الذين حفظوا الشروح والمتون، ولا الذين اكتشفوا قوى الطبيعة، واخترعوا العقول الإلكترونية والصواريخ عابرة القارات، وغزوا الفضاء وصعدوا إلى القمر أو المريخ كلا، انما المراد بهم العاملون لخير الإنسانية جمعاء، وتحرير المعذبين في الأرض وخلاص الناس من البؤس والشقاء، أما العلماء اللامبالون أو الذين باعوا دينهم وأنفسهم للأبالسة والشياطين، لجلادي الشعوب، فاخترعوا لهم الأسلحة الجهنمية، أما هؤلاء فهم كالأنعام بل أضل سبيلا، ولا يدرك هذه

([1]) ظ: الميزان، السيد الطباطبائي: ١٢/٣٣٠.

([2]) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

([3]) ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣/٦٨.

([4]) سورة الزمر، الآية: ٩.

الحقيقة إلا أولو العقول والأبصار)[1]، يشير الشيخ محمد جواد مغنية (6) إلى معنى المسؤولية الملقاة على العلماء الذين يتحملون مسؤوليتهم في الحياة الاجتماعية ويعملون الخير للإنسانية جمعاء، عكس العلماء الذين يُسّخرون علمهم لتهديم الحياة الاجتماعية للناس.

سادسًا- الحق في المعاملة الحسنة، قال تعالى: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾[2]، ذُكر في تفسير العياشي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله " وقولوا للناس حسنا " قال: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم فان الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين، المتفحش السائل الملحف، ويحب الحيي الحليم العفيف المتعفف[3].

سابعًا- الحق في الأمان والسلامة، قال تعالى: ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[4]، وعد الله تعالى مجتمع قريش آنذاك بأن يطعمهم من الجوع ويرزقهم الأمن من الخوف، مع أن قريش لم تكن مستحقة لكل هذا اللطف الإلهي لما كانت تقترفه من آثام، لكن الله لطف بهم لما كان مقدرا للإسلام والنبي الأكرم ﷺ أن يظهرا من هذه القبيلة وتلك الأرض المقدسة، فأطعمهم من الجوع وآمنهم من الخوف، وجعل تجارتهم رائجة مريحة ومربحة، ودفع عنهم الخوف والضرر، كل ذلك باندحار جيش أبرهة، وبفضل دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام مؤسس الكعبة، لكنهم لم يقدروا هذه النعمة،

---

(1) التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ)، ط٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، قم - إيران: ٦/٣٩٩-٤٠٠.

(2) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(3) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ)، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، النشر: مطبعة الوفاء، بيروت - لبنان: ٧١/ ١٦١.

(4) سورة قريش، الآية: ٤.

فبدلوا البيت المقدس ببيت للأوثان، وذاقوا في النهاية وبال أمرهم[1]، الأمان والسلام من الموضوعات الضرورية لبناء المجتمع وتقدمه وازهاره، وتوفيرهما مسؤولية الجميع، وقد تعهد الله بتوفير ذلك للمجتمع لأجل أن يأخذوا بالأسباب الداعية للمحافظة على هذه النعمة لبناء المجتمع الإيماني وصنع الحضارة الإنسانية.

المطلب الثاني: المسؤولية الاجتماعية في الفكر القديم:

مفهوم المسؤولية الاجتماعية حديث العهد، ولكن معناه له صدى واسع وممتد عبر التاريخ يشمل عدة جوانب من حياة المجتمعات القديمة، ولهذا يمكننا عند البحث العثور على أمثلة لهذا المعنى في الحضارات الكبرى مثل بلاد الرافدين ومصر القديمة واليونان وروما، إذ تطورت الأفكار حول العدالة والمساواة والتنظيم الاجتماعي بشكل يتماشى مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في تلك الحقب، وبيان ذلك يكون عبر النقاط الآتية:

اولًا- المسؤولية الاجتماعية في حضارة بلاد الرافدين:

يُعد قانون حمورابي من أقدم النصوص القانونية المعروفة في التاريخ، ويحتوي على تشريعات تهدف إلى حماية فئات المجتمع الضعيفة، مثل العمال والفلاحين، تسعى هذه القوانين لتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال تنظيم العلاقات بين الطبقات المختلفة إذ عمل حمورابي على (إنشاء نظامًا قانونيًا يهدف إلى حماية الفئات

(1) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان: ٤٨٣/٢٠.

الأضعف في المجتمع، ما يعكس التزامًا بتحقيق المسؤولية الاجتماعية في بابل القديمة)[1].

وإن لم يكن مفهوم المسؤولية الاجتماعية حاضرًا بشكل واضح في زمن الملك حمورابي إلا أن معناه كان واضحًا جليًا في العديد من قوانينه وتشريعات بشكل ضمني، وهذا ما يؤكده قانون حمورابي وما احتوت عليه فقراته من تشريعات تحمل العديد من النصوص التي تشير إلى معنى المسؤولية الاجتماعية، إذ العديد من فقرات قانون كانت ذات طابع اجتماعي وتنظيم العلاقات بين الطبقات المختلفة لضمان تحقيق العدالة والاستقرار، فيما يأتي بعض القوانين التي توضح ذلك:

١- **حماية الفقراء والضعفاء:** أشارت المادة الثامنة من قانونه إلى أنه (إذا قام شخص بسرقة ممتلكات من معبد أو من منزل خاص، فسيتم إعدامه، وكذلك الشخص الذي حصل على المسروقات)[2]، إذ تهدف هذه الفقرة من القانون إلى حماية حقوق الملكية، بما في ذلك حقوق الضعفاء والمحتاجين، الذين قد يكونون غير قادرين على حماية ممتلكاتهم.

٢- **تعويض المتضررين:** جاء في المادة الثالثة والعشرين من قانون حمورابي: (إذا فشل أحد في القبض على السارق، يجب على المجتمع بأسره تعويض الضحية عن خسارته)[3]، إذ تعد هذه الفقرة تعبيرًا واضحًا جدًا عن المسؤولية الاجتماعية من خلال تعاون أفراده فيما بينهم لضمان حقوقهم وتعويض المتضررين منهم بسبب السرقة والذي يعزز من المسؤولية الاجتماعية على المستوى المجتمعي.

---

(١) قانون حمورابي والتشريع في بابل القديمة، كينيث مونرو، ط١، ١٩٦٨م، مطبعة جامعة شيكاغو، شيكاغو – الولايات المتحدة: ٧٨.

(٢) قوانين حمورابي، محمد باقر العاملي، ط١، ١٩٨٠م، دار الفكر، بيروت – لبنان: ٤٥-٤٦.

(٣) قوانين حمورابي، محمد باقر العاملي: ٧٢.

٣- العدالة في العمل والأجور: كثير من قوانين حمورابي تتعلق بحماية العمال وتنظيم اجورهم، مما يعكس اهتمامه بالعدالة الاجتماعية، إذ ورد في المادة الثانية والأربعين إلى أنه (إذا استأجر شخصٌ حقلاً ولم يزرعه، فعليه أن يدفع تعويضًا يعادل محصول السنة السابقة)[١]، لا شك أن الأرضَ تعد مصدر رزق للمجتمع والدولة، وهذا النص القانوني يضمن حقوق المالك والمستأجر، وأن الأرض الزراعيّة يجب أن تُستثمر بالزراعة بشكل سليم وبما يحقق مصلحة جميع الأطراف، مما يعكس مسؤولية اجتماعية تجاه الحفاظ على الموارد واستعمالها بالشكل الأمثل، أضف إلى أن تحقيق العدالة في أجور العمل تعد تعبيرًا واضحًا عن المسؤولية الاجتماعية من خلال إيجاد التوازن بين حقوق العمال وأصحاب العمل، وضمان التوزيع العادل للثروة بين أبناء المجتمع.

٤- حماية حقوق المرأة والأطفال: لم تغفل قوانين حمورابي موضوع حقوق المرأة، لذا نجده يضع أحكامًا من أجل حماية حقوقهما، إذ جاء في قانونه من المادة رقم مئة وسبعة عشر: (إذا حان الاستحقاق على سيد وباع زوجته أو ابنه أو ابنته أو ارتبط بالخدمة فيجب عليهم ان يعملوا في بيت من اشتراهم او الدائن ثلاث سنوات وتعاد لهم حريتهم في السنة الرابعة)[٢]، النظام الذي يفرض حداً زمنياً للخدمة مقابل الدين يعكس نوعاً من المسؤولية الاجتماعية المقننة، حيث يتم موازنة حقوق الدائن وكرامة المدين، ويُمنع الاستغلال الطويل أو الاستعباد الدائم، مما يرسخ قيم العدالة والتكافل وإعادة الحقوق.

---

(١) تشريعات بلاد الرافدين من سومر إلى بابل، فرانسيس جوستين، ط١، ١٩٩٥م، دار التنوير، القاهرة – مصر: ١١٢.

(٢) قوانين حمورابي، أحمد كمال زكي، ط١، ١٩٧٢م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القهرة – مصر: ١١٥.

ثانيًا- المسؤولية الاجتماعية في الحضارة المصرية القديمة:

ظهرت بوادر المسؤولية الاجتماعية في الحضارة المصرية القديمة، من خلال مفهوم (ماعت)[1]، الذي هو الأساس الذي بنى عليه النظام الاجتماعي في تلك البلاد، إذ أن لفظة (ماعت) تعني لديهم آلهة الحق والعدالة والنظام، وكان الفرعون يمثل السلطة المسؤولة عن تحقيق هذا التوازن في المجتمع، والمسؤولية الاجتماعية كانت مرتبطة بالحفاظ على هذا النظام، لضمان رفاهية الجميع دون استثناء، وهذا ما أشار إليه جيمس هنري[2]قائلًا: (كانت المسؤولية الاجتماعية متجذرة في نظام ماعت الذي كان يجب على الجميع، بما في ذلك الفرعون، الحفاظ عليه لتحقيق التوازن بين الإنسان والطبيعة والمجتمع)[3].

---

(1) ماعت : مفهوم يرمز إلى سيدة تضع الريشة رمزاً للضياء والنقاء، فوق رأسها، وهي ابنة الإله رع ورفيقته بحسب زعمهم. ماعت فلسفة العدالة في مصر القديمة، أنَّا مانسيني، ط١، ٢٠٠٩م، ترجمة: محمد رفعت عواد، مراجعة: جيهان زكي، تقديم: علي رضوان، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القهرة – مصر: ١٩.

(2) عالم آثار ومؤرخ أمريكي، من أشهر علماء الآثار والمصريات، له العديد من المؤلفات والاكتشافات الأثرية المصرية لكن كتابه الأكثر شهرة على الإطلاق هو كتاب "فجر الضمير" الذي أثبت فيه بالأدلة التاريخية والأثرية المؤكدة أن الحضارة المصرية القديمة هى مهد الأخلاق والقيم والحضارة ومنبعها الذي انتشرت منه إلى مختلف بقاع العالم، ولد في روكلفورو بولاية اللينوي و في سن العشرين عمل في مخزن أدوية و قد أشار عليه معلمه و صديقه وليم ريني هارير بالذهاب إلي برلين لكي يدرس علم الآثار المصرية على يد العالم الألماني الكبير أدولف ارمان و لما أكمل رسالته للحصول على الدكتوراه عام ١٨٩٤ دعي للانضمام إلى الفريق الذي كان يعد قاموسا للغة المصرية القديمة و كان معنى هذا أن يذهب إلى مصر و قد قرر برستد في هذه الزيارة أن يكون واجبه الأول عمل سجل لكل النصوص الهيروغليفية التي تتضمن أي إشارة إلى تاريخ مصر إذ تصور عمل شيء مثل السجل الشامل للكتابات اللاتينية الذي جمعه موسن و قد نشر نتيجة لرحلته هذه خمسة أدوار تحت عنوان (Ancient records of egypt)في ١٩٠٦ – ١٩٠٧ و لما عاد إلى شيكاغو عام ١٨٩٥ عين محاضرا بمرتب قليل مما دعاه إلى أن يتجول في كل أمريكا ليلقي محاضرات لترفع أجره.
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%8A%D9%85%D8%B3_%D9%87%D9%86%D8%B1%D9%8A_%D8%A8%D8%B1%D8%B3%D8%AA%D8%AF.

(3) الحضارة المصرية القديمة: الجوانب الاجتماعية والسياسية، جيمس هنري بريستد، ط١، ١٩٧٤م، دار المعارف، القاهرة – مصر: ١٣٠.

يبدو من خلال النص المتقدم أن فكرة إحداث عملية التوازن بين الأبعاد الثلاثة الإنسان والطبيعة والمجتمع كانت حاضرة في وعي السلطة الحاكمة، وهي تعبير غير مباشر عن المسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتق السلطة الحاكمة.

ثالثًا- المسؤولية الاجتماعية في الفكر اليوناني: ركز افلاطون[1]، وأرسطو[2]، في فلسفتهما السياسية على كثير من المفاهيم الأخلاقية مثل الفضيلة والخير والعدالة الاجتماعية، وهذه المفاهيم لها ارتباط وثيق بالمسؤولية الاجتماعية، ويبدو ذلك واضحًا من خلال اهتمامهم بكيفية تنظيم المجتمع، فنجد أفلاطون في كتاب الجمهورية وأرسطو في كتاب السياسة قدّما مفهومًا عن الدولة المثالية التي تسعى إلى تحقيق الخير العام، إذ أكد أرسطو على أهمية التوازن بين مصالح الفرد والجماعة لضمان العدالة الاجتماعية، وأشار افلاطون إلى أهمية وضع نموذج للمجتمع المثالي يعتمد على التوزيع العادل للمسؤولية الاجتماعية، إذ يقول: (تقوم العدالة الاجتماعية على أن يقوم كل فرد بالدور الذي يتناسب مع طبيعته وقدراته، وقسم المجتمع إلى طبقات،

(1) أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) هو فيلسوف يوناني، تتلمذ على سقراط، ويعد من أبرز مؤسسي الفكر الفلسفي الغربي. ترك مؤلفات على هيئة محاورات، من أشهرها: الجمهورية، والقوانين، والمأدبة، وفيها تناول مسائل العدالة، والدولة، والنفس، والحب، ونظرية المثل، كما سعى إلى تأسيس مجتمع عادل يقوده الفلاسفة، مؤمنًا بأن الحقائق الحقيقية أزلية، موجودة على هيئة "مُثُل" يتوصل إليها العقل عن طريق الجدال العقلي والتفلسف. الفلسفة اليونانية، علي سامي النشار، ط١، ١٩٨٠م، دار المعارف، القاهرة – مصر: ١٩٣/١.

(2) أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ قبل الميلاد) هو فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون، ومؤسس المدرسة المشائية (اللوقيون). يعدّ من أبرز الفلاسفة عبر العصور، حيث شملت مؤلفاته جميع صنوف المعرفة تقريبًا، من الفلسفة والمنطق إلى الطبيعة، والسياسة، وعلم الأخلاق، والشعر. يرى أرسطو أنّ الفلسفة تهدف إلى السعي وراء الحقائق من أجل ذاتها، ويؤمن بأن سعادة الإنسان تتحقق بممارسة الفضيلة وفقًا لقوة العقل، كما عرّف المنطق كأداة ضرورية لبلوغ الحقيقة، وحاول تقديم تصور شمولي للعالم قائم على ملاحظة الطبيعة وتحليلها. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ط١، ١٩٥٩م، دار المعارف، القاهرة – مصر: ٢١٥.

الفلاسفة الذين يحكمون، والمحاربون الذين يحمون، والمنتجون الذين يوفرون الاحتياجات الأساسية)[1].

وهكذا نجد معنى المسؤولية الاجتماعية عند ارسطو بشكل أدق أو أكثر عمقًا مقارنةً بالنموذج المثالي الذي طرحه أفلاطون، إذ يعتقد ارسطو أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي[2]، فلا بدَّ له من المشاركة في الحياة العامة للمجتمع، وفي سياق أشارته عن العدالة الاجتماعية يرى ارسطو أن: (العدالة هي أساس كل مجتمع سياسي، ويجب على الأفراد التضحية بمصالحهم الشخصية من أجل مصلحة المجتمع ككل، ما يضمن مسؤولية اجتماعية تجاه الدولة والجماعة)[3].

يتفق أفلاطون وأرسطو على أن المجتمع المثالي يقوم على توازن حقوق الفرد ومسؤولياته؛ فأفلاطون يربط المسؤولية بقدرات الفرد لضمان الفضيلة، بينما يرى أرسطو أنها تتحقق بالمشاركة الجماعية لتحقيق الخير العام، مما يعكس تركيز الفكر اليوناني على علاقة الفرد بالمجتمع من منظور فلسفي سياسي.

رابعًا- المسؤولية الاجتماعية في روما القديمة: في روما القديمة، شكّلت المسؤولية الاجتماعية جزءًا أساسيًا من الحياة المدنية، حيث كان المواطنون ملتزمين بالمشاركة في الشأن العام كالجيش والأعمال العامة لضمان قوة الدولة واستقرارها، كما أشار إلى

(1) الجمهورية، افلاطون (ت:٣٤٧ق م)، ط٣، ١٩٨٧م، ترجمة: فؤاد زكريا، الناشر: دار المعارف، القاهر – مصر: ٥٥.

(2) ظ: السياسة، أرسطو (ت: ٣٢٢ق م)، ط٥، ١٩٩٧م، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة – مصر: ٧٢.

(3) السياسة، أرسطو، ط٣، ١٩٦٣م، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر: ٢٤٧ – ٢٤٨.

ذلك المؤرخ تيتوس ليفيوس[1] (ت:٥٩ق م): (كان المواطنون الرومان يتحملون مسؤوليات جماعية تجاه الدولة والمجتمع، سواء من خلال الخدمة العسكرية أو المشاركة في المشاريع العامة، مما يعكس إدراكًا عميقًا لفكرة المسؤولية الاجتماعية)[2].

نشأت فكرة المسؤولية الاجتماعية وتطورت في عهد الإمبراطورية الرومانية ضمن الإطارين القانوني والاجتماعي، إذ ركزت على دور الفرد في خدمة المجتمع من خلال العدالة والواجبات المدنية، وقد أكد شيشرون[3] (ت: ٤٧ ق.م) على واجبين: الحفاظ على الفضيلة الأخلاقية، وخدمة المصلحة العامة، مشيرًا إلى أن الإنسان لا يحقق الفضيلة إلا بالمشاركة الاجتماعية [4].

---

(1) تيتوس ليفيوس (٥٩ ق.م – ١٧ م)، مؤرخ روماني، وُلد في باتافيوم (بادوفا الحاليّة)، ويعدّ من أبرز مؤرخي روما القديمة. عُرِف بعمله الضخم **(تاريخ روما)** الذي أرّخ من تأسيس المدينة عام ٧٥٣ ق.م حتى عصر أغسطس، وضَمَّ ١٤٢ كتابًا، لم يصل منها إلينا سوى ٣٥ كتابًا. امتازت روايته بالسرد القصصي الحي، والاهتمام بالعبر والدروس الأخلاقية، مما جعله مصدرًا رئيسيًا لمعرفة العصر الجمهوري الروماني وتاريخ ملاحم روما وحروبها، وكذلك عاداتها وتقاليدها. قصة الحضارة: قيصر والمسيح، ويل دورانت، ط١، ٢٠٠١م، ترجمة: زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر: ٣٤/٣.

(2) تاريخ روما القديمة، تيتوس ليفيوس، ط٢، ١٩٨٧م، ترجمة: محمد صقر، دار الهلال، القاهرة – مصر: ١٨٥.

(3) ماركوس توليوس شيشرون (١٠٦–٤٣ قبل الميلاد) هو خطيب، وفيلسوف، ورجل دولة روماني، يعدُّ من أبرز الشخصيات الفكرية والسياسية في العصر الجمهوري. عُرِف ببلاغته الفذة ومؤلفاته التي تغطي موضوعات متنوعة، من الفلسفة، والسياسة، والخطابة، والقوانين، إلى الأخلاق والدين. سعى من خلال مؤلفاته وخطاباته إلى المزج بين التراث الفلسفي اليوناني والثقافة الرومانية، مؤمنًا بأن العدالة، وضبط النفس، والحكمة، والشجاعة، هي القيم الجوهرية للحياة الفردية والمجتمعية. ترك تراثًا فكريًا متميزًا أثر على الفكر السياسي والقانوني لعدة قرون. قصة الحضارة: قيصر والمسيح، ويل دورانت، ط١، ٢٠٠١م، ترجمة: زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر: ١٢٧/٣.

(4) ظ: الواجبات، ماركوس توليوس شيشرون، ط٢، ٢٠٠٥م، ترجمة: عادل مصطفى، دار التنوير، القاهرة – مصر: ٥٧–٥٨.

ففي هذا النص يقدم الفيلسوف الروماني فكرة أولية عن المسؤولية الاجتماعي بطابعها الأخلاقي، وأنها ليست مجرد واجب خارجي، بل هي مسؤولية أخلاقية تساهم في تقوية أواصر المجتمع وللحفاظ على القيم والمبادئ المشتركة بين عامة الناس، عبر التمسك بمفاهيم العدالة والتعاون بين افراد المجتمع في إطار الواجبات المتبادلة بينهم.

وهكذا أيضًا كانت الفكرة حاضرة لدى الفيلسوف الرواقي سينكيا[1] (ت:٦٥م) الذي نلمس في ابحاثه فكرة المسؤولية الاجتماعية من منظور فلسفي يعتمد على الفضيلة والواجب الأخلاقي، وهذا ما أكد عليه في كتابه رسائل إلى لوسيليوس، إذ يركز سينكيا على أنه يجب على الفرد العيش وفقًا لمبادئ الأخلاق والعدالة الاجتماعية، إذ من واجب كل فرد أن يساهم في رفاه المجتمع عن طريق التعاون مع الجميع وتقبل الواجبات الأخلاقية بروح الفضيلة والانسجام مع المجتمع[2]، وكذلك كان يعتقد الفيلسوف الرواقي ماركوس أوريليوس[3]، إذ تركزت فلسفته على فكرة الواجب الأخلاقي

(١) لوشيوس أنّايوس سِينِكا (٤ ق.م – ٦٥ م) هو فيلسوف رواقي، وخطيب، وكاتب مسرحي، ورجل دولة روماني، عاصر الإمبراطور نيرون وعمل مربّيًا ومستشارًا له. يُعد سِينِكا من أبرز مُمثلي الفلسفة الرواقيّة، حيث ترك مؤلفات غنية تناولت الأخلاق، وضبط النفس، وطبيعة السعادة، وكيفية مواجهة المحن وتقلبات الحياة. يرى سِينِكا أن الحكمة تنبع من السيطرة على الذات، وتنقية القلب من الأهواء، وتحقيق التناغم مع الطبيعة، مؤكدًا على ضرورة عيش حياة تتسم بالفضيلة والسلام الداخلي، مهما كانت تحديات الواقع الخارجي. قصة الحضارة: قيصر والمسيح، ويل دورانت، ط١، ٢٠٠١م، ترجمة: زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر: ٤٠٧/٣.

(٢) ظ: رسائل إلى لوسيليوس، لوسيوس آنيوس سينكيا (ت: ٦٥م)، ط١، ١٩٩٧م، ترجمة: جوزيف كامل، الناشر: المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر: ٢٧٥.

(٣) ماركوس أوريليوس أنتونينوس (١٢١–١٨٠ م) إمبراطور روماني وفيلسوف رواقي، عُرِف بلقب "الفيلسوف على العرش". كانت له مؤلَّفة مشهورة بعنوان (التأملات) تتضمَّن ملاحظات عن الحياة، والسلوك الأخلاقي، وضبط النفس، وقبول الطبيعة وحتمية القدر. يرى ماركوس أوريليوس أن سعادة الفرد وحريته الحقيقية تتحقَّقان بمواءمة النفس مع النظام العقلي للكون، وممارسة الفضيلة، وتنقية القلب من الأهواء، وخدمة العدالة والخير العام. موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ط١، ١٩٨٤م، وكالة المطبوعات، الكويت: ١٠٢١/٢

تجاه المجتمع والكون ككل، ويرى أن الفرد هو عبارة عن جزء أساسي من المجتمع الكبير، والمفروض عليه أن يقوم بواجباته تجاه المجتمع بروح التضامن والفضيلة[1].

إن عدم حضور مفهوم المسؤولية الاجتماعية بهذا اللفظ عند الفلاسفة الرواقين، لا يعني عدم حضور فكرتها لديهم، وهذا ما لاحظناه في فلسفتهم عند الحديث عن فلسفة العدالة والتعاون والفرد والجماعة ونوع العلاقة بينهما.

كما أن المفاهيم المطروحة على ساحة البحث لديهم تتشارك مع بعض المبادئ في الشريعة الإسلامية حول معنى وفكرة المسؤولية الاجتماعية، إذ عند الفلاسفة الرواقين يعتبر الفرد جزء من النسيج العام للمجتمع، وعليه واجب المشاركة الفاعلة من خلال المبادئ الأخلاقية وروح الفضيلة خدمة للصالح العام، وذلك يلتقي مع مبدأ التعاون كما في قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ**﴾[2].

ورغم وجود بعض التوافق في الهدف بين الفلسفة الرواقية وبعض المبادئ الإسلامية، إلا أنه توجد فوارق عدة بينهما، إذ الفلسفة الرواقية تعد العقل مرشد أساسي للأخلاق والمسؤولية الاجتماعية، بينما في الشريعة الإسلامية تستند بعد استنارة العقل على النية وبواعثها والإيمان والتقوى وصلاح العمل، أي المسؤولية الاجتماعية في الشريعة الإسلامية لا تعتمد على العقل فقط، بل تستند إلى هدى الوحي الإلهي ومنظومة القيم والمبادئ الحقة،

إذ تعد التوجيهات الإلهية هي المصدر الأساسي للأخلاق، بينما تستند الفلسفة الرواقية كما عرضنا سلفًا على الفضيلة العقلية واعتبارها عنصرها مركزيًا لفكرة لمسؤولية الاجتماعية، في حين نجد أن الشريعة الإسلامية تجمع بين المسؤولية الاجتماعية

(1) ظ: التأملات، ماكوس أوريليوس، ط١، ٢٠١٦م، ترجمة: عبدالله عويضة، الناشر: المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر: ١١٥ – ١١٦.

(2) سورة المائدة، الآية: ٢.

والبعد الروحي والإيماني للمجتمع، وهو ما يمنحها بعدًا واسعًا يتعدى المفهوم العقلي المجرد إلى الارتباط الروحي بين الفرد وخالقه والفرد ومجتمعه والمجتمع مع الأمة والأمة مع باقي الأمم، وهذا ما يميز المسؤولية الاجتماعية في الشريعة الإسلامية عن فكرتها لدى الفلاسفة الرواقين.

المطلب الثالث: المسؤولية الاجتماعية في الفكر الحديث:

تَوَسَعَ مفهوم المسؤولية الاجتماعية في ظل التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها العالم خلال القرون الأخيرة، وأصبح المفهوم يركز على الربح المادي للشركات، إذ تطور المفهوم من كونه مجرد التزام أخلاقي إلى إطار استراتيجي يعتمد على معايير وقيم تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز رفاهية للمجتمع.

إذ قدم بعض المفكرين نظرياتهم في هذا المجال، أمثال المفكر ميلتون فريدمان، الذي أكدّ على أن المسؤولية الرئيسة للمؤسسات هي تحقيق الأرباح للمساهمين، وأنه لا يجب على الشركات أن تتحمل أعباء المسؤولية الاجتماعية إلا إذا كانت تؤثر على أرباحها بشكل مباشر[1]، وجاء إدوارد فريمان بنظرية أصحاب المصلحة، التي ترى أن على المؤسسات أن تأخذ في اعتبارها تأثير قراراتها على جميع الأطراف المعنية مثل الموظفين والموردين والعملاء والمجتمع وليس المساهمين فقط[2].

في ضوء ذلك تحوَّل مفهوم المسؤولية الاجتماعية من مجرد التزام أخلاقي تجاه المجتمع إلى استراتيجية تنظيمية تدعم التنمية المستدامة وتلبية احتياجات المجتمعات المحلية، بدايات تطور المفهوم كانت مع الفكر الليبرالي الاقتصادي الذي مثله

(1) ظ: الرأسمالية والحرية، ميلتون فريدمان (ت: ٢٠٠٦م)، ط٥، ٢٠١٧، ترجمة: مروة عبد الفتاح شحاتة، مراجعة: حسين محمود التلاوي، الناشر: مؤسسة هنداوي، الولايات المتحدة الأمريكية: ١٣٥.

(2) ظ: إعادة التفكير في المسؤولية الاجتماعية، إداورد فريمان (ت:١٨٩٢م)، ط٢، ٢٠١٠م، بلا ترجمة، مطبعة جامعة كامبريدج، الولايات المتحدة الأمريكية: ٧٧.

مفكرون أمثال آدم سمث الذي ركز على فكرة اليد الخفية، التي تجعل تحقيق الربح يعود بالنفع على المجتمع بشكل غير مباشر[١]، ثم تطور المفهوم في مرحلة التنظيم القانوني، إذ طرح ميلتون فريدمان[٢]، فكرة أن المسؤولية الاجتماعية الأساسية للشركات تكمن في تعظيم الأرباح للمساهمين، بشرط أن يتم ذلك ضمن إطار القوانين والأنظمة السائدة[٣]، إلى ظهر التوجه الحديث للمؤسسات الكبرى التي بدأت تتبنى مفهوم أصحاب المصلحة الذي قدمه إدوارد فريمان[٤]، على الشركات مراعاة مصالح جميع الأطراف المتأثرة بأنشطتها وليس فقط المساهمين[٥]، ثم بعد ذلك طرح كارول أشاري[٦]، الأبعاد الأربعة للمسؤولية الاجتماعية، إذ أشار إلى البُعد الاقتصادي

---

(١) ظ: المسؤولية الاجتماعية: نظرية الممارسات والتطبيقات، مركز الفكر الاقتصادي، ط١، ١٩٩١م، الناشر: دار الساقي، بيروت – لبنان: ٥٥.

(٢) ميلتون فريدمان هو اقتصادي أمريكي بارز، وحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٧٦، ويعد من أبرز رواد المدرسة النقدية .(Monetarism) عمل أستاذًا بجامعة شيكاغو، حيث طوّر نظريات حول دور عرض النقود والسياسة النقدية في تحديد معدلات التضخم والنمو الاقتصادي. دعا إلى الحد من تدخل الدولة في الاقتصاد، مؤمنًا بأن السوق الحرة، إلى جانب سياسات نقدية مستقرة، هي المحرّك الأساسي للنمو وتحقيق الرفاه الاجتماعي. تركت كتاباته، مثل كتاب »**الرأسمالية والحرية**«، أثرًا عميقًا على الفكر الاقتصادي والسياسي العالمي طوال القرن العشرين. مبادئ الاقتصاد الكلي، بلانشارد أوليفييه، ط١، ٢٠١٤م، ترجمة علي خليل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان: ٤٧.

(٣) ظ: الرأسمالية والحرية، ميلتون فريدمان: ١٤٥.

(٤) إدوارد فريمان (وُلِد عام ١٩٥١) هو أستاذ أمريكي بارز، وفيلسوف اقتصاد، ومؤسس نظرية أصحاب المصلحة .(Stakeholder Theory) يعمل أستاذًا لإدارة الأعمال بجامعة فيرجينيا، وتتركّز أبحاثه على أخلاقيات الأعمال، وفلسفة المسؤولية الاجتماعية، حيث يرى أن نجاح المؤسسات الاقتصادية يعتمد على تفاعلها العادل والمتوازن مع جميع الأطراف ذات العلاقة (الموظفون، العملاء، الموردون، المجتمع، والبيئة)، وليس على مصلحة المساهمين وحدهم. الموسوعة البريطانية على الشبكة (Encyclopaedia Britannica): R. Edward Freeman.

(٥) ظ: الرأسمالية والحرية، ميلتون فريدمان: ١٦٥.

(٦) هو أستاذ أمريكي بارز متخصص في أخلاقيات الأعمال والمسؤولية الاجتماعية للشركات، عمل لعدة عقود بجامعة جورجيا. عُرِف بفضل تطويره »**هرم كارول للمسؤولية الاجتماعية**«. الموسوعة البريطانية (Encyclopædia Britannica): Archie B. Carroll.

والقانوني والأخلاقي والخيري، وأكد على ضرورة دمج هذه الأبعاد لتحقيق التنمية المستدامة[1].

(1) ظ: المسؤولية الاجتماعية: نظرية الممارسات والتطبيقات، مركز الفكر الاقتصادي: ٧٤.

الفصل الأول: التمييز بين المسؤولية الاجتماعية والفردية وبيان ابعادها وضوابطها..

الفصل الأول: التمييز بين المسؤولية الاجتماعية والفردية وبيان ابعادها وضوابطها:

المبحث الأول: التمييز بين المسؤولية الاجتماعية والفردية في القرآن الكريم

المبحث الثاني: ابعاد المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

المبحث الثالث: ضوابط المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

المبحث الأول: التمييز بين المسؤولية الاجتماعية والفردية في القرآن الكريم

القرآن الكريم جاء بتشريعات شاملة تتناول جوانب الحياة الإنسانية كافة، بما في ذلك جوانب المسؤولية الفردية والاجتماعية، وقد ذكر القرآن هذين النوعين من المسؤوليات بأساليب متعددة، تؤكد على أن الإنسان ليس معزولاً في تكليفه، وإنما مسؤول عن ذاته ومحيطه الاجتماعي، ومن هنا تظهر أهمية التفريق بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الاجتماعية لفهم دور الإنسان في الإسلام، قبل إجراء المقارنة بينهما لا بدَّ من تعريف المفهومين من منظور قرآني، ثُم عرض نماذج تطبيقية لكل منهما، وبعد ذلك بيان الفوارق وما تمتاز به كل منهما عن الأخرى:

المطلب الأول: مفهوم المسؤوليتين في ضوء القرآن الكريم

أولًا- المسؤولية الفردية: التي هي: (شعور الإنسان بإلتزامه أخلاقيًا بنتائج أعماله الإرادية فيحاسب عليها إن خيرًا وإن شرًا)[1]، وهي لا تقتصر فقط على النتائج الإرادية، بل تشمل أيضًا النية والموقف في حال التراخي أو الامتناع في مواضع تستلزم الفعل، كما في قوله تعالى: ﴿**وقفوهم إنهم مسؤولون**﴾[2].

مما يعني أنها حالة يكون فيها الإنسان صالحًا للمؤاخذة على أعماله وملزمًا بتبعاتها المختلفة[3]، مما يترتب عليه تحمل الشخص نتائج وعواقب التقصير الصادر عنه، أو من يتولى رقابته أو الإشراف عليه[4]، وإن يكون الفرد مسؤولًا عن كل قراراته

---

(1) المعجم الفلسفي، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١، ١٩٧٩م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة – مصر: ٥٤/٣.

(2) سورة الصافات، الآية:٢٤.

(3) ظ: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول (صلى الله عليه وآله)، إشراف: صالح بن عبدالله الحميد، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوسيلة للنشر والتوزع: ٢٤٠٠/٨.

(4) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان: ١/ ٣٩٢.

واعماله[1]، وذلك يكون على المستوى الفردي، وإن كان لها بعض الآثار الاجتماعية، إذ من النادر أن نجد فعلًا فرديًا ليس له آثر اجتماعي؛ لأن الإنسان مهما تكن درجة انعزاله عن الناس وانفراده بأعماله عنهم، إلا أن تأثير تلك الاعمال على مجتمعه ومحيطه اوضح من الشمس في واضحة النهار.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد وجودها بشكل صريح في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾[2]، إذ ورد في تفسيرها ما ذكره الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) في تفسيره التبيان قائلًا: (إن كل نفس مكلفة مطالبة بما عملته وكسبته من طاعةٍ أو معصيةٍ)[3]، وذهب إلى نفس المعنى الذي استظهره الشيخ الطوسي رحمه الله جمعٌ من المفسرين[4]، والآية واضحة في معنى المسؤولية ومعنى الجزاء الأخروي، وتتضمن الآية معنى أخلاقي رفيع إذ تشير ضمنًا إلى ضرورة وعي الإنسان بأفعاله واقواله وكل حركاته وتحمّله مسؤولية اختياراته، وهناك معنى تربويًا آخر تضمنته الآية وهو الحرية والاستقلالية في العمل.

ثانيًا: المسؤولية الاجتماعية: كما أشرت لتعريفها سابقًا هي: الشعور الذاتي المبني على إيمان المجتمع بضرورة العمل بكل ما يفرضه الشرع عليهم من واجبات ويحدد لهم من حقوق.

---

(1) ظ: التربية الأخلاقية والإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، مقداد يالجن: ٩٩.

(2) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(3) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٨٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان: ٢٥/١٠.

(4) ظ: الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ) في تفسيره مجمع البيان: ١٨٣/١٠، والسيد محمد حسين الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) في تفسيره الميزان: ٩٦/٢٠، والشيخ محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ) في تفسيره الكاشف: ٤٥٦/٧، والسيد محمد حسين فضل الله (ت: ١٤٣١هـ) في تفسيره من وحي القرآن: ٢٣٠/٧، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر) في تفسيره الأمثل: ٤٦٠/١٤، والسيد محمد تقي المدرسي (معاصر) في تفسيره

وقد أشار القرآن الكريم إلى مسؤولية التعاون الاجتماعي، قال سبحانه: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾[1]، وكذلك أوضح مسؤوليتهم في الدعوة إلى الخير، والأمر المعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[2]، وقد ذكر الرازي في تفسيره إنّ الدعوة إلى الخير والأمر والنهي قد يشمل جميع الأمة إذا كانت حرف مِنْ هنا بيانية وليست تبعيضية، ليكون معنى الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر[3].

المطلب الثاني: التمييز بين المسؤولية الفردية والاجتماعية:

للتمييز بين المسؤوليتين الفردية والاجتماعية، لا بدَّ من بيان المحاور الأساسية التي تمتاز كل منها عن الأخرى وتتميز من خلالها على الثانية، ولذلك ستكون محاور التمييز بينهما من خلال النطاق والهدف والإلزام والتأثير والأدوات، وهي كما يأتي:

أولًا- النطاق :

١-المسؤولية الفردية: ترتبط مسؤولية الفرد أمام الله تبارك وتعالى عن أفعاله واقواله دون غيره، مثل الصلاة والصيام والزكاة، قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[5]، فالإنسان مسؤول عن كلامه كما هو مسؤول عن أعماله وكل حركاته وسكناته.

(1) سورة المائدة، الآية: ٢.

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي (ت:٦٠٦هـ): ١٨٨/٨.

(4) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(5) سورة ق، الآية: ١٨.

٢-المسؤولية الاجتماعية: تتسع المسؤولية لتشمل كل أبناء المجتمع، مثل إعانة المحتاجين ونشر العدالة، والتعامل بالخير والحسنى، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [٢]، وقال تعالى:﴿**... وقُولُوا للنَّاسِ حُسْناً**﴾ [٣]، المطلوب من المجتمع هو الإلتزام التام عن إيمان صادق بكل تعاليم الوحي وارشاداته.

ثانيًا- الهدف:

١-المسؤولية الفردية: تهدف إلى صلاح النفس ونجاتها في الآخرة، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾ [٤].

٢-المسؤولية الاجتماعية: تهدف إلى تحقيق التكافل والإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٥]، ورابطة الأخوة توجب النصح والإرشاد والإصلاح، وهذا يدل على أن تحقيق السلام الاجتماعي جزء من المسؤولية الاجتماعية.

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٢٤-٢٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٤) سورة الزلزلة، الآية: ٦.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

ثالثًا- الإلزام:

١-الإلـزام فـي المسـؤولية الفرديـة إلـزام فـردي محـض يعتمـد علـى الإيمـان والعبـادة، قـال تعـالى: **﴿مَـنْ عَمِـلَ صَـالِحًا فَلِنَفْسِـه﴾** [١]، ومثـال ذلـك كـل العبـادات الفرديـة، كالصلاة والصيام والزكاة.

٢- الإلـزام فـي المسـؤولية الاجتماعيـة إلـزام جمـاعي، إذ يـأتي الخطـاب القرآنـي بصـيغة عامـة تشـمل الجميـع، بهـدف تحقيـق مصـالح الأمـة ورفاهيـة المجتمـع وتقدمـه قـال تعـالى: **﴿وَلَا تُفْسِـدُوا فِـي الْأَرْضِ بَعْـدَ إِصْـلَاحِهَا﴾** [٢]، وهـذا الالـزام الجمـاعي لا ينفـي فرديتهـا، إذ تتضـمن عناصـر فرديـة داخـل الجماعـة، بحيـث يتحمـل الأفـراد أدوارًا محـددة فـي الإطـار الجمعـي، كمـا فـي قولـه: **﴿ولـتكن مـنكم أمـة يـدعون إلـى الخيـر﴾**[٣]، أي: جماعة[٤].

رابعًا- التأثير:

١-المسـؤولية الفرديـة: تـؤثر علـى الفـرد شخصـيًا، وعلـى نـوع العلاقـة مـع خالقـه، قـال تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾** [٥].

٢-المسـؤولية الاجتماعيـة: تهـدف إلـى سـلامة المجتمـع وحفظـه وصـيانته والمحافظـة على حقوقه، قال تعالى: **﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُمْ﴾** [٦].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٤) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٣٥٨/٢.

(٥) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

خامسًا- الوسائل:

١-المسؤولية الفردية: المسؤولية الفردية تعتمد في وسائلها على مفردات، العبادة والإيمان والدعاء، قال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ (١).

٢- المسؤولية الاجتماعية: تفعّل من خلال وسائلها هي: التعاون والنصيحة والإصلاح، قال تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ**﴾(٢)، استثنى من جملة الناس المؤمنين الصادقين بتوحيد الله، وأوصى بعضهم بعضًا باتباع الحق واجتناب الباطل(٣)، المسؤولية الفردية تجب في ذمة الفرد وتُعدّ واجبًا عينيًا لا يُسقطه أداء الآخرين، بينما المسؤولية الاجتماعية واجب كفائي، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإلا فالكل مسؤول.

المطلب الثالث: التفاعل بين المسؤولية الاجتماعية والفردية في القرآن الكريم:

يتضح من خلال التأمل في نصوص القرآن الكريم أن هناك ترابطًا وثيقًا وتفاعلًا متبادلاً بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الاجتماعية، بحيث لا يمكن الفصل التام بينهما، إذ يؤدي التزام الفرد بمسؤوليته إلى تحقيق أثر إيجابي في المجتمع، كما أن بنية المجتمع الصالح تسهم في ترسيخ سلوك الفرد وتقويمه، فالعلاقة بينهما علاقة تكاملية وتفاعلية، تتجسد في العديد من الآيات القرآنية، ومن أبرز الآيات الدالة على هذا التفاعل، قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ (٤)، إذ أراد الله للإنسان أن يملك حريته، ويتحمل مسؤولية نفسه من موقع هذه الحرية، كما

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٢) سورة العصر، الآية: ٣.

(٣) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٤٣٥/١٠.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١١.

أراد أن يدفعه إلى أن يواجه عملية التغيير في الخارج بواسطة التغيير في الداخل[1]، وذلك يؤكد أن التغيير المجتمعي لا يتحقق إلا إذا بدأ الأفراد بتغيير ذواتهم، ما يدل على أن الإصلاح الفردي شرط أساس للإصلاح الاجتماعي، وهو ما يعكس التداخل بين المسؤوليتين.

كما يتجلى هذا التفاعل أيضًا في قوله تعالى: ﴿**من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا**﴾[2]، تشير الآية إلى حقيقة اجتماعية تربوية مهمة، وهي أن قتل أي إنسان، إن لم يكن قصاصا لقتل إنسان آخر، أو لم يكن بسبب جريمة الإفساد في الأرض، فهو بمثابة قتل الجنس البشري بأجمعه، كما أن إنقاذ أي إنسان من الموت، يعد بمثابة إنقاذ الإنسانية كلها من الفناء[3].

يتضح من ذلك الارتباط الوثيق بين الفعل الفردي وتأثيره الضخم على المجتمع، وعليه فالتفريق بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الاجتماعية في القرآن لا يعني الفصل بينهما، بل هو تأكيد على أن الفرد مسؤول عن نفسه ومجتمعه في آن واحد، والقرآن الكريم يدعو إلى التوازن بين أداء الواجبات الشخصية وبين التفاعل الإيجابي مع المجتمع، لأن التزام الأفراد بتحقيق العدالة والقيم الأخلاقية داخل المجتمع يعزز من استقرار الفرد والمجتمع على حد سواء.

(1) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله (ت:١٤٣١هـ)، ط٣، ٢٠١٨م، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت – لبنان:١٠/٧٠.

(2) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(3) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:٣/٦٨٥.

المبحث الثاني: ابعاد المسؤولية الاجتماعية في والقرآن الكريم

المسؤولية الاجتماعية لها ابعاد كثيرة، منها ما يرتبط بالجانب الإيماني للمجتمع وكل ما يسمو به نحو الكمال ويتمثل ذلك بالبعد الروحي، ومنها ما يرتبط بسلوك الناس وطريقة تعاملهم فيما بينهم المتمثل بالبعد الأخلاقي ويشتمل على العلاقات الداخلية للمجتمع، ومنها ما يرتبط بعلاقاتهم الخارجية مع المجتمعات الأخرى والمتمثل بالبعد العالمي والحضاري للمجتمع المسؤول، وهي كما يأتي:

المطلب الأول: البعد الروحي للمسؤولية الاجتماعية:

البعد الروحي للمسؤولية الاجتماعية يشير إلى الأساس الإيماني الذي يُلهم الأفراد والمجتمعات طاقةً كبيرةً تدعوهم إلى تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين، هذا البعد يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان بالله وتقواه والاعتقاد بأن تحمل المسؤولية الاجتماعية هو جزء من تحقيق العبودية لله وتنفيذًا لأوامره، ينقسم هذا البعد إلى مقصدين أحدهما يرتبط بالإيمان بالله تعالى والآخرة بالتزكية، وهما كما يأتي:

المقصد الأول- الإيمان: يرتبطُ ارتباطًا كبيرًا بالمسؤولية الاجتماعية؛ لأن من مسؤولية المجتمع هو الإيمان بالله تعالى ورسله وانبيائه وكتبه وأئمته الهداة الميامين، وهو السبيل إلى نيل الحياة الطيبة، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: سألت النبي ﷺ، عن الايمان فقال: (تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان)[1]، فالإيمان بالله تعالى المقترن بالتقوى والعمل الصالح سبب لنزول البركات الإلهية من السماء والأرض كما عبرت الآية، أضف إلى أن الإيمان ليس مجرد شعورًا داخليًا منفصل عن العمل الذي يعد ترجمة حقيقة

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٦٨/٦٦.

الإيمان وتجسيدًا حيًا لأركانه، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (الايمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله بين في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه)[1]، تشير الرواية إلى أن الإيمان ليس مجرد قول، بل هو عمل يظهر أثره في سلوك المجتمع المؤمن، ومن هنا نعلم يقينًا أن الإيمان ينطوي على العمل الصالح في الحياة الاجتماعية، وهو التزام وطاعة لله تعالى في التمسك بتعاليمه وتوجيهاته، مما يحقق عنصر الحركة الاجتماعية التفاعلية وفق مبدأ المسؤولية الاجتماعية للابتعاد قدر الإمكان عن موارد التقصير ونفي الإضرار بالآخرين، حتى أن الإمام السجاد عليه السلام يطلب ذلك من الله تعالى في أحد ادعيته، إذ يقول: (اَللَّهُمَّ وَاِجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ اَلتَّوْحِيدِ وَاَلْإِيمَانِ بِكَ، وَاَلتَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ ، وَاَلْأَئِمَّةِ اَلَّذِينَ حَتَمْتَ طَاعَتَهُمْ مِمَّنْ يَجْرِي ذَلِكَ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ، آمِينَ رَبَّ اَلْعَالَمِينَ)[2]، ودلائل الإيمان في كتاب الله تعالى كثيرة، ولها آثار اجتماعية مختلفة وهي على قسمين، فبعض الآثار الوجودية ترتبط بالأيمان ارتباطًا مباشرًا، وبعضها يرتبط بعدم الإيمان، وسنذكر نماذج من القسمين بما يحقق الغرض، وهي كما يأتي:

أولًا- آيات الإيمان وآثارها الاجتماعية:

١- و قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾[3]، وعد جميل للمؤمنين ان عملوا عملًا صالحًا وبشرى للإناث ان الله لا يفرق بينهن وبين الذكور في قبول ايمانهن ولا أثر عملهن الصالح الذي هو الاحياء بحياة طيبة والأجر بأحسن العمل على الرغم مما بنى عليه أكثر

(1) الكافي، الشيخ الكليني: ٣٤/٢.

(2) الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام: ٥٨.

(3) سورة النحل، الآية: ٩٧.

الوثنية وأهل الكتاب من اليهود والنصارى من حرمان المرأة من كل مزية دينية أو جلها وحط مرتبتها من مرتبة الرجل ووضعها وضعا لا يقبل الرفع البتة[1]، إذ ليس في الإسلام فرق بين الرجل والمرأة لجهة تقييم الأعمال وتقدير النتائج ... وليس لأي منهما خصوصية في حساب المسؤولية فهما سواء في عبوديتهما ومسؤوليتهما أمامه سبحانه وتعالى[2]، ولأن الإيمان بالله تعالى معناه سير البشرية نحو المُثُل الأعلى سيرًا واعيًا قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ**﴾[3]، (حينما تتقدم الإنسانية في هذا المسار واعيةً على المُثُل الأعلى وعيًا موضوعيًا يكون التقدم تقدمً مسؤولًا وذلك يُعتبر عبادةً بحسب لغة الفقه، ويكون طاعة عن يقين بحسب لغة علم الكلام، ويكون عقدًا اجتماعيًا بحسب لغة السياسة)[4].

٢- قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[5]، أي (أن أهل القرى لو آمنوا واتقوا لفتح الله سبحانه بركات السماء من الأمطار والثلوج والحر والبرد وغير ذلك، كل في موقعه وبالمقدار النافع منه، وبركات الأرض من النبات والفواكه والأمن وغيرها، وهذا خير دليل على أن افتتاح أبواب البركات مسبب لإيمان أهل القرى جميعاً وتقواهم، أي أن ذلك من آثار إيمان النوع الإنساني و تقواه)[6]، هذه الآية نظير قوله

(1) الميزان في تفسير القرآن، االسيد الطباطبائي: ١٢/٣٤١.

(2) من وحي القرآن الكريم، السيد محمد حسين فضل الله: ٤/٢٣٠.

(3) سورة الإنشقاق، الآية: ٦.

(4) ظ: المدرسة القرآنية، الشهيد الصدر: ١٣٧.

(5) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(6) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٤/٢٥١.

تعالى: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾[1]، والمراد بالطريقة طريقة الإسلام، والاستقامة عليها لزومها والثبات عليها، على ما تقتضيه من الإيمان بالله وآياته[2]، وذلك يُعتبر من الآثار الوجودية لإيمان المجتمع وتقواه في الحياة الدنيا.

٣- قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ**﴾[3]، (الفرقان ما يفرق به بين الشيء والشيء، وهو في الآية بقرينة السياق وتفريعه على التقوى الفرقان بين الحق والباطل سواء كان ذلك في الاعتقاد بالتفرقة بين الايمان والكفر وكل هدى وضلال، أو في العمل بالتمييز بين الطاعة والمعصية وكل ما يرضى الله أو يسخطه، أو في الرأي والنظر بالفصل بين الصواب والخطأ فان ذلك كله مما تثمره شجرة التقوى)[4]، وهو نداءٌ للمؤمنينَ يدعوهم إلى تحمل مسؤولياتهم، في أن يسيروا على خط التقوى ويبتعدوا عن خطوات الشيطان ليفغر الله لهم ويزيدهم من فضله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[5].

٤- قال تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**﴾[6]، (فلا خوفٌ عليهم من المستقبل ولا حزنٌ على الماضي، للمؤمنين بالله تعالى وبرسالاته، وطبقوا برامج الرسالة تطبيقًا عمليًا على أرض الواقع بالتزام

---

(1) سورة الجن، الآية: ١٦.

(2) التقوى في القرآن، السيد كمال الحيدري، ط٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، مطبعة: ستارة، الناشر: دار فراقد، مشهد - إيران: ٧٨-٧٩.

(3) سورة الانفال، الآية: ٢٩.

(4) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٥٦/٩.

(5) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

(6) سورة يونس، الآية: ٦٢-٦٤.

صارم وتعهد مسؤول)[1]، وسُئِلَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام عن هذه الآية، فقيلَ له: مَنْ هؤلاءِ الأولياء؟ فقال: ((هُمْ قَوْمٌ أَخْلَصُوا لله تَعَالَى فِي عِبَادَتِهِ، وَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، فَعَرَفُوا أَجِلَهَا حِينَ غَرَّ النَّاسُ سِوَاهُمْ بِعَاجِلِهَا، فَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ وَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيُمِيتُهُم))[2]، وورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أنه قَالَ: (وَجَدْنَا فِي كِتَابٍ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام : **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** إِذَا أَدَّوْا فَرَائِضَ اللَّهُ وَأَخَذُوا سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ وَتَوَرَّعُوا عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَزَهِدُوا فِي عَاجِلِ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَرَغِبُوا فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَاكْتَسَبُوا الطَّيِّبَ مِنْ رِزْقِ اللَّهُ لِوَجْهِ اللهُ، لَا يُرِيدُونَ بِهِ التَّفَاخُرَ وَالتَّكَاثُرَ ثُمَّ أَنْفَقُوا فِيمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ حُقُوقٍ وَاجِبَةٍ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ بَارَكَ اللَّهُ هُمْ فِيهَا اكْتَسَبُوا وَ يُثَابُونَ عَلَى مَا قَدَّمُوا الآخِرَتِهِم)[3].

٥- قال تعالى: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [4]، هذه الآية تعد المؤمنين بتمكين دينهم المرضى لهم[5]، والاستخلاف والحريّة في الإيمان بالعقائد الحقّة، (لكن هذا الوعد الإلهي بتحقيق هذه الأمور لا يتم بمجرد ادعاء الإيمان أو الاكتفاء بممارسة العبادات والشعائر الظاهريّة من دون أن يتحوّل إلى حركة فاعلة)[6]، وهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمسؤولية

(1) من هدى القرآن، السيد المدرسي (دام ظله): ٤٠٨/٣.

(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣١٩/٦٦.

(3) م، ن: ٢٧٧/٦٦.

(4) سورة النور، الآية: ٥٥.

(5) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ١٩٨/٥.

(6) من نور القرآن، الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ط٤، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م، دار الصادقين للطاعة والنشر، العراق – النجف الأشرف: ٢٨١/٣.

الاجتماعية، من خلال العمل الصالح الذي يحقق عصر الفاعليّة، وسط التحديات الاجتماعية في الواقع المعاصر، وهذه التحديات الهائلة تضاعف علينا المسؤولية[1].

ثانيًا- آيات عدم الإيمان وآثارها الاجتماعية:

يُعَدُ الإيمانُ بالله تعالى واجب شرعي ودليله الآيات والروايات، وواجب أخلاقي؛ لأن العقل يحكم بوجوب شكر المنعم، والله تعالى هو المنعم على العباد، فوجب الإيمان به وطاعته شكرًا واعترافًا له تعالى، كما أنَّ الإيمان هو الفاصل بين بني البشر حسب التقسيم القرآني للناس، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِير**﴾ [2]، هذا التقسيم في القرآن يهدف إلى إيضاح مسؤولية الإنسان في اختيار طريقه، مع التأكيد على العواقب الواضحة لكل فريق سواء في الدنيا أو الآخرة، من هذا المنطلق تعرض الآيات القرآنية هذه الظاهرة من خلال ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [3]، الآية بظاهر لفظها عامة لا تختص بزمان دون زمان أو بمكان أو بواقعة خاصة، فالمراد بالبر والبحر معناهما المعروف ويستوعبان سطح الكرة الأرضية، والمراد بالفساد الظاهر المصائب والبلايا الظاهرة فيهما الشاملة لمنطقة من مناطق الأرض من الزلازل وقطع الأمطار والسنين والأمراض السارية والحروب والغارات وارتفاع الامن وبالجملة كل ما يفسد النظام الصالح الجاري في العالم الأرضي[4]، هذا الوصف القرآني كان في عصر الجاهلية، حيث لا أسلحة

([1]) من نور القرآن، الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله): ٢٨٢/٣.

([2]) سورة البقرة، الآية:٢.

([3]) سورة الروم، الآية: ٤١.

([4]) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ١٩٦/١٦.

كيمياوية ولا قنابل نووية، ولا شركات للاستغلال والاحتكار، ولا كَازينوهات وخلاعة، فبأي شيء نصف عالم اليوم الذي يهدده الفناء والدمار الشامل في كل لحظة[1].

الآية شديدة الوضوح وصريحة جدًا في أن اعمال الإنسان سببٌ لحصول ذلك، مما يعني أنه مسؤول عن ذلك كله، والآية تشير إلى حقائق لا يلتفت إليها أكثر الناس، ولذلك أكد أمير المؤمنين عليه السلام على الانتباه إلى آثار الذنوب المختلفة، إذ ورد في بعض فقرات دعاء كُميل: (اللّهمَّ اغفر لي الذُّنوب الَّتي تهتك العصم، اللّهمَّ اغفر لي الذُّنوب الَّتي تنزل النِّقم، اللّهمَّ اغفر لي الذُّنوب الَّتي تغيِّر النِّعم، اللّهمَّ اغفر لي الذُّنوب الَّتي تحبس الدُّعاء، اللّهمَّ اغفر لي الذُّنوب الَّتي تنزل البلاء، اللّهمَّ اغفر لي كلَّ ذنب أذنبته، وكلَّ خطيئَة أخطأتها)[2]، هكذا تضحي مسؤولية البشر عن أفعاله حقيقة لا فكاك منها في منطق القرآن، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾[3]، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية، قوله: (لَيْسَ مِن التِوَاءِ عِرْقٍ وَلَا نَكْبَةٍ حَجَرٍ وَلَا عَثْرَةِ قَدَمٍ وَلَا خَدْ عُودٍ إِلَّا بذَنبُ وَلَمَا يَعْفُو اللهُ أَكْثَرُ فَمَنْ عَجَّلَ اللهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي عُقُوبَتِهِ فِي الآخِرَةِ)[4]،وقد عبر الله عن عمل الذنب بما كسبت اليد، لأن اليد هي التي تباشر عادة فعل الذنب، وتعبير اليد تعبير عن الإرادة كقولك: هذا الأمر بيدك[5]، وهذا الأمر يشدد من عظيم حجم المسؤولية الاجتماعية وضرورة العمل على أساسها.

---

(1) التفسير الكاشف، الشيخ مغنية: ١٤٧/٦.

(2) المصباح، إبراهيم بن علي العامل الكفعمي (ت:٩٠٥هـ)، ط١، ٢٠٢٠م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان: ٥٥٥.

(3) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(4) الكافي، الشيخ الكليني (ت:٣٢٩هـ): ٤٤٥/٢. وبحار الأنوار، للحر العاملي (ت:١١٠٤هـ): ٣٤٩/٧٠.

(5) من هدى القرآن، السيد المدرسي: ٥٥/٧.

٢- قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [١]، (إن الله تعالى أرشد ثمود ًا إلى طريق النجاة، وأمرهم بسلوكه وحذرهم من المعصية، وبَيَّنَ لهم طريق الهلاك ونهاهم عنه، وانذرهم سوء العاقبة إن سلكوه، ولكنهم آثروه على طريق النجاة)[٢]، ولم يتحملوا مسؤولية الالتزام بدين الله تعالى ومسؤولية تطبيق تعاليمه، فكان جزاؤهم الوبال والخسران الكبير.

٣- قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ**﴾ [٣]، أي من لم ينظر في ذكري الذي هو القرآن والأدلة المنصوبة على الحق وصدف عنها فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى فالضنك الضيق الصعب، منزل ضنك أي ضيق، وعيش ضنك[٤]، أي معيشة ضعيفة تضغط عليه وتجلب له التعاسة[٥]، فهو دائماً في ضيق صدر وحنق مما وجد، متعلق القلب بما وراءه مع ما يهجم عليه من الهم والغم والحزن والقلق والاضطراب، والخوف بنزول النوازل وعروض العوارض من موت ومرض وعاهة وحسد حاسد وكيد كائد وخيبة سعي وفراق حبيب[٦].

٤- قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾[٧]، أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيهم وتكذيبهم رسلهم وركوبهم السيئات[١]، وقد استحال في

([١]) سورة فصلت، الآية: ١٧.

([٢]) التفسير الكاشف، الشيخ مغنية: ٤٨٣/٦.

([٣]) سورة طه، الآية: ١٢٤.

([٤]) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): ٢١٩.

([٥]) ظ: من هدى القرآن، السيد المدرسي: ٢٥٧/٥.

([٦]) ظ: التقوى في القرآن، السيد كمال الحيدري: ٨٣.

([٧]) سورة هود، الآية: ١١٧.

الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون، تنزيها لذاته[٢]، إذ تشير الآية إلى أن الهلاك والدمار يقع عندما ينتشر الظلم والفساد، وغالبًا ما يكون ذلك بسبب غياب الإيمان الذي يدعو إلى الإصلاح.

يظهر من هذه الآيات وغيرها مما ذكره القرآن الكريم وبعض الروايات الواردة في هذا المجال، أن المجتمعات التي تبتعد عن الإيمان تعاني من آثار وجودية خطيرة مثل الفساد والجوع، الخوف والفتن وضيق العيش، وأن الكفر والابتعاد عن الإيمان يؤديان إلى انتشار الفساد بكل صوره، بما في ذلك الأزمات البيئية والاجتماعية، وتؤكد الآيات أهمية الإيمان كركيزة أساسية لحياة إنسانية واجتماعية مستقرة ومزدهرة، ويبدو للباحث أن الكون يتعامل مع الإنسان من خلال نظرية أخلاقية كونية في غاية الدقة، بحيث يكون لكل فعل إنساني ردت فعل في الدنيا حسب نوع العمل ودرجته .

المقصد الثاني: التزكية: بعد الإيمان بالله تعالى تأتي مرحلة تزكية النفس، كونها أحد عوامل نجاح المسؤولية الاجتماعية على أرض الواقع، فالمجتمع المسؤول يسعى إلى السير وفق مقررات الرسالة الحقة وتعاليم الوحي الإلهي، ومن أهم هذه التعاليم هو التزكية، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [٣]، ولا يخفى أن التزكية وتهذيب النفس لها الأثر الكبير في بناء الفرد والمجتمع الصالح.

والأصل اللغوي للتزكية يدور حول عدة معاني، وهي: الطهارة، والنماء، والزيادة، والبركة، والمدح، والصلاح[٤]، وجميع هذه المعاني وردت في الاستعمال القرآني، وقد

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ): ١٨٣/١٢.

(٢) عقود المرجان في تفسير القرآن، السيد نعمة الله الجزائري (ت:١١١٢هـ): ٤٨٤/٢.

(٣) سورة الشمس، الآية: ٧-١٠.

(٤) ظ، لسان العرب، ابن منظور:٣٥٨/١٤-٣٥٩.

ذهب السيد حسن مصطفوي الى أن أصل التزكية ليس النماء، وانما هو تنحية كل ما يلزم تنحيته[١].

أما المعنى الاصطلاحي للتزكية، فقد قيل لأنها: تطهير النفس من نزعات الشر والإثم، وتنمية فطرة الخير فيها؛ مما يؤدي إلى استقامتها، وبلوغها درجة الإحسان[٢]، وقيل بأنها: وقيل: تخليص النفس الإنسانية من كل ما يتعلق بها من شوائب، ونواقص، وترسيخ الفضائل والقيم النبيلة والأخلاق السامية فيها، وتوجيهها إلى كل ما فيه الخير والصلاح[٣].

والذي يبدو للباحث أن المعنى الاصطلاحي للتزكية لا يبتعد كثيرًا عن معناه اللغوي، فكل المعاني المذكورة هي أوجه للتزكية ومظاهر لها، ويناسب ذلك تعريفها بأنها: التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

وجاءت التزكية في الاستعمال القرآني على ثلاثة وجوه وهي:

الوجه الأول: الإصلاح، قال تعالى: ﴿**خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [٤]، أي: تصلحهم بها.

الوجه الثاني: الثناء والمدح، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ**﴾ [٥]، أي: فلا تمدحوها[٦]

(١) ظ: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، السيد حسن مصطفوي: ٣٣٧/٤.

(٢) ظ: منهج الإسلام في تزكية النفس، الدكتور أحمد كرزون: ٥/١.

(٣) مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، نايف الشريف: ٢١٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت:٦٧١هـ): ٣٧/١١.

الوجه الثالث: الطهارة والنقاء، قال تعالى: ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا**﴾[1]، أي: طهرها من الذنوب والمعاصي[2].

يبدو مفهوم تزكية النفس في القرآن الكريم والسنة المطهرة له صلة كبيرة بالمسؤولية الاجتماعية، ويُعد عامل أساسي ومؤثر في عملية الإصلاح والبناء الاجتماعي والاستقرار والازدهار والتطوير والتقدم، وتتلخص العلاقة بين التزكية والمسؤولية الاجتماعية من خلال بيان النقاط الآتية:

أولًا- التزكية أساس للتكافل الاجتماعي: التكافل الاجتماعي في الإسلام تشريع أصيل نابع من صلب العقيدة الإسلامية، وهو ليس هبة من حاكم أو منحة من سلطان، وبما أن أحد أغراض التزكية هو تطهير النفس من البخل والأنانية وأي صفة تكون عقبة أمام صلاح الفرد وتقدم المجتمع، وتقديم المساعدة للمحتاجين والانفاق على الفقراء، والمساهمة في المشاريع الخيرية، وهذه الممارسات الاجتماعية تعكس لنا تجذر مفهوم المسؤولية الاجتماعية عند غالبية أبناء المجتمع، قال تعالى: ﴿**خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[3]، (فأمر نبيه عليه وآله السلام بأخذ صدقاتهم، تطهيرًا لهم بها من ذنوبهم، وفرض على الأمة حملها إليه)[4]، وهذا يشير إلى أن التزكية ليست فقط تطيرًا للنفس، بل هي مورد أساسي للتكافل الاجتماعي ومساعدة الآخرين، وشاهدنا بأم اعيينا في واقعنا المعاصر، حالات كثيرة من التكافل بين العراقيين أثناء نزوح بعض العوائل من بغداد وغيرها إلى كربلاء والنجف وغيرهما

(1) سورة الشمس، الآية: ٩.

(2) المحرر الوجيز، ابن عطية: ٤٨٨/٥.

(3) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(4) المقنعة، الشيخ **أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي** المشهور بالمفيد، (ت:٤١٣هـ): ٢٥٢.

من المحافظات، إذ تجسدت العطاء من خلال بذل الأموال لتقديم المساعدات واحتضان العوائل المهجرة.

٢- **التزكية صفة المجتمع الأخلاقي:** التزكية التي تستهدف صلاح الفرد أيضًا كما تستهدف صلاح المجتمع، والأول الثاني على الأول؛ لأن صلاح المجتمع قائم على صلاح الفرد، ولذا فإن مفهوم التزكية يسعى لإيجاد القيم الأخلاقية والمحافظة على التماسك الاجتماعي، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[١]،(كل ما في الإنسان يعكس المسؤوليّة التي حُمِّل إياها، فقد أُلهِمَ الفجور والتقوى، وأودع في داخله نوازع الشر وحوافز الخير، وسخرت له الأشياء لكي يستخدمها في واحد من السبيلين)[٢]، فالمسألة الأساسية في حياة الإنسان هي هذه التزكية، فإن حصلت سعد الإنسان وإلّا شقى وكان من البائسين[٣]، فإذا أراد الفرد سبيل الفلاح عليه بالتزكية، وفي تزكية الفرد صلاح المجتمع وتقدمه، وهذا هو جوهر المسؤولية التي تقوم على الفرد الملتزم أخلاقيًا.

٣- **التزكية والتربية:** ترتبط التزكية بالتربية ارتباطًا وثيقًا، وهي أحدى مهام الرسول الكريم ﷺ، إذ قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ**﴾[٤]، والعلم هو السمة الأساس التي يتسمُ بها المجتمع المسؤول، وهي سبب تقدم الأمم وازدهارها.

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٨-٩.

(٢) من هدى القرآن، السيد المدرسي: ٢٠٣/١٢.

(٣) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٣٨/٢٠.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٢.

يرى ابن سينا أن التربية تعني: إبلاغ الذات إلى كمالها الذي خلقت له[١]، ويرى الشيخ محمد الغزالي: والتزكية أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس، وتهذيب الطباع، وشد الإنسان إلى أعلى؛ كلما حاولت المثبطات والهواجس أن تسف به وتعوج[٢] وقيل: التربية طريقة الإعداد الإنسان الصحيح والصالح والمتميز بسلوكه الفكري والإنساني، والقادر على توظيف مصادر المعرفة لديه في حل مشاكله ومشاكل مجتمعه [٣].

والتربية التي ترتبط بالتزكية كما بينا، من أهم عوامل المسؤولية الاجتماعية، وأحد أبرز مقومات المجتمع المسؤول، وعنصر تقدمه ورفعته وكماله، وإن بناء المجتمع الفاضل، يرتبط بالعلم وتشييد الحضارة الإنسانية مرتبط بالعلم، وميزان قيمة الناس بعد التقوى بالعلم، ولذلك قال الله تعالى : **﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير﴾**[٤].

٤- الوقاية: جاء في مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني أن الوِقَايَةُ هي: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه، يقال: وَقَيْتُ الشيءَ أَقِيه وِقَايَةً ووِقَاءً[٥]، قال تعالى: **﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾**[٦]، وقال تعالى: **﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾**[٧]، **وقال أيضًا: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ**

(١) ظ: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ٢٦٦.

(٢) ظ: نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، محمد الغزالي: ١٠.

(٣) ظ: المبادئ التربوية في القرآن الكريم، آراس محمد صالح: ٤.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٦.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨٨١.

(٦) سورة الإنسان، الآية: ١١.

(٧) سورة الدخان، الآية: ٥٦.

فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾[1]، وقال سبحانه: **﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ﴾**[2].

التزكية تنتج لنا عنصرًا مهمًا من عناصر المسؤولية الاجتماعية، ألا وهو عنصر الوقاية، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[3]، فإذا كان المؤمن يشعر بالمسؤولية أمام الله عما يقول ويفعل، ويخاف من غضبه وعذابه، فإن عليه أن يعلم انه مسؤول أيضًا أمام الله عن أهلهِ وأولادهِ، وان من واجبهِ أن يمدَ يدهُ إلى العمل على صلاحهم وتقويمهم[4]، (وُجِّهَ الخِطابُ إلى المُؤْمِنِينَ لِيَأْتَسُوا بِالنَّبِيءِ ﷺ في مَوْعِظَةِ أهْلِيهِمْ، وعَبَّرَ عَنِ المَوْعِظَةِ والتَّحْذِيرِ بِالوِقايَةِ مِنَ النّارِ عَلى سَبِيلِ المَجازِ لِأنَّ المَوْعِظَةَ سَبَبٌ في تَجَنُّبِ ما يُفْضِي إلى عَذابِ النّارِ أوْ عَلى سَبِيلِ الِاسْتِعارَةِ بِتَشْبِيهِ المَوْعِظَةِ بِالوِقايَةِ مِنَ النّارِ عَلى وجْهِ المُبالِغَةِ في المَوْعِظَةِ)[5]، يتضح من ذلك أنَّ وقاية النفس وقاية للمجتمع، والوقاية تحصين للمجتمع ضد مختلف ألوان الأمراض الاخلاقية، والهجمات الفكرية عبر الإعلام المضاد والجيوش الإلكترونية، أضف إلى أن الوقاية تصنع مجتمعًا متعلمًا وعاملًا، يسير في حركته الاجتماعية ضمن الخطوط العريضة الواضحة للشريعة، يتعامل مع الآخرين انطلاقًا من مبادئ الوحي وقيم الرسالة، لكي لا يقع في حبائل الشيطان، والوقوع قي فتنهِ، قال تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**

---

(1) سورة الرعد، الآية: ٣٤.

(2) سورة الرعد، الآية: ٣٧.

(3) سورة التحريم، الآية: ٦.

(4) تفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية (ت:١١٤٠هـ): ٣٦٥/٧.

(5) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ): ٣٦٥/٢٨.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1]، وأفضل وسيلة للوقاية هي بالعودة إلى الله تعالى والالتزام التام بجميع تعاليمه وارشاداته، قال تعالى: **﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾**[2].

وجاء في أحد خطب أمير المؤمنين ﷺ قوله: (إنّ الوفاء توأم الصّدق، ولا أعلم جنّة أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيسا)[3]، فجانب الوقاية في المسؤولية الاجتماعية يتعلق بأخذ التدابير التي تقي المجتمع الإيماني من الوقوع في الفساد والانحراف عن جادة الصواب.

المطلب الثاني: البعد الأخلاقي: يمثل البُعد الأخلاقي أحد المرتكزات الأساسية للمسؤولية الاجتماعية، إذ تُعد الأخلاق من القيم التي أكد عليها الأنبياء في دعواتهم، ووجهوا المجتمعات للاهتمام بها بوصفها محورًا للسلوك القويم، كما روي عن النبي ﷺ: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[4]، واستهدفته جميع الشرائع السماوية، فالمجتمع الذي يغيب عنه الالتزام الأخلاقي، يفتقد القيم التي تمنحه هوية دينية راسخة، وتفقده مصداقية الانتماء الحقيقي، ولكن ما هي الأخلاق؟ الأخلاق جمع كلمة الخُلُق بضمتين وهي كما ذكرها مسكويه (ت:٤٢١هـ): (حال النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر وروية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب، وربّما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولًا

(1) سورة الانفال، الآية: ٢٥.

(2) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(3) نهج البلاغة، الإمام علي بن ابي طالب عليهما السلام، شرح علي محمد علي دخيل، ط١، ٢٠١٩م، مطبعة الاعلم، بيروت–لبنان: ١/١٧٤.

(4) بحار الأنوار، الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ):٦٧/٣٧٤.

فأولًا حتى يصير ملكةً وخُلقًا)[1]، لم تختلف كثيرًا تعريفات علماء الأخلاق والسلوك[2] عن هذا التعريف لكلمة الأخلاق، وقد تعددت آراء الفلاسفة والعلماء في تحديد مفهوم الأخلاق، ومن أبرزها رأيان رئيسيان سيتم بيانهما في الفقرات الآتية:

الأول: الشيخ اليزدي (ت:١٤٤٢هـ)، يقول: (الأخلاق تعني نفس الأفعال التي تستحق المدح أو الذم)[3].

الثاني: ألبرت شفيتسر، يقول: (الأخلاق نشاط الإنسان الموجه إلى كفالة الكمال الباطن لشخصيته)[4].

والمفهوم الأول أدق؛ وذلك لانسجامه مع كلمة الخُلق -بالضم- من الناحية الاصطلاحية، والثاني فإنه ينسجم مع الغاية من علم الأخلاق لا بمفهومه[5]، ويبدو للباحث أن احدهما يكمل الآخر، إذ الفعل الذي يستحق المدح أو الذم ينبغي توجيهه قدر الإمكان ليتوافق مع قيم الخير ومبادئ الحق، وتعريف علم الأخلاق بأنه ممارسة عملية مستمرة للفضائل والقيم السامية بمقتضى مبادئ ومعايير عقلية عامة[6]، يؤكد

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد الرازي مسكويه (ـ٤٢١هـ)، ط٢، ٢٠٠٥م، تقديم: حسن تميم، الناشر: انتشارات مهدوي، طهران – إيران: ٥١.

(٢) منهم الشيخ النراقي (ت:١٢٠٩هـ)، في جامع السعادات: ٢٢/١. والسيد عبد الله شبر(ت:١٢٤٢هـ)، في كتابه الأخلاق:١٠، والسيد محمد حسين الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ)، في الميزان في تفسير القرآن:٢٧/٢٠. . والسيد الخميني (ت:١٤٠٩هـ)، في الأربعون حديثًا: ٤٥٩.

(٣) كلمة حول فلسفة الأخلاق، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ط١، ١٩٨٠م، الناشر: مؤسسة في طريق الحق، قم – إيران:١.

(٤) فلسفة الحضارة، ألبرت شفيتسر، ط٢، ١٩٨٠م، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيرت – لبنان: ٧٧.

(٥) الأخلاق والحضارة، علي حسن الياسري، ط١، ١٤٤٥هـ، المطلعة: نكارش، الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم – إيران:٢٠.

(٦) الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، أبو بكر إبراهيم التلوع، ط١، ١٩٩٥م، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي– ليبيا: ٢٠.

صحة ما نذهب إليه شريطة أن يكون الضابط لهذه الممارسات والسلوك الأخلاقي هو الشريعة الإسلامية ومعاييرها.

وترتبط الأخلاق بالمسؤولية الاجتماعية من خلال عدة مسارات جوهرية، تعكس تأثير القيم الأخلاقية في بناء سلوك الفرد والمجتمع، ، إذ ترتبط الاخلاق مع المسؤولية الاجتماعية بعدة طرق، وهي كما يأتي:

أولًا- الأخلاق قانون السلوك الاجتماعي[1]: إن إثبات المبدأ الأخلاقي المحض الذي يلتزم إطاعة قانون الأخلاق، هو الدافع الأقوى، بل الدافع الوحيد للسلوك الفاضل[2]، فإننا إذا لاحظنا الانسانية في أي فترة من تاريخها نجد أنها تتبع نظاماً معيناً في حياتها، وطريقاً محددة في توزيع الحقوق والواجبات بين الناس، وأنها بقدر ما يتوفر لديها من ضمانات لالتزام الافراد بهذا النظام وتطبيقه، تكون الحاجة إلى الشعور الداخلي بالمسؤولية كضمان للتنفيذ أقرب الى الاستقرار، وتحقيق الأهداف العامة المتوخاة من ذلك النظام وهذه حقيقة تصدق على المستقبل والماضي على السواء؛ لأنها من الحقائق الثابتة في المسيرة الحضارية للإنسان على مداها الطويل[3]، والقرآن يحث الناس جميعًا على الصدق والأمانة والعدل والاحترام والتعاون والتضامن والتكافل، وهذه جميعها مبادئ أخلاقية وهي ركائز أساسية في المسؤولية الاجتماعية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ**

(1) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ارسطو، ط١، ١٩٣٤م، ترجمة: أحمد لطفي السيد، دار المعارف، القاهرة – مصر: ١١، رسالة الأخلاق، السيد مجتبى الموسوي (ت:١٤٣٤هـ)، ط٦، ١٤٢٩هـ، الناشر: مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، قم – إيران:٢٢٧.

(2) الأخلاق عند كنت، عبد الرحمن بدوي (ت:١٤٢٣هـ)، ط١، ١٩٧٩م، الناشر: وكالة المطبوعات في الكويت:١٦٤.

(3) موجز أصول الدين، السيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد الجبار الرفاعي: ٢٩٥.

وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[1].

هذه المفاهيم تدل بوضوح على صفات المجتمع المسؤول، إذ المجتمع الإيماني مجتمع صادق وأمين وعادل ومتعاون، وهذه المبادئ والقيم تُعدّ أساس المسؤولية الاجتماعية وقانونها الأخلاقي.

ثانيًا- الأخلاق أساس للتعاون: إن الأخلاق تُعد أساسًا حيويًا للتعاون، باعتباره من أبرز صور المسؤولية الاجتماعية. فالمجتمع الأخلاقي هو مجتمع متعاون، يسير على نهج القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾**[2]، (يعود معنى التعاون على البر والتقوى إلى الاجتماع على الإيمان والعمل الصالح على أساس تقوى الله ، وهو الصلاح والتقوى الاجتماعيان ، ويقابله التعاون على الإثم الذي هو العمل السيئ المستتبع للتأخر في أمور الحياة السعيدة ، وعلى العدوان وهو التعدي على حقوق الناس الحقة بسلب الأمن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم)[3]، أنّ المسلمين بدلا من أن يتحدوا للانتقام من خصومهم السابقين الذين أسلموا . وأصبحوا بحكم إسلامهم أصدقاء . عليهم جميعا أن يتحدوا في سبيل فعل الخيرات والتزام التقوى، وأن لا يتعاونوا في سبيل الشر والعدوان[4].

([1]) سورة النحل، الآية: ٩٠-٩١.

([2]) سورة المائدة، الآية: ٢.

([3]) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١٤٠/٥.

([4]) تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٤١٠/٣.

٣- الأخلاق معيار التوازن بين الحقوق والواجبات: فالحقوق مصونة في الإسلام، والعدالة مقدسة، وغمط الحقوق وعلى الأخص الحقوق العامة، خيانة كبرى[١]، ورد عن أمير المؤمنين A قوله: ((أَعْظَمُ الخِيانَةِ خِيانَةُ الأُمَّةِ، وَأَفْضَعُ الغَشَ غَشُ الأَئِمَّة))[٢]، ومن الأخلاق رعاية حقوق الناس، وعدم التعدي عليهم، وإعطاء كل ذي حقٍ حقه، قال تعالى:﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[٣]، إن إعطاء الناس حقوقهم ومراعاة كرامتهم وعدم ظلمهم يعزز مفهوم المسؤولية الاجتماعية، ويرفع من شعور الأفراد بمسؤولياتهم وضرورة الالتزام بها، ومقابلة الإحسان بالإحسان، غير أن الواقع الاجتماعي المعاصر بعيد عن هذه المفاهيم، ويُعدُّ حرمان الشعوب من حقوقها الأساسية، كالحصة المائية أو الحياة الكريمة، أحد أبرز الأمثلة الواقعية على انتهاك الأخلاق والمسؤولية الاجتماعية في العصر الحديث.

لذلك على الأمة أن تتحمل مسؤوليتها في العودة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومحاولة التفكّر فيهما لاستخراج بصائر الوحي، واستنطاق نصوصه لمعرفة شبكة العلاقات الاجتماعية المتعددة، التي رسمها لنا الوحي الإلهي بأروع صورة، إذ (النص القرآني يشكّل العلاقات الاجتماعية من خلال الروابط التي تجمع عناصر العملية الاتصالية في عملية تبادلية من الداخل إلى الخارج ومن الخارج إلى الداخل، عن طريق الشبكة المتأرجحة بين الفاعل الاجتماعي والنسق الاجتماعي العام)[٤].

---

(١) احترام الحقوق في الإسلام، الشيخ مرتضى مطهري (ت:١٣٩٩هـ)، ط١، ١٩٩٨م، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة الثقلين الثقافية، بلا مطبعة، بيروت – لبنان: ٥٨.

(٢) بحار الأنوار، الحر العاملي: ٥٢٩/٣٣. نهج البلاغة، للإمام علي عليه السلام:٢٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٤) أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، عبد العزيز خواجه، ط١، ٢٠٠٧م، تقديم: محمد بن موسى بابا عمي، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق – سوريا: ١٧.

يظهر للباحث أن حركة الواقع الاجتماعي في منظور قرآني، تسير وفق نظام أخلاقي دقيق تحكمه سنن الوحي الإلهي، التي ترتكز على مبدأ السببية والربط بين الأسباب والمسببات، وأحد أهم أسباب ارتقاء المجتمعات وصنع الحضارة هو السبب الأخلاقي، وهو ما يتصل بالمسؤولية الاجتماعية اتصالًا مباشرًا .

المطلب الثالث: البعد العالمي للمسؤولية الاجتماعية:

البعد العالمي للمسؤولية يستبطن بعدًا آخر، ألا وهو البعد الحضاري، وينبثق عنه، لذلك كان لا بدَّ من تقسيم هذا المطلب، إلى مقصدين، يتحدث الأول عن البعد العالمي، ويتحدث الآخر عن البعد الحضاري، وهما كما يأتي:

المقصد الأول: البعد العالمي للمسؤولية الاجتماعية: قال تعالى: **﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾** [1]، حينما تعرضت فلسطين العزيزة للاحتلال والاعتداء والقتل والتهجير، سكت الجميع! وما زالوا ساكتين إلى اليوم، وإن تكلم أحد، فكلامه مخجل لا يرتقي إلى حجم المأساة والجرائم البشعة بحق الأبرياء، فأين نحن من هذه الآية الكريمة؟

أوليس المؤمنون بعضهم أنصار بعض، يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته، وهم يدٌ واحدةٌ على من سواهم[2]، و إن المجتمعات الإسلامية ذوو كينونة واحدة متفقة لا تشعب فيها، ولذلك يتولى بعضهم أمر بعض ويدبره، وإن ولاية بعض المجتمع على بعض ولاية سارية في جميع الابعاض[3].

([1]) سورة التوبة، الآية: ٧١.

([2]) ظ: تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٥/٨٧-٨٨.

([3]) ظ: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٩/٣٣٨.

المسؤولية الاجتماعية منبثقة من القرآن الكريم وتعاليمه وارشاداته، والنص القرآني عالمي الخطاب، إذ هو خاتم الكتب السماوية والدين المنفرد بالمقبولية لله تعالى بعد نزوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾[1]، وصريح القرآن يشهد بعدم قبول غير الإسلام دينًا رسميًا للبشرية، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

القرآن كتاب هداية وتشريع لا شك في ذلك، وهو أيضاً المصدر الحقيقي الصادق والدقيق لتأريخ الديانات السماوية، وحياة الرسل والأنبياء والشهداء والصديقين، وهو كذلك النموذج الأرقى في استيعاب مشكلات الأزمنة المتناقضة بين السلب والايجاب، يجد حلولها ويوفر علاجها، هذا المنظور الرائع للقرآن يوحي بعالميته، وهذا الفهم الرصين لمناخ القرآن يقضي بإنسانية رسالته بعيداً عن النظرة الاقليمية الضيقة[3]، هذه العالمية ابرزها القرآن الكريم من خلال عدة نقاط وهي:

١- **عالمية الرسالة:** قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [4]، أي أنك رحمة مرسلة إلى الجماعات البشرية كلهم، والدليل عليه الجمع المحلى باللام، وذلك مقتضى عموم الرسالة[5]، والقرينة اللفظية واضحة على المُراد من الآية، هذه العالمية ترتبط بالمسؤولية الاجتماعية من خلال أمرين:

الأمر الأول: أن الآية في دلالتها على العالمية من خلال القرينة اللفظية، تؤكد شمول جميع العالمين بهذه الرسالة، أي شمولهم جميعًا بالمسؤولية، لأن الخطاب القرآني

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(2) سورة آل عمران: الآية: ٨٥.

(3) نظرات معاصرة في القرآن الكريم، الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط١، ٢٠١٨م، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان: ٢٣.

(4) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(5) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٣٣١/١٤.

الذي جعل المسؤولية على المؤمنين جعلها على غيرهم، فالخطاب واحد موجه لهم جميعًا، فالمسؤولية الاجتماعية تشملهم؛ لأنهم مخاطبون برسالة الوحي الإلهي الذي قرر علينا المسؤولية الاجتماعية والزمنا العمل بها رعاية لحقوق الناس جميعًا.

الأمر الثاني: أن الآية تُحَمِّل المؤمنين المسؤولية المضاعفة، في إيصال خطاب الله تعالى لغير المسلمين، بدلالة أن القرآن أول ما نزل عليهم، أي على العرب، وهم الذين يفهمون ظواهره وبلاغة خطابه وإسرار بيانه، إما غير العرب فلا يفهمون منه شيئًا إلا بعد ترجمته وشرحه وبيانه، فلو أن شخصًا يابانيًا صرخ بيننا بأن بيته يحترق لما استجاب له أحد؛ لأننا لا نفهم لغته فلا نستجيب له، على خلاف العربي إذا نادى بشيء نفهمه مباشرةً، لذا فالقرآن الكريم وإن نزل على نبي الأمة إلا أنه يخاطبنا نحن في الحقيقة، ونحن المسؤولون أولًا، والمسؤولية تحتم علينا نشر قيم الإسلام ومبادئه وتعليماته وارشاداته، والدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة بغض النظر عن العرق أو الدين أو المذهب والقومية، قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ**﴾[1].

عالمية القيم والمبادئ: قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ**﴾[2]، (ابتدأ سبحانه بهذه الأحكام الثلاثة التي هي بالترتيب أهم ما يقوم به صلب المجتمع الانساني لما ان صلاح المجتمع العام أهم ما يبتغيه الاسلام في تعاليمه المصلحة فان أهم الأشياء عند الانسان في نظر الطبيعة وان كان هو نفسه الفردية لكن سعادة الشخص مبنية على صلاح الظرف الاجتماعي الذي يعيش هو

(1) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(2) سورة النحل، الآية: ٩٠.

فيه)[1]، أكمل برنامج اجتماعي:
بعد أن ذكرت الآيات السابقة أن القرآن فيه تبيان لكل شئ، جاءت هذه الآية المباركة لتقدم نموذجا من التعليمات الإسلامية في شأن المسائل الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية[2].

المقصد الثاني: البعد الحضاري للمسؤولية الاجتماعية:

قبل الشروع في بيان هذا المقصد، لا بدَّ من توضيح مفهوم الحضارة، ليتضح المعنى ويستقيم المطلب:

أ- **الحضارة في اللغة:** من الحَضَر والحَضْرة والحاضِرة، خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف[3].

ب- **الحضارة في الاصطلاح:** تعود نشأة المصطلح الى الدراسات الأوربية المتأخرة والمعاصرة، تعبيرًا عن التطور الصناعي والتقدم العمراني، ويُعبِّر عن مظاهر علمية وظواهر اجتماعية وأدبية ثم شمل المصطلح حضارات قديمة كالسومرية والمصرية والإغريقية واليونانية والفارسية والإسلامية والحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة المتمثلة بأوربا[4]، لذلك اختلفوا في تعريف الحضارة بسبب اختلاف وجهات النظر، فمثلًا يعرفها أحدهم بأنها: مجموعة المعارف العلمية والتشريعات والنظم والعادات والتقاليد والآداب[5]، وقال آخر أنها: قصة الإنسان في كل ما انجزه على اختلاف

(1) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٣٣٠/١٢.

(2) الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي: ٢٩٥/٨.

(3) ظ: لسان العرب، ابن منظور: حرف الراء فصل الحاء: ١٩٦/٤.

(4) ظ: المنجز الحضاري الاجتماعي للنبي ودوره الإنساني، موفق هاشم عبيد، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء – العراق: ٧-٨.

(5) ظ: الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، محمد المبارك: ٢٧.

العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علاقته بالكون وما وراءه[1]، وعرَّفها النبهاني بأنها: مجموعة المفاهيم عن الحياة[2]، بينما عرّفها السيد المدرسي بأنها: حضور الإنسان عند الإنسان، وتعاونه وتفاعله معه، ابتداءً من الحضور المادي وانتهاءً بالتفاعل المعنوي[3].

يبدو للباحث أن التعريف الأخير هو الأنسب، لدلالته على عنصر التواصل الإنساني الدائم، ماديًا ومعنويًا، وذلك يلتقي مع فكرة المسؤولية الاجتماعية، من خلال بيان دور المسؤولية الحضاري في تحقيق التنمية والنهضة للمجتمع، وذلك ما أشار له القرآن الكريم في دعوته إلى بناء مجتمع قائم على أسس قوية ومتماسكة، ولعل سورة العصر تختصر كل ذلك، إذ جمعت أصول الحضارة الإنسانية، فأشارت إلى الزمن والإنسان والإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر، قال تعالى: **﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾**[4].

والزمن هو الذي تقع فيه الحوادث والافعال[5]، والإنسان هو موضوع التكليف والمسؤولية، مهما امتلك من ثروة وقوة فهو خائب خاسر إلا إذا آمن بالله وحلاله وحرامه، وانعكس ذلك الإيمان على أقواله واعماله، وإلا فإن الإيمان بلا عمل مجرد فكرة ونظرية، وقد قرأ الشيخ مغنية (أن الطيارين الأمريكان الثلاثة الذين ألقوا القنبلة

(1) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين : ٦.

(2) ظ: نظام الإسلام، تقي الدين النبهاني: ٥٩-٦٣.

(3) معالم الحضارة الإسلامية آفاق وتطلعات، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، طهران – إيران: ٣٢.

(4) سورة العصر، الآية: ١-٣.

(5) التفسير الكاشف، الشيخ مغنية: ٦٠٥/٧.

الذرية على هيروشيما في اليابان، كان كل واحد منهم يحمل معه نسخة من الكتاب المقدس، إلى جانب قنبلة الفناء والدمار)[1].

وكذلك ما أشارت إليه سورة العلق، وما تضمنته من قيم التقدم الحضاري، إذ أشارت إلى: العلم وأدواته القراءة والقلم، وأصل الإنسان، ومصدر المعرفة، والتحذير من الطغيان، ومواجهة الظلم، والتقرب إلى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿**ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ...**﴾ [2]، هذه المحاور الأساسية التي أشارت لها سورة العلق المباركة، هي عناصر النهضة الحضارية في المجتمع المسؤول، إذ بالعلم تتقدم الحضارات، وتتطور المجتمعات، وهي إن دلت على شيء إنما تدل على محورية النص القرآني، وثراءه المعرفي، وقدرته على مواكبة التطورات، ومرونة تشريعاته، ومعالجة مستحدثات الواقع الاجتماعي، ومن ابرز بينات القرآن الكريم هي عرضه للمسؤولية الاجتماعية، من خلال أوامره ونواهيه وتعليماته وارشاداته.

([1]) م، ن: ٦٠٦/٧.

([2]) سورة العلق، الآية: ١-١٩.

المبحث الثالث: ضوابط المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم:

قبل الدخول في مطالب هذا المبحث، لا بُدَّ من بيان معنى الضوابط، ليستقيم البحث على دلالاتٍ واضحةٍ الألفاظ، بينة المعاني، سهلة الفهم، وبيان ذلك كما يأتي:

أولاً- الضوابط في اللغة: جاء في تهذيب اللغة للأزهر (ت:٣٧٠هـ)، الضبط هو: (لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، ورجل ضابط شديد البطش والقوة والجسم[١]، ويقال: فلان لا يضبط عمله، إذا عجز عن ولاية ما وليه، ورجل ضابط: قوي على عمله)[٢].

وذكر ابن فارس (ت:٣٩٥هـ) الضوابط هي جمع ضابط، والضابط لغة اسم فاعل من الضبط، قال ابن فارس: الضاد والباء والطاء أصل صحيح، ضبط الشيء ضبطًا، والأضبط: الذي يعمل بيديه جميعًا[٣]، ولم يختلف عنهما ابن منظور(ت:٧١١هـ) كثيرًا في لسان العرب[٤].

خلاصة التعاريف اللغوية: إن الضابط في اللغة يدور معناه حول الحزم والقوة والشدة، وكلها ألفاظ متقاربة المعاني.

---

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الازهري (ت:٣٧٠هـ)، ط١، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: دار إحياء التراث العربي، المطبعة: مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: ٣٣٩/١١.

(٢) ن، م: ٣٤/١١.

(٣) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، ط١، ١٩٩١م، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان: ٣٨٦/٣.

(٤) لسان العرب، ابن منظور: ٣٤٠/٧.

ثانيًا- الضوابط في الاصطلاح: والضابط اصطلاحا: "قضية كلية، من حيث اشتمالها بالقوة على أحكام جزئيات موضوعها من باب واحد[1].

والذي يميل إليه الباحث من خلال المعاني اللغوية والمعنى الاصطلاحي، أن الضوابط هي قضايا كلية تشتمل على جزئيات، وتشكّل محددات للسلوك ينبغي مراعاتها وعدم مخالفتها.

لذلك اشتملت الشريعة المقدسة على عدة ضوابط، تشكل الأصول العامة الضابطة لحركة المجتمع، وتحديد مساره المستقبلي، إذ تمثل هذه الضوابط الركائز الأساسية الثلاثة لأي مجتمع، وتمثل أيضًا أُسس التقدم في المجتمع الإسلامي خصوصًا، وهي العقيدة والأحكام والأخلاق، إذ العقيدة تمثل جانب الإيمان للمجتمع، والأحكام تشتمل على القوانين الشرعية للمجتمع الإيماني، والأخلاق تمثل الجانب الإنساني والحضاري للمجتمع، وهي من جملة الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بأخية الإنسان، وعلاقة المجتمع فيما بينهم، وعلاقة المجتمع ما باقي المجتمعات، وعلاقة الأمة مع الأمم الأخرى، وبيان هذه الضوابط ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: الضوابط العقدية: تمثل العقائد الأصول الفكرية والمرجعية المعرفية للمجتمع المسلم، والأُسس المركزية له، ولتوضيح ذلك ينقسم المطلب إلى مقصدين هما:

المقصد الأول: العقائد بصورتها العامة: هي الأُسس الروحية للإنسان، التي تقوم عليها هدايته أو ضلاله، وتؤثر على نظرته للحياة والمجتمع والكون بأكمله، وتحدد

---

(1) معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان: ٧٢٨/١.

طبيعة علاقته بالخالق سبحانه وتعالى، وترسم له مصيره النهائي في اليوم الآخر، وتتبلور أهمية العقائد بصورتها العامة من خلال مجموعة نقاط وهي:

أولًا- غاية الوجود: تتمحور الحياة الإنسانية حول المعنى، وكل شيءٍ خلا عن المعنى فَقَدَ قيمته، وإذا فقد قيمته أصبح لا فائد لوجوده، لذلك يرتبط المعنى بتحديد الغاية من الوجود، وقد أوضح القرآن الكريم، هذه الغاية بقوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]، وحقيقة هذه العبودية صيرورة العبد عبدًا خالصًا ومفتقرًا محضًا لم يبق له جهة انانية أو نظر التفات إلى ما سوى المعبود[2]، وإن الخلق والايجاد أمر يختص بالله سبحانه لا يشاركه فيه أحد[3]، وهذا ما يجعل للإنسانية جمعاء هدفًا لحياتها وغايةً من وجودها، إذ يرتبط الجميع بالمطلق الأعلى، وذلك ما يعزز الشعور بالمسؤولية أمام الخالق سبحانه وتعالى؛ لأنه الرقيب والعالم بكل شيء.

ثانيًا- تزكية النفوس: قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾[4]، العقيدة توجه الإنسان نحو تزكية نفسه، ليكون وعاءً جاهزًا لتلقي المعارف الإلهية وفهمها والإيمان بها، كما أن الآية تدور حول محور المسؤولية، وإن الإنسان مسؤول عن زكاة نفسه، وإن الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة يكون عبر التزكية.

ثالثًا- إيجاد الإيمان والطمأنينة النفسية: وجود الإنسان مرآةُ وجود الله تعالى، والإيمان يكشفُ للإنسان حقيقة وجوده، إذ ثمرة الإيمان تُعرف بإثرائه لسكينة الروح،

---

(1) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(2) شرح أصول الكافي، صدر الدين محمد الشيرازي المشهور بـ صدر المتألهين (ت: ١٠٥٠هـ)، ط١، ٢٠٠١م، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان: ١٢٨/٤.

(3) ظ: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٣٨٦/١٨.

(4) سورة الشمس، الآية: ٩-١٠.

وطمأنينة القلب[1]، قال الله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ**﴾[2]، وحالة الإيمان والاطمئنان النفسي، من أهم عوامل استقرار نفسية المؤمن وتحقيق السلام الداخلي، ما ينعكس ايجابًا على المجتمع المسؤول، وحالته النفسية المستقرة، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(مثل الإيمان كمثل الشجرة، فالإيمان أصلها، والصلاة عروقها، والزكاة ماؤها، والصبر ساقها، وحسن الخلق ثمرها)**[3]، هذا التشبيه يرمز إلى حقيقة سريان الإيمان في بني آدم من رأسه إلى اخمص قدمه، محله القلب ويظهر الاقوال والافعال، وكلام أمير المؤمنين يؤيد ذلك، إذ قال: **(الإيمان معرفةٌ بالقلب، وإقرار باللسان، وعملٌ بالأركان)**[4]، إذ الإيمان ليس مجرد فكر ومعرفة، بل هو منظومة متكاملة مساحة تأثيرها تشمل القلب واللسان والجوارح.

رابعًا- تكوين الهوية الاجتماعية: لقد شاهدنا الحشد الشعبي المقدس يقاتل ويدافع عن مجتمعه ووطنه بروح جهادية عالية، وأعطى الغالي والنفيس من خيرة القادة والشباب المضحي، بدافع العقيدة الحقة التي تستنهضه للدفاع عن أرضه وعرضه وماله ونفسه، وما ذلك إلا تعبيرًا واضحًا عن تحمله للمسؤولية، في سبيل تحقيق الأمن للمجتمع، من هنا نعرف أن المجتمع الذي لا هوية عقائدية له، لا اعتبار له، ولا قيمة له، وإن العقائد الحقة تُشكِّل هوية المجتمع المؤمن، وتصبغ كيانه بصبغتها، قال

(1) ظ: الدين والكرامة الإنسانية، الدكتور عبد الجبار الرفاعي، ط١، ٢٠٢١م، الناشر: مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان: ١٣.

(2) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(3) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي العاملي (ت: ١١١١هـ)، ط١، ١٩٨٣م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: ٢٨٩/٦٦.

(4) نهج البلاغة، للإمام علي : ٢٢٧.

تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[1]، وهويته بهوية دين الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ...﴾[2]، والعقيدة الإسلامية هي العقيدة الرسمية للمسلمين، والمرضية عند الله تعالى، بقرينة الآية السابقة، وقرينة رفضه تعالى لغيرها من العقائد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3]، هذه العقيدة هي التي تزرع في نفوس المؤمنين الاحساس بالمسؤولية، وضرورة العمل بها، لحماية المجتمع بأكمله من الهجمة الفكرية لزعزعة إيمان الناس، ومحو هويتهم المسلمة، ولولا تمسك المجتمع المعاصر بقيم الإسلام ومبادئ الشريعة لما استطعنا من مواجهة الأفكار المنحرفة التي عمدت بعض المؤسسات إلى بثها في أوساط المجتمع ككل، والدعاية لها عبر منصات التواصل الاجتماعي، وهي أفكار الالحاد والمثلية والنوع الاجتماعي، والفضل لله تعالى أولاً وآخرًا أن لاقت هذه الأفكار رفضًا شعبيًا وحكوميًا قاطعاً، هذه الوقفة الاجتماعية الرافضة لهكذا أفكار منحرفة دخيلة على ثقافتنا، تُظهر مدى تمسك الافراد بالمسؤولية الاجتماعية واستشعارهم لها.

هذه النقاط الأربع هي نماذج لما تمثله العقائد في حياة المسلمين، وأثرها في نفوسهم، وانعكاسها على الواقع الاجتماعي، بصورة قيم ومبادئ عليا تعصم مراعاتها المجتمع عن الوقوع في مصائد الشيطان، فمن سار عليها واتخذها منهاجًا له في الحياة أمن من الضلال والانحراف، قال تعالى: ﴿... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[4]، فيفترض أن يقوم المجتمع بتحمل مسؤوليته الكاملة، ويتمسك بهذا المنهاج الرباني؛ لأنه أفضل المناهج وأسلمها وأخلصها، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا

(1) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(2) سورة آل عمرا، الآية: ١٩.

(3) سورة آل عمرا، الآية: ٨٥.

(4) سورة طه، الآية: ١٢٤.

وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ...﴾ [1]، وقال أيضًا: **﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ...﴾**[2]، فلا يمتزج مع هذه العقيدة ما يختلج في نفوس الناس، وغاياتهم، وأهدافهم، ونوازعهم.

المقصد الثاني: العقائد بصورتها الخاصة:

إن العقيدة الإسلامية فضلًا عن إنها مشعل هداية للناس جميعًا، تُعد هي القواعد التي ينبعث من خلالها الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية، وتنضبط في ضوئها حركة المجتمع المسؤول، وتهتم بالجانب الفردي للإنسان كما تهتمُ بالجانب الاجتماعي معًا[3]، وفيها صلاح البرية[4]، وما على البريةِ إلا الاستجابة لنداء الوحي الإلهي، قال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾** [5]، والعقائد بمفهومها الخاص، تمثل أسس الإيمان، وركائز المعرفة، وقواعد الفكر التي يُبنى عليها المجتمع، وهي المرجعية المشتركة بين أبناء المجتمع الإيماني، وبيانها يكون حسب التسلسل الذي ذكره علماء الكلام في كتبهم، ولكن لن ندخل في تفاصيلهم التي ذكروها بقدر ما يرتبط مع موضوع الأطروحة، وله علاقة وثيقة مع المسؤولية الاجتماعية، وهي كما يأتي:

---

(1) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(2) سورة الزمر، الآية: ٣.

(3) الفهم الاجتماعي للنص الشرعي عند الشيخ محمد جواد مغنية، حيدر نجم عبود، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، الناشر: مركز عين للدراسات والبحوث، دار القارئ، بيروت – لبنان: ٩.

(4) غرر الحكم: ٦٩٨.

(5) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

أولًا- التوحيد: عَرَّفَ الجرجاني (ت:٤٧١هـ) التوحيد بأنه: (معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة)[١]، وعَرَّفَهُ السيد محسن الأمين العاملي (ت:١٣٧١هـ) بأنه: (الاعتراف بوجود الخالق تعالى، وأنه واحد[٢] ليس له شريك)[٣].

على الرغم من أن تعريف التوحيد يمثل الجانب النظري منه، إلا أن هذا الفهم النظري وإن كان المقوّم الجوهري فيه هو هذا القول، بأن الباري عزَّ وجَّل واحد لا شريك له، بيد أنه يختزن منظومة شاملة قابلة للتسرية إلى مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والإنسانية[٤]، إذ يرتبط التوحيد الإلهي مع الإنسان في مسيرته الحضارية الطويلة، ولذلك سنشير إلى نوع الارتباط مع المسؤولية الاجتماعية باعتبارها موضوع البحث، من خلال ما يأتي:

١- **التوحيد أساس لعلاقة المخلوق بالخالق:** تمثل وحدانية الله تعالى المُثل الأعلى للإنسانية، وتعبر عن جوهر العلاقة بين خالق الكون الذي هو مصدر المسؤولية، وبين المخلوق المكلف بتحمل المسؤولية، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ**

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الشريف الحسيني الجرجاني، ط١، ١٩٨٥م، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت – لبنان: ٦٩.

(٢) ليس معنى الأحد والواحد أنه واحد من أثنين، أو أنه نوع من الأنواع، كلا ، إنه الواحد بلا عدد، الأحد بلا مثل ولا شبه. الوجيز في الفقه الإسلامي، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، الناشر: دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان: ١٧/١.

(٣) الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين، السيد محسن الأمين العاملي، ط١، ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة أهل البيت %بيروت – لبنان:٩.

(٤) التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، حبيب فياض، ط١، ٢٠٠٦م، الناشر: معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، بيروت – لبنان:٥٣.

ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1]، (الأمانة هي قبول المسؤولية)[2]، التي يتحملها الإنسان في ما يقوم به من أعمال وأقوال[3]؛ بسبب قدرة الإنسان على التكامل غير المحدودة، والممتزجة بالإرادة والاختيار، ولأن الإنسان كان قد خُلِقَ بشكل يستطيع معه تحمل المسؤولية والقيام بها[4]، هكذا تتحقق الولاية الإلهية وصفة العبودية لله تعالى[5]، بينما اختارت السماوات والأرض والجبال أن لا تختار، وعزلت نفسها عن تحمل مسؤولية الأمانة العظيمة؛ لأنها لا تمتلك الاستعدادات والمؤهلات التي يمتلكها الإنسان.

والأمانة كلمة عامة لها مصاديق كثيرة، كالوفاء بالعهود والوعود[6]، وأداء الواجبات[7]، والتكاليف الإلهية[8]، وهي بكل مدلولاتها أساس الحياة في المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا**﴾[9]، والتعقيب على الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل هو التذكير بأنه من وعظ الله سبحانه وتوجيهه، ونعم ما يعظ الله به ويوجه... ثم إنها لم تكن عظة، إنما كانت أمرًا، ولكن التعبير يسميه عظة؛ لأن العظة أبلغ إلى القلب، وأسرع إلى الوجدان، وأقرب إلى التنفيذ المنبعث عن التطوع والرغبة والحياء[10]، وهكذا

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(2) تفسير الأمثل، للسيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣٧٠/١٣

(3) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله رحمه الله: ٢٧٠/١٢.

(4) ظ: تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣٧٠/١٣-٣٧١.

(5) ظ: تفسير الميزان، للسيد الطباطبائي: ٣٥٠/١٦ – ٣٥١.

(6) مفاتيح الغيب، الرازي: ١٦٦/١١.

(7) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٥٣/١٤.

(8) ظ: تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٣/ ٣٦٩.

(9) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(10) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١٦٢/٢.

تكون الأمانة بجميع جزئياتها، مصاديق واضحة للمسؤولية الاجتماعية، من خلال حركة المجتمع القائم بمسؤولياته، وصيانة علاقته مع الخالق وفق مبدأ الأمانة، ليكون هذا المبدأ هو الحاكم على سلوكه الاجتماعي.

٢- **التوحيد عنصر تحرير المجتمع:** كل محاولات الميل نحو من بيدهم قوة البطش والاستعمار والظلم والاستغلال والترويع والقتل بغير الحق، انحرافٌ عن التوحيد الحقيقي لله تعالى، وكل تعلق بغير الله سبحانه وما أمر به دخول في عبادة الدنيا والنفس والهوى، قال تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[1]، وهكذا يصور لنا القرآن الكريم حال الدنيا في نظر الحق تعالى، بحيث يؤدي السير خلف الملذات الزائلة، والتعامل على أساس المصالح إلى اعتبارها معبودات من دون تعالى، قال الإمام الحسين عليه السلام : ((النَّاسُ عَبِيدُ الدُّنْيَا ، وَ الدِّينُ لَعِقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ ، فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون))[2]، يصرّح الإمام أن الناس عبيد الدنيا وليس عبيد الله الواحد الأحد، بسبب لهثهم وراء الدنيا وحطامها، وسبب ذلك أن كل المغريات زائلة ولا تملك عنصر البقاء؛ لأنها ليست بحق وصدق، قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[3].

---

(1) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(2) بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)ط١، ١٤١٤هـ، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان: ٣٨٢/٤٤.

(3) سورة الرحمن، الآية: ٢٦-٢٧.

ومعنى الحرية هو التحرر من كل القيود التي يمكن أن تُفرض على الإنسان، سواء على صعيد المعتقد أو الفكر أو التعبير[1]، والله تعالى قد خلق الإنسان وجعله حُرًا فلا يجوز التخلي عن هذا الجعل الإلهي، كما لا يجوز استعبادهم بأي طريقةٍ من الطرق، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله: (ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حُرًا)[2]، هذه الحرية التي هي كرامة من الله للإنسان تعبر تعبيرًا خالصًا عن المسؤولية، إذ الحرية أحد أركان المسؤولية الاجتماعية التي سيأتي الحديث عنها في محلها.

من هنا يظهر أن الحرية في توحيد الله تعالى لا غير، وأن حقيقتها في الابتعاد عن كل معبود سواه سبحانه؛ وبدونها لا معنى للمسؤولية والمحاسبة والجزاء، وأن كل ارتباط بغير الله تعالى، يؤدي إلى زيادة الاغلال بيد الإنسان، وتكبيله أكثر وتحجيم حركته أكثر، بينما الارتباط بالله تعالى هو الذي يفك الاغلال ويصفي قلب الإنسان من كل علائق الدنيا وملذاتها، قال تعالى: ﴿... **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**...﴾[3]، فالنتيجة أن الأغلال تمنع من تحقيق المسؤولية[4].

٣- **التوحيد موجه لسلوك المجتمع:** التوحيد باعتباره المُثل الأعلى والقيمة العليا عند المسلمين، يُعد مصدر كل القيم الأخلاقية والاجتماعية، وقد ارشدنا الحديث النبوي إلى التمسك بالأخلاق الإلهية واعتبارها منهاجًا أصيلًا في الحياة، إذ قال صلى الله عليه وآله: (تخلقوا

(١) قراءات دينية في قضايا معاصرة، حسان محمود عبدالله، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الناشر: دار الهادي، بيروت - لبنان: ٢٤٥.

(٢) نهج البلاغة: ٥١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٤) الإنسان وآفاق المسؤولية، السيد محمد تقي المدرسي، ط٢، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت-لبنان: ١٢٠.

بأخلاق الله)[1]، وأخلاق الله تعالى تتمثل بالعدالة والإحسان والرفق والصدق والصبر والمحبة والعفو والعلم والكرم والجود والأمانة والوفاء والاستقامة والحكمة إلى آخره من الصفات الإلهية الأخلاقية، وقد ظهرت أيضًا بصورة واضحة في الأسماء الحسنى، إذ ورد في الحديث النبوي أن التخلق بها موجب لدخول الجنة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً مَنْ دَعَا اللَّهَ بِهَا اسْتَجَابَ لَهُ وَمَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)[2]، وقد ذكر الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ): أن معنى الإحصاء هنا هو التمسك بدلالاتها والتخلق بمعانيها، وإحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها وليس معنى الإحصاء عدها[3].

قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[4].

في الآية مفاهيم كبرى في الإسلام، كالعدل والإحسان وصلة الرحم وهي صفات ايجابية، والفحشاء والمنكر والبغي وهي صفات سلبية، كلها صادرة عن الله الواحد الأحد، والأوامر والنواهي التي تنبع من توحيده سبحانه، تُعتبر خارطة عامة موجهة للسلوك الاجتماعي، وأداة ضابطة لحركة الناس في الواقع الاجتماعي.

ثانيًا- العدل: هو تنزيه الباري تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب[5]، قال تعالى: **﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾**[6]، وعلى ضوء ذلك عُرّف العدل بأنه: (إعطاء كل ذي حقًا حقه)[1]،

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٢٩/٥٨.
(2) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٩٥.
(3) م، ن: ١٩٥.
(4) سورة النحل، الآية: ٩٠.
(5) الدر الثمين، السيد محسن العاملي: ١٤.
(6) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

ولكن احيانًا يوسَّع مفهوم العدل، ويستعمل بمعنى (وضع الشيء في موضعه)[٢]، وعلى وفق هذا التعريف، يكون مرادفًا للحكمة، والفعل العادل مساويًا للفعل الحكيم[٣].

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال في خطبة له يحمد الله فيها: (الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه ...)[٤]، وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله هو العدل، وإنما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله، ولا يدعوا أحدًا إلى الكفر)[٥].

يبدوا للباحث أن الرواية تؤكد على عقيدة العدلية التي تبناها الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وورثتها عنه المدرسة الإماميّة والمعتزلة كذلك، والعدل الإلهي مع الناس يدعو العباد إلى التمسك به كمبدأ أساس في العلاقات الاجتماعية.

وللعدل ارتباط وثيق مع المسؤولية الاجتماعية، إذ تحث المسؤولية الاجتماعية على إقامة العدل من خلال العدالة الاجتماعية، وضرورة العمل بها في الأوساط الاجتماعية؛ لوجود نقطة توافق بين العدل كمفهوم عام وبين الفطرة الإنسانية السليمة التي من يسير عليها الناس، إذ العدالة تنبع من خلال الفطرة السليمة الكامنة في البشر[٦]، وللعدالة قيمة عليا ومركزية تحكم علاقات افراد المجتمع وتضبط حركته ضمن إطار الحقوق المتبادلة، وهي العنصر الجوهري في المسؤولية الاجتماعية، إذ

---

(١) العدل، السيد عبد الحسين دستغيب (ت: ١٤٠١هـ)، ط١، ١٩٩١م، ترجمة: أحمد القبانجي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بيروت – لبنان: ١٣.

(٢) بداية الحكمة منهجية حديثة في علم الكلام، حسن مكي العاملي (ت:١٣٢٤هـ)، ط١، ١٩٩٢م، دار المغرب، البتاوين – بغداد: ٩٥.

(٣) دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي مصباح اليزدي (ت: ١٤٤٢هـ)، ط٨، ٢٠٠٨م، دار الرسول الأكرم a، بيروت لبنان: ١٩١/١.

(٤) نهج البلاغة، خطبة رقم: ١٨٥، ص ١٣٠.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٠/١١.

(٦) ظ: الوجيز في الفقه الإسلامي، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله): ٢٩.

ورد التوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ**﴾[1]، هذه الآية وأن دلت على شيء خاص بالوزن والعدالة في ميزان الأثقال[2]، وفسرها البعض بالإمام عليه السلام ، قَالَ: أَقِيمُوا اَلْإِمَامَ بِالْعَدْلِ قُلْتُ : **وَلاٰ تُخْسِرُوا اَلْمِيزٰانَ**، قَالَ:لاَ تَبْخَسُوا اَلْإِمَامَ حَقَّهُ وَ لاَ تَظْلِمُوهُ[3]، إلا أن لها معنى عامًا يشمل العدالة جميع أمور الحياة مع الأخذ بنظر الاعتبار الآية السابقة عليها ﴿**أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ**﴾[4]، إنّ أهميّة الميزان في أي معنى كان عظيمة في حياة الإنسان بحيث إنّنا إذا حذفنا حتّى مصداق الميزان المحدود و الصغير و الذي يعني (المقياس) فإنّ الفوضى و الارتباك سوف تسود المجتمع البشري، فكيف بنا إذا ألغينا المفهوم الأوسع لهذه الكلمة، حيث ممّا لا شكّ فيه أنّ الاضطراب و الفوضى ستكون بصورة أوسع و أشمل[5]، من هنا يظهر أثر العدالة على سيادة نظام المجتمع، وسلامة كيانه، وحفظ نسيجه، ولا يتم ذلك إلا من خلال الشعور العالي بالمسؤولية الاجتماعية ومراعاة حقوق الناس جميعًا.

ثالثًا- النبوة: النبي هو المُخْبِر عن الله تعالى بغير واسطة أحدٍ من البشر[6]، لقد خُلِقَ الإنسان مسؤولًا، أي يختار لكي ينال نتائج أعماله، فلا بُدَّ إذن أن يكون الله سبحانه قد جعل له طريقًا للمعرفة[7]، وطريق المعرفة هو الوحي الإلهي، وقد أوحى الله تعالى إلى رسوله الكريم هذا القرآن الذي بين أيدينا، لكي يختار الإنسان الطريق

(1) سورة الرحمن، الآية: ٩.

(2) ظ: الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٩٧/١٩.

(3) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي(ت: ٣٢٩هـ): ٣٤٣/٢.

(4) سورة الرحمن، الآية: ٨.

(5) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣٧٤/١٧.

(6) ظ: الدر الثمين، السيد محسن الأمين العاملي: ١٥.

(7) النبوة في القرآن، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ط١، ١٤٢٦هـ، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، الناشر: فقاهت، المطبعة: افق، قم – إيران: ٢٠.

الذي يريد السير عليه عن وعي وحرية، قال تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[1]، الهداية بمعنى إراءة الطريق دون الايصال إلى المطلوب والمراد بالسبيل السبيل بحقيقة معنى الكلمة وهو المؤدي إلى الغاية المطلوبة وهو سبيل الحق[2]، وأحد أدوار النبوة هو بيان تفاصيل أحكام القرآن، وإيضاح طريق الحق للمؤمنين، وكذلك بيان طريق الباطل لهم لاجتنابه والابتعاد عنه، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾[3]، الخطاب في هذه الآيات موجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، إلا أن نتيجته لكل المؤمنين، وبذلك فإنها تكمل الآيات السابقة التي كانت تبحث في بعض وظائف المؤمنين وواجباتهم[4]، فالدور التوجيهي للنبي المصطفى ﷺ ، يرتبط ارتباطًا كبيرًا مع المسؤولية الاجتماعية، وذلك من خلال القائد الذي تتأسى به الناس، وتسير بسيرته، قال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا**﴾[5].

رابعًا- الإمامة:

١- **الإمامة في اللغة:** يطلق لفظ الإمامة عند أهل اللغة ويراد به عدة معاني، ولعل المعنى الجامع لها انها مقام معنوي يقتدى به، ومن هنا سمي الرئيس والقائد والخليفة إمامًا؛ لأن الناسَ يأتمون بهم ويتبعونهم في الأمور[6]، محقين كانوا أو مبطلين وجمعه

(1) سورة الإنسان، الآية: ٣.

(2) ظ: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١٢٢/٢٠.

(3) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(4) ظ: الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي: ٢٩٦/١٣.

(5) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(6) ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣٣، مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت:١٠٨٥هـ)، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، تحقيق: أحمد الحسيني، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان: ١٤/٦.

أئمة، وفي التنزيل قال تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿... **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ...﴾[1]،(أي يقتدى بك في أفعالك وأقوالك)[2].

٢- **الإمامة في الاصطلاح:** أما في المصطلح فقد عرفت الإمامة بتعاريف كثيرة، أهمها أنها ما ذكره السيد محسن الأمين العاملي (ت:١٣٧١هـ) بقوله: (هي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابةً عن النبي صلى الله عليه وآله)[3]، (وأنها خلافة إلهية عن النبوة في هداية العباد إلى صلاحهم في الدين والدنيا)[4]، وهي الولاية والسلطنة الإلهية على العباد[5]، ولعلنا نكتفي بهذا القدر من التعريف، إذ مفهوم الإمامة من المعاني الواضحة التي لا تحتاج إلى مزيد بيان، ولا نقضٍ وإبرام[6]، ومن هنا استغنى عن ذكر التعريف جماعة[7]، وما نريد إيضاحه هنا هو بيان دور الإمامة في تعزيز مفهوم المسؤولية الاجتماعية، إذ الإمامة استمرار لوظائف النبوة، وإن المسؤوليات التي تقع على عاتق النبي صلى الله عليه وآله هي نفسها تقع على عاتق الإمام عليه السلام ويمكن تلخيصها كما يأتي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار العلوم، بيروت - لبنان: ٢٧٨/١.

(٣) الدر الثمين، السيد محسن الأمين: ٢٥.

(٤) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية، الشيخ فاضل الصفار، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان: ١٠/٥.

(٥) البيان الميسر في شرح الباب الحادي عشر، خالد محمد جعفر:٢٣٣.

(٦) الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية، الشيخ فاضل الصفار:١٠/٥.

(٧) ظ: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (ت:٦٧٢هـ)، شرح: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر المشهور بالعلامة الحلي (ت:٧٢٦هـ)، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان: ٣٨٨. والقول السديد في شرح التجريد، السيد محمد الحسيني الشيرازي (ت:١٤٢٢هـ)، ط١، ١٣٦٨هـ، الناشر: دار الإيمان، إيران - قم: ٣٤٥.

١- تفسير كتاب الله تعالى، وشرح مقاصده، وبيان متشابهاته، وتقرير قصصه وحِكَمِه وأخلاقه وعقائده وبراهينه[١].

٢- بيان حكم الله تعالى في الموضوعات والأحداث[٢]

٣- صيانة الدين عن الشبهات.

٤- صيانة المسلمين عن الانحراف في عقائد الدين وشرائعه ومفاهيمه، بمراقبتهم المستمرة على جميع هذه الأصعدة، وتصحيح أية أخطاء تظهر في أفكارهم وأفعالهم.

٥- حفظ الوحدة بين أبناء المجتمع الإسلامي المتعدد الطوائف، إذ كانت تظهر بين الفينة والأخرى، من بعض الأفراد، بعض النزعات القبلية والأهواء الجاهلية الموروثة.

٦- إدارة أمور الدولة الإسلامية التي أوجد النبي ﷺ نواتها، في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية، في جميع آفاقها وأبعادها[٣].

من هذه الوظائف يظهر لنا حجم الارتباط الوثيق مع المسؤولية الاجتماعية، إذ تُعد هذه النقاط تعبيرًا واضحًا عن مفهوم المسؤولية وابعادها، وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام، جانبًا من مسؤوليته فيما يتعلق بتوجيه الأمة وإرشادها، إذ قال: (والله لا دخلت المسجد، إلّا كما دخل أخواي موسى وهارون، إذ قال له أصحابه: ﴿**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ**﴾[٤]، واللهِ لا أدخل إلّا لزيارة رسول الله ﷺ، أو لقضيّةٍ أقضيها، فإنّه لا يجوز لحجّةٍ أقامه رسول الله ﷺ ، أن يترك الناس في

(١) بداية المعرفة، حسن مكي العاملي: ١٥٦.

(٢) بداية المعرفة، حسن مكي العاملي: ١٥٦.

(٣) م، ن: ١٥٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

حيرة)[1]، فالإمام علي عليه السلام، برغم إقصائه عن السلطة والخلافة، لم يترك مسؤولياته في إرشاد الأمة وهدايتها، وذلك ينطبق على جميع الأئمة عليهم السلام[2]، وقد ذكر الشهيد الصدر قدس سره، ثلاثة مراحل تأريخية للأئمة عليهم السلام.

خامسًا- المعاد:

أولًا- المعاد لغةً: المعاد في اللغة مأخوذ من العود، وله معنيان وهما المصير والمرجع. يقال للآخرة معاد الناس لأنها مصيرهم[3]، ومن صفات الله تعالى المبدئ المعيد؛ لأنه بدأ الخلق أحياء ثم يميتهم ثم يعيدهم أحياءً كما كانوا، إذ قال سبحانه: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾**[4] ،ويستعمل تارة بمعنى اسم الزمان، ويراد به زمان العود والمصير، وتارة بمعنى اسم المكان، ويراد به مكان العود، وتارة ثالثة بمعنى المصدر، ويراد به أصل الحدث، وهو العود[5].

ثانيًا- المعاد في الاصطلاح: هو إعادة الأجسام مع أرواحها إبّان يوم القيامة[6]، وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد حقيقة المعاد، قال تعالى: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾**[7].

---

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٠٢/٢٨.

(2) الإمامة وقيادة المجتمع، السيد كاظم الحسيني الحائري، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، الناشر: دار البشير، المطبعة: ظهور، قم - إيران: ١٥٨.

(3) لسان العرب، ابن منظور: ٣١٥/٣. مجمع البحرين، للطريحي: ١١٠/٣.

(4) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(5) الحقائق والدقائق، الشيخ قاضب الصفار: ٩/٧.

(6) دروس في الشيعة والتشيع، علي الرباني الكَلبايكَاني، ط١، ١٤٢٦هـ، تعريب: أنور الصافي، المناشر: منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، المطبعة: صدف، قم - إيران: ٢١٨.

(7) سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

يعد المعاد من المسائل الاعتقادية المهمة، ذات التأثير المباشر في حياة الإنسان، سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي ... إذ إن الإيمان بالمعاد واليوم الآخر هو الحل الوحيد لمشكلة تعارض المصالح الفردية مع الاجتماعية[1]، ويمكننا ذكر الأثر الاجتماعي للمعاد وتعزيزه للمسؤولية الاجتماعي من خلال ما يأتي:

١- **ارتباط المعاد بالمسؤولية من خلال الحساب والجزاء:** قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[2]، هذه الآية تهز كيان الإنسان الواعي من الأعماق، وتشير إلى أن حساب الله في ذلك اليوم دقيق وحساس للغاية. وميزان أعمال الناس دقيق إلى درجة يحصي أقل أعمال الإنسان[3].

٢- **المساهمة في تعزيز العدالة الاجتماعية:** الاعتقاد والإيمان بأصل المعاد، يحفز أبناء المجتمع على تحقيق العدل والابتعاد عن الظلم، عن طريق مراقبة الاعمال، وذلك لا يقتصر على السلوك الفردي فقط، بل يشمل السلوك الاجتماعي أيضًا، قال تعالى: ﴿**وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [4]، أي كل الأمة مؤمنها وكافرها، ينتظرون الحساب، بناءً على كتاب اعمالها الذي كان يستنسخ لها[5]، وإن افراد المجتمع يعلمون بوجود حسابًا دقيقًا، وإن افعالهم موّثقة في كتابًا لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة، قال تعالى: ﴿**وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً**

---

(١) ظ: مطارحات في العقيدة المعاد رؤية قرآنية، السيد كمال الحيدري، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، الناشر: مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، بغداد-العراق: ١/٢٨-٢٩.

(٢) سورة الزلزلة، الآية: ٧-٨.

(٣) ظ: الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٠/٣٨٣.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ٢٨.

(٥) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٩/١٣٣.

﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[1]، الصغيرة والكبيرة وصفان قامتا مقام موصوفهما وهو الخطيئة أو المعصية أو الهنة ونحوها[2]، وحتى النوايا القلبية والأفكار الذهنية تظهر واضحةً أمامهم[3]، هذا الموضوع بحد ذاته يشير إلى عنصر الرقابة الإلهية في عالم الوجود، وتوثيق الحياة الإنسانية بجميع ابعادها واحوالها، يعزز من فكرة مراعاة خط الاستقامة في التطبيق العملي المسؤولية الاجتماعية.

٣- أثر المعاد في بيان المجتمع الصالح: المعاد يدعو إلى بناء المواطن الصالح، والمواطن الصالح هو الذي يبني الأسرة الصالحة، والأسرة الصالحة هي النواة الأولى لبناء المجتمع الإيماني الصالح، وهذه السلسلة التفاعلية قائمة على أساس، الشعور الإنساني بالمحاسبة، وإدراك الناس لحقيقة وقوفهم بين يدي الله تعالى، لذلك يحاول الجميع قدر المستطاع المساهمة الفاعلة في كل اعمال البِر، في مختلف المجالات، قال تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾**[4]، احياؤهم بالبعث[5]، لأجل الجزاء[6]، لذلك إن الإيماني الحقيقي بالبعث، والشعور الدائم بالوقوف أمام الله تعالى، يساهم بشكل كبير في السير على خط الاستقامة، وتحمل المسؤولية.

المطلب الثاني: الضوابط الفقهية: لكل شيء في الكون نظام يحكمه، فالكون يسير ضمن نظام غاية في الدقة والإحكام، النبات ينمو في نظام متكامل، والحيوانات تتحرك ضمن إطار النظام الخاص بها، والبشر ليس استثناءً من هذه القاعدة، لا بدَّ

---

(1) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(2) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي:٣٢٤/١٣.

(3) من هدى القرآن، السيد المدرسي: ٦٣/٥.

(4) سورة يس، الآية: ١٢.

(5) ظ: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ١٤٥/٦.

(6) ظ: تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٦٦/١٧.

أن يكون له نظام خاص يحكم تحركاته، ويضبط سلوكه، ويقوَّم اعوجاجه، وهذا النظام له قوانين تترجمه، وقوانين النظام الإنساني، هي الأحكام الشرعية الفقهية، المستنبطة من كتاب الله تعالى، وسنة نبي الكريم ﷺ وآله الأطهار ﷺ، فما اجمله القرآن بينته السنّة، وأوضحت متشابهه، وخصصت عامه، وقيدّت مطلقه، وسوف نشير إلى أهمية الفقه الإسلامي في ضبط حركة المجتمع، وكيف يمكن اعتباره أحد ضوابط المسؤولية الاجتماعية، من خلال ما يأتي:

المقصد الأول: تعريف الفقه لغةً واصطلاحًا:

أولًا- الفقه في اللغة: العلم بالشيء والفهم له، والفطنة، وغلب على علم الدين لشرفه[1]، وقد ورد هذا المعنى في آيات القرآن الكريم التالية نذكر بعضًا منها:

١- قال تعالى: ﴿**وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي**﴾[2].

٢- قال تعالى: ﴿**قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ...**﴾[3].

٣- قال تعالى: ﴿**ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ**﴾[4]

ثانيًا- الفقه في الاصطلاح: وردت تعاريف كثيرة لعلم الفقه، اخترت منها ما ذكره المقداد السيوري الحلي (ت: ٨٢٦هـ)، وهو من كبار فقهاء الإمامية، إذ عرّف الفقه بقوله: (هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية)[5]، وعلم الفقه منذ

(١) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ)، ط٢، ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان: ١٦١٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٢٧ – ٢٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٩١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٥) نضد القواعد الفقهية، الفاضل محمد بن الحسين بن محمد الأسدي المقداد السيوري الحلي، ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة آية الله المرعشي، قم – إيران:٥.

نشأته وإلى عصرنا الحاضر مرتبط بحياة المسلمين اليوميّة، ولذلك يرى المسلمون أن علم الفقه علمٌ ضروري وحيوي؛ لأنه يرتبط بعباداتهم اليوميّة واعتقاداتهم، ومن هنا كانت الحاجة ماسّة لعلم الفقه ورجاله على مرّ العصور والأزمان[1]

المقصد الثاني: دور الفقه في ضبط المسؤولية الاجتماعية: تظهر علاقة الفقه الإسلامي بالمسؤولية الاجتماعية من خلال موضوع هذا العلم وما تدور حوله مسائله، فإذا لاحظنا موضوع علم الفقه، وجدنا أن موضوعه أفعال المكلفين[2]، أي أن محور اهتمام الفقه الإسلامي يدور أفعال الإنسان، وكيفية تأمين سلوكه الخارجي ليتناسب معه مراد الله تعالى من الارتقاء والكمال، وإن كل مسائل هذا العلم هي أحكام شرعية صادرة من الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان[3]، ويظهر دور في ضبط المسؤولية الاجتماعية من خلال ما يأتي:

١- **تغذية الجانب الروحي:** يعمل الفقه الإسلامي على بيان مسائل العبادات، ورسم خارطة كاملة توضح كيفية الأداء الصحيح، وطرق التوجه إلى الله تعالى، وسد الثغرات التي ممكن أن تحصل نتيجة عدم التطبيق الصحيح، ومعالجتها بالطرق الشرعية؛ لأجل تصحيح مسار العبد أمام ربه سبحانه وتعالى، لكي تصبح حركة الإنسان ضمن دائرة العبادة، وقد أكد الفقهاء بقولهم: (أن أيَّ عمل يأتي به الإنسان لنيل رضا الله فهو عبادة، طبعًا العمل الذي ظاهره الصلاح، أي أنّ كلّ عمل صالح

(١) آيات الأحكام من تفسير التبيان للشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط٢، ١٤٣٨هـ، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، قم – إيران: ١٦/١.

(٢) محاضرات في أصول الفقه، السيد أبو القاسم الخوئي (ت:١٤١٣هـ)، تقرير الشيخ محمد إسحاق الفياض، لا ط، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجم اعة المدرسين، قم – إيران: ٢٨/١.

(٣) ظ: المعالم الجديدة للأصول، السيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ)، ط٣، ١٤٢٩هـ، إعداد: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الصدر، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، المطبعة: الشريعة، قم – إيران: ١٢٣.

إذا أتى به الإنسان لوجه الله فهو عبادة، وعلى هذا يمكن أن يكون نوم الإنسان عبادة ... فنومه عبادة، ويقظته عبادة، وتناوله الطعام عبادة، ومشيه عبادة، وارتداؤه الثياب عبادة، فيما لو كانت كل أعماله في سبيل الله)[1].

٢- **تنظيم الجانب العملي:** فقد تكفل فقه المعاملات، بتنظيم طريقة التعاطي مع الآخرين على أساس الحق، واجراء العقود والعهود، ولزوم الوفاء بها، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ...**﴾[2]، ﴿**...وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا**﴾[3]، إذ العهد بمعنى الميثاق واجب الوفاء به[4].

٣- **الفقه والمسؤولية تجاه الأمة:** يعمل الفقه على ترسيخ مبادئ المسؤولية الاجتماعية، عبر تحقيق العدالة الاجتماعية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**﴾[5]، لأن (المجتمع الإنساني الذي هو جزء صغير في كيان هذا الوجود الكبير، لا يقوى أن يخرج عن قانون العدل، ولا يمكن تصور مجتمع ينشد السلام يحظى بذلك دون أن تستند أركان حياته على أسس العدل في جميع المجالات، ولما كان المعنى الواقعي للعدل يتجسد في جعل كل شيء في مكانه المناسب، فالانحراف والإفراط والتفريط وتجاوز الحد والتعدي على حقوق الآخرين، ما هي إلا صور لخلاف أصل العدل)[6].

([1]) طهارة الروح، الشيخ مرتضى مطهري: ٣٦.

([2]) سورة المائدة، الآية: ١.

([3]) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

([4]) فقه العقود، السيد كاظم الحسيني الحائري، ط٤، ١٤٣١هـ، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، مطبعة: شريعت، قم – إيران: ١٨٦/١.

([5]) سورة النحل، الآية: ٩٠.

([6]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣٠٠/٨.

٤- **الفقه ومسؤولية حفظ النفس:** فقد حرّم الله تبارك وتعالى، قتل النفس بغير الحق، وشرّع القصاص لحماية المجتمع من سفك دماء الأبرياء، قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[١]، المراد به: القصاص في القتل، وإنّما كان فيه حياة من وجهين:

أحدهما: ما عليه أكر المفسّرين، كمجاهد، وقتادة، والربيع، وابن زيد: أنّه إذا هَمّ الإنسان بالقتل فذكر ارتدع، فكان ذلك سببًا للحياة[٢].

الثاني: قال السدّيّ: من جهة أنّه لا يَقتل، إلّا القاتل دون غيره، خلاف فعل الجاهليّة الذين كانوا يتفانون بالطوائل، والمعنيان جميعًا حسنان[٣].

وإن في الآية إشارة إلى حكمة التشريع[٤]، وإنّ فيه ضمان حياة المجتمع، إذ لو انعدم حكم القصاص، وتشجّع القتلة القساة على تعريض أرواح النّاس للخطر كما هو الحال في البلدان التي ألغت حكم القصاص، لإرتفعت إحصائيات القتل والجريمة بسرعة[٥].

٥- **الفقه ومسؤولية الإصلاح الاجتماعي:** يحث الفقه الإسلامي على الصلح ووأد النزاعات، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٦]، إذ الأخوة الإسلامية قوة وتحالف وترابط ومودة وإخاء

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) ظ: تفسير الطبري (ت:٣١٠هـ): ١٣٧/٢-١٣٨، ومجمع البيان، للشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): ٤٨١/١، وفقه القرآن، سعيد بن هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣هـ): ٤٠١/٢، واللباب في علوم الكتاب، علاء الدين بن محمد الخازن (ت:٧٢٥هـ): ٢٢٨/٣، والدرّ المنثور، للسيوطي (ت:٩١١هـ): ٣٨٦/١،

(٣) ظ: تفسير الطبري:١٣٨/٢، ومجمع البيان، للشيخ الطبرسي:٤٨١/١.

(٤) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٣٦٠/١.

(٥) تفسير الأمثل، الشيخ الشيرازي: ٤١٤/١.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

وصفاء ونور ومحبة، ليس فيها زيف ولا خداع ولا نفاق، وإذا عصفت بينهم ريح التفرقة، فيقع على المؤمنين مسؤولية إزالتها، وإصلاح ما شجر بينهم من خلاف[١]، ويعد الإصلاح من أهم عوامل النهضة الاجتماعية في منظومة المسؤولية الاجتماعية، ولذلك شُرِعَ عقد الصلح للحفاظ على أجواء المودة والسلم في المجتمع الإسلامي[٢]، ولتحقيق المحبة والألفة[٣].

٦- الفقه ومسؤولية التكافل الاجتماعي: يشرع الفقه الإسلامي أحكام فقهية ترتبط بمفهوم بالزكاة والصدقات، لضمان تحقيق التكافل الاجتماعي، قال تعالى: ﴿**خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٤]، والمراد من الصدقة الزكاة ... وهي حصة من المال وليست كله، التي يوجب أخذها من الأغنياء تطهيرهم من الخصال المذمومة كالبخل والتعلّق بالدنيا وزخارفها، وتحليهم بالصفات المحبوبة التي منها الشعور بضرورة مساعدة الضعفاء والمعوزين[٥].

٧- الفقه ومسؤولية التعاون: يدعو الفقه الإسلامي إلى ضرورة التعاون بين الناس على الخير، قال تعالى: ﴿**.... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ**﴾[٦]، إن الدعوة إلى التعاون التي تؤكد عليها الآية الكريمة تعتبر مبدأ إسلاميا عاما، تدخل في إطاره جميع المجالات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والحقوقية وغيرها، وقد أوجبت هذه الدعوة على المسلمين التعاون

(١) مناهج الأنظمة الاجتماعية في رحاب أهل البيت دراسة مقارنة، الشيخ باقر شريف القرشي (ت:١٤٣٣هـ)، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، الناشر: الرافد، المطبعة: ستارة، قم - إيران: ٥٦/٥.

(٢) الوجيز في الفقه الإسلامي، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله): ٥٣٢/٤.

(٣) الصلح في هدي الكتاب والسنّة، طه عابدين طه: ١١٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٥) ظ: دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، الشيخ باقر الايرواني: ١٧٣/١-١٧٤.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٢.

في أعمال الخير، كما منعتهم ونهتهم عن التعاون في أعمال الشر والإثم اللذين يدخل إطارهما الظلم والاستبداد والجور بكل أصنافها[1].

٨- الفقه ومسؤولية الحفاظ على النظام الاقتصادي: إذ حرّم الإسلام الربا، ونهى عنه ؛ لأنه يوجب تكدّس الثراء عند فئةٍ من الناس، وإشاعة الفقر والإخلال بالرخاء العام، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾[2]، وكذلك حرّم الاحتكار الذي هو حبس المال انتظارًا لغلائه، والتحريم جاء من أجل المحافظة المصلحة العامة للناس، قال رسول الله ﷺ : (لا يحتكر الطعام إلا خاطئ، وأنه ملعون)[3]، والاحتكار يقع في كل ما تحتاجه الناس، ولا يقتصر على ما تم ذكره في الروايات الشريفة، إذ اقتصرت الروايات على ذكر الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن[4] ، إذ ذلك منزّل على الغالب، وشدة الحاجة إليه في ذلك العصر، إذ يلزم الفقهاء الذين حرّموا احتكار الموارد الأربعة الواردة في الرواية، وجمدوا على ظاهر النص، أن احتكار النفط والكهرباء غير محرم، مع العلم أن الحياة اليوم تستحيل بدونهما، وأيضًا احتكار السلاح ومنعه عمن يريد الدفاع عن نفسه حلال لا بأس به... وبالتالي فإن الجمود على حرفية النص في مثل هذه الموارد هو طعنٌ في الدين وشريعة سيد المرسلين[5].

٩- الفقه يؤسس النظام الجنائي: ليضع المسؤولية على الجاني، وللمحافظة على الأمن وضمان عدم الاعتداء على حقوق الآخرين. لذلك وضع الحدود والقصاص،

---

(1) تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٥٨٥/٣.

(2) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(3) الوسائل، الحر العاملي: ٤٢٦/١٧.

(4) م، ن: ٣١٣/١٢.

(5) ظ: فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عرض واستدلال، الشيخ محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ)، ط٤، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، الناشر: مؤسسة أنصاريان، مطبعة: افق، قم – إيران: ١٤٤/٣-١٤٥.

وحدّد الديات، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[1]، ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: ((لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه))[2] ، الغاية الأساسية من كل أحكام القضاء هي لأجل المحافظة على حقوق الناس لتحقيق العدالة الاجتماعية، لأن القضاء عبارة (عن المسؤولية الكبرى تجاه الأمن في البلاد وسياسة العدل بين العباد)[3]، قال الشهيد الثاني: (القضاء ولاية شرعية على الحكم في المصالح العامة من قبل الإمام)[4]، لذلك يتصل قانون القصاص بالمسؤولية الاجتماعية اتصالاً مباشرًا، إذ يعبّر القرآن الكريم عن (أمر القصاص بأنه مكتوب على المؤمنين، بالرغم من أنه حقٌ خاص يطالب به وليّ الدم، إلا أن الأمة مكلّفة بانتزاع هذا الحق له، وبتوفير الظروف المناسبة لتطبيق هذا التشريع، ولولي الدم الحرية في العفو عن الجاني)[5]؛ إن نظام العقوبات الإسلامي، ينطلق من مراعاة المصالح الإنسانية العامة، ويهدف إلى إرساء العدل وتحقيق العدل الاجتماعي[6]

١٠- الفقه ومسؤولية تنظيم الأسرة: تزداد الحاجة اليوم إلى البحث فيما يتعلق بالأسرة من نظام للحقوق والواجبات ينظم علاقاتها ويحدد مسؤوليات أطرافها الثلاثة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) رياض المسائل، السيد علي الطباطبائي، ط١، ١٤٢٢هـ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم – أيران: ٣٨٥/٢.

(٣) شرح تبصرة المتعلمين، آغا ضياء العراقي: ٩٨/٢.

(٤) الدروس، الشهيد الثاني: كتاب القضاء: ١٦٨.

(٥) ظ: الوجيز في الفقه الإسلامي، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله): ٤١٩/٦.

(٦) الشريعة تواكب الحياة، الشيخ حسين الخشن، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، دار الهادي ، بيروت – لبنان: ٤٠.

وهم الأب والأم والأولاد؛ لكي يعيش كل واحد منهم جو الوئام والتفاهم ثم السعادة والكمال[1].

وإن زيادة هذه الحاجة يعود إلى سببين: وضع قوانين الزواج، والطلاق، لضمان استقرار الأسرة التي هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع الرسالي، إذ طهّر الإسلام الحياة الاجتماعية من كل اشكال الإثارات الجنسية، إذ أمر القرآن الكريم المؤمنين والمؤمنات بغض البصر، قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[2]، وعمل على طريق تحريم التبرج، فقد نهى المؤمنات من إبداء زينتهن، وأمرهن القرآن بضرب الخِمار على الجيوب، قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3]، وكذلك فرض احترام البيوت بغير استئذان، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[4]، وأمر بتزويج العزاب وأن لا يخشوا الفقر، قال تعالى:

---

(1) فقه الأسرة، الشيخ فاضل الصفار، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، مركز الفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية، القطيف، المملكة العربية السعودية: ١٩.

(2) سورة النور، الآية: ٣٠.

(3) سورة النور، الآية: ٣١.

(4) سورة النور، الآية: ٢٧ – ٢٨.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[1]، وهكذا العديد من الأحكام التي تُظهر اهتمام الدين الإسلامي بالأسرة، وأن مسؤولية المحافظة عليها، تقعُ على عاتق الجميع، وعلى كل المستويات[2].

وهكذا يعمل الفقه الإسلامي على توجه الافراد الى مسؤولياتهم الخاصة بهم كأفراد، ويحدد للمجتمع مسؤوليته العامة كمجتمع له كيان مستقل ووجود حقيقي، مثل إقامة الحدود، وحفظ النفس، وصيانة كرامة المجتمع، والمحافظة على عزته، ووحدته، واستقلاله، وتطوره، وتكامله، وإنسانيته، ويعتقد الباحث، أن الفقه الإسلامي بأحكامه المتعددة يشكل، التفاصيل الدقيقة للمسؤولية الاجتماعية، واعتباره منظومة الحقوق الشرعية لها.

المطلب الثالث: الضوابط الأخلاقية:

أولًا- تعريف كلمة الأخلاق: تُعدُ الأخلاق جمع لكلمة الخُلُق بضمتين، وقد ذكر ابن مسكويه (ت:٤٢١هـ) الخُلُق بأنه: (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر وروية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربّما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكةً وخلقًا)[3]، وذكرها السيد الخميني (ت: ١٤٠٩هـ)، بقوله: (حالة نفسية

---

(1) سورة النور، الآية: ٣٢.

(2) ظ: العلاقات الاجتماعية من منظور القرآن وأهل البيت عليهم السلام، الشيخ محمد عبد الحسن الكعبي، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، الناشر: قسم الشؤون الدينية في العتبة الحسينية المقدسة، المطبعة: دار الكفيل، كربلاء - العراق: ١٣٦.

(3) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد الرازي مسكويه (ت:٤٢١هـ)، ط١، تقديم: حسن تميم، انتشارات مهدوي، أصفهان - إيران: ٥١.

تدفع الإنسان نحو العمل من دون تروٍ وفكَر، وهذه الخلق النفسية قد تكون في الإنسان طبيعية وفطرية ومرتبطة بمزاج الإنسان من دون فرقٍ بين ما هو خير وسعادة أو شقاء)[1]، وعرَّفها عبدالله شبّر(ت:١٢٤٢هـ): (الخُلق بالضم عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولةً ويسر من غير حاجةً إلى فكرٍ وروية، فإذا كان الصادر عن تلك الهيئة أفعالًا جميلةً محمودةً عقلًا وممدوحةً شرعًا سُمّيت تلك الهيئة خُلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها أفعالًا قبيحةً سُمّيت خلقًا سيئًا)[2].

التعاريف المذكورة لكلمة الأخلاق تعكس تنوع الفهم الفلسفي والنفسي لهذا المفهوم العميق، إذ يشترك ابن مسكويه(ت:٤٢١هـ)، والسيد الخميني(ت:١٤٠٩هـ) والسيد شبّر(ت:١٢٤٢هـ)، في الإشارة إلى أن الأخلاق تتشكل إما بالفطرة والطبيعة أو بالاكتساب والعادة، وهو ما يتوافق مع الرؤية الإسلامية والفلسفية العامة التي ترى الأخلاق جزءًا من كيان الإنسان يمكن تهذيبه وتطويره، من جهة أخرى، فإن تعريف ابن مسكويه يركز على الجانب النفسي وتكوّن الأخلاق كملكة راسخة، بينما السيد الخميني يبرز طبيعتها الفطرية وتأثيرها دون تمييز بين الخير والشر، في حين أن تعريف يُبرز السيد عبدالله شبّر يركز على بُعدٍ مهمٍ يتمثل في كونها هيئةً راسخةً في النفس، أي أنها ليست مجرد تصرفات عابرة أو ردود أفعال مؤقتة، بل هي حالة ثابتة تدفع الإنسان إلى التصرف بطريقة معينة بسهولة ومن دون تفكير مسبق، ويضيف السيد شبّر معيارًا واضحًا للتمييز بين الأخلاق الحسنة والسيئة، إذ يشترط أن تكون الأفعال الصادرة عن هذه الهيئة محمودةً عقلاً وممدوحةً شرعًا حتى تُعدّ خلقًا حسنًا، أما إذا كانت قبيحة، فإنها تُعدّ خلقًا سيئًا.

---

(١) الأربعون حديث، السيد الخميني (ت: ١٤٠٩هـ)، ط٢، ١٤٢٤هـ، تعريب: السيد محمد الغروي، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر اراث الإمام الخميني، قسم الشؤون الدولية، طهران – إيران: ٤٥٩.

(٢) الأخلاق، السيد عبدالله شبّر: ١٠.

ثانيًا- تعريف مفهوم الأخلاق: أما بيان مفهوم الأخلاق، فقد عرّفها الدكتور ألبرت شفيتسر (ت١٣٨٥هـ)، بأنها: (نشاط الإنسان الموجه إلى كفالة الكمال الباطن لشخصيته)[١]، وعرّفها أيضًا الشيخ اليزدي(ت:١٤٤٢هـ)، بأنها: (الأفعال التي تستحق المدح والذم)[٢].

يظهر للباحث أن التعريف الأول للأخلاق ينسجم مع الغاية من علم الأخلاق، بينما كان التعريف الثاني للمفهوم أدق من الأول؛ لانسجامه مع كلمة خُلُق من الناحية الاصطلاحية[٣].

ثالثًا- تعريف الضوابط الأخلاقية كمركّب إضافي:

تُعد الضوابط الأخلاقية من المفاهيم المحورية في المسؤولية الاجتماعية، التي تدعو مراعاتها إلى نشر قيم الخير والعدل والسلام الاجتماعي، وإن انتشار الفاحشة لا يكون إلا من خلال تحطيم الضوابط الأخلاقية التي تدفع الفرد إلى الالتزام بالخط الأخلاقي السليم[٤]، إذ تشكل الإطار العام المنظم للسلوك الإنساني، وفقًا لمنظومة القيم والمبادئ والتشريعات الواردة في القرآن والسنَّة المطهرة، غير أن الاستقراء الناقص الذي اجراه الباحث لمجموعة من المصادر التراثية والمعاصرة، يكشف عن غياب تعريف وصريح للضوابط الأخلاقية، غير الإشارة إلى أهمية مراعاتها[٥]، مما

(١) فلسفة الحضارة، ألبرت شفيتسر، ط٢، ١٩٨٠م، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيروت – لبنان: ٧٧.

(٢) كلمة حول فلسفة الأخلاق، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (ت:١٤٤٢هـ)، ط١، الناشر: مؤسسة في طريق الحق، قم – إيران: ١.

(٣) الأخلاق والحضارة، علي حسين الياسري: ٢٠.

(٤) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ٢٦٩/١٦.

(٥) مفاهيم القرآن، الشيخ السبحاني، ط١، ١٤٣١هـ،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان: ٢٥٨/٣، البنى الأساسية في علم الأخلاق، محمد الجبر، ط١، ١٩٩٤م، دار المعرفة، بيروت – لبنان:٥٥، الأسرة ونظامها في

دعا الباحث إلى اقتراح تعريف يضعه أمام أهل العلم، لعله يكون مناسبًا للمطلوب، آخذًا عند تعريفه الإطار العام لأحكام القرآن الكريم، وتعاليمه وإرشاداته وتوجيهاته الفردية والاجتماعية، فكان التعريف المقترح هو أن الضوابط الأخلاقية تعني: مجموعة من القيم والمبادئ المستمدة من التعاليم الدينية والفطرة الإنسانية، التي تُلزم الأفراد بالسلوك الأخلاقي طواعيةً، لتحقيق الخير والعدل في المجتمع.

ترتبط هذه الأخلاق مع المسؤولية الاجتماعية من خلال اعتبارها الاطار الذي تدور في محيطه مقررات المسؤولية الاجتماعية، والغلاف الذي يصون قيمها ومبادئها، ويرسم لها حدودها ويحفظ لها فاعليتها واستمرارها، وتجعل الأخلاق ذات هدف واضح على صعيد التكامل الفردي والاجتماعي، وبدون هذه الضوابط الأخلاقية تتحول العلاقات الاجتماعية إلى قضية شكلية وآلية (ميكانيكية) شبيهة بالأعراف والتقاليد[1]، بينما ينحط الإنسان المتحلل من الضوابط الأخلاقية إلى بهيمية تحصر اهتمامه بمطالب جسدية تفسد عليه إنسانيته، ولأهمية الأخلاق في ضبط المجتمعات وتنظيمها لم نجد واحدا من الفلاسفة، على امتداد التاريخ، أو المفكرين والكتاب في العلوم الإنسانية إلّا وقد خصّص حيّزا من كدحه الذهني وكتاباته لباب الأخلاق[2]، إذ (العيش في مجتمعٍ يتم فيه تنظيم العلاقات بين الأفراد والمؤسَّسات الاجتماعية على أساس الضوابط الأخلاقية والإنسانية، لا شَكَّ أفضل من العيش في مجتمعٍ أقوم فيه العلاقات الاجتماعية على أساس القوّة والبطش والمعايير اللاأخلاقية وقانون

الإسلام، حسين أنصاريان، ط١، ١٤١٩هـ، الناشر: دار الرسول الأكرم، بيروت – لبنان:١٨٩، الإسلام وقضايا الزواج، علي القائمي، ط١، ١٤١٤ه، دار النبلاء، بيروت – لبنان: ١٠٥.

(١) ظ: دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم ، ط٤، ٢٠٠٧م، الناشر: مؤسسة شهيد المحراب، النجف الأشرف – العراق: ٥٠٩/١.

(٢) الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، أسعد السحمراني، ط١، ٢٠٠٧م، الناشر: دار النفائس، بيروت – لبنان: ٩.

الغاب)[1]، وقد ردّ غوستاف لوبون (ت:١٣٥٠هـ) سبب سقوط الأمم إلى الانحطاط الأخلاقي، فقال: (ونحن إذا ما بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم، وهي التي حفظ لنا التاريخ خبرها كالفرس والرومان وغيرهم، وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو: تغيّر مزاجها النفسي تغيّرًا نشأ عن انحطاط أخلاقها، ولستُ أرى أمةً واحدةً زالت بفعل انحطاط ذكائها)[2]، وأشار السيد جمال الدين الأفغاني (ت:١٣١٥هـ)، إلى أثر فضائل الأخلاق ورذائلها في صعود المجتمعات وهبوطها إذ قال: (هكذا جعل الله بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل التي أشرنا إليها، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها، سنّةً ثابتةً لا تختلف لاختلاف الأمم، ولا تتبدل يتبدل الأجيال)[3].

لذلك شكلت الأخلاق ضابطًا مهمًا من ضوابط المسؤولية الاجتماعية، إذ القرآن الكريم يدعو إلى مجتمع متماسك قائم على العدل، الرحمة، والتكافل الاجتماعي، والسلامة النفسية والفكرية، وذلك يتطلب مسؤولية جماعية في رفض حالة السخرية والاستهزاء بالآخرين من أبناء المجتمع، باعتبارها حالة مخالفة للآداب والاخلاق، وتعزيز ثقافة الاحترام المتبادل والمساواة بين الجميع.

ولأجل توضيح ذلك سأشير إلى نموذج اجتماعي معاصر مخالف للضوابط الأخلاقية، ألا وهو **الوصم الاجتماعي**، الذي هو عبارة عن: (صورة ذهنية سلبية

---

(1) تبعية الأخلاق للدين، مجلة الاجتهاد والتجديد، أبو القاسم فنائي، ط١، ١٤٣٨هـ، ترجمة: حسن علي مطر، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، الناشر: مركز البحوث المعاصرة في بيروت، بيروت – لبنان: ١٨٣.

(2) السنن النفسية لتطور الأمم، الدكتور غوستاف لوبون، ط٢، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م، ترجمة: عادل زعتير، دار المعارف، مصر:١٧٢.

(3) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، محمد عمارة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة – مصر: ٣٣٨..

تلصق بفرد معين كتعبير عن الأشياء والاستهجان لهذا الفرد نتيجة اقترافه سلوكًا غير سوي يتعارض مع القيم والمبادئ السارية في المجتمع)[١].

الوصم الاجتماعي في المنظور القرآني له باب واسع، ومعالجات جذرية، إذ تعد الضوابط الأخلاقية الواردة في القرآن الكريم، أداة مناسبة لمعالجة هذه الأمراض الأخلاقية عن طريق تقدير الذات، واحترام الآخرين، لذلك نهى القرآن الكريم عن رذائل الأخلاق، ودعا إلى ضرورة التحلي بالفضائل، وقد ورد في النص القرآني مصطلح **الاستهزاء والافتراء** كنموذجين بارزين لتحديد ظاهرة الوصم الاجتماعي، حسب المصطلح الحديث لعلماء الاجتماع، ولتوضيح هذين المصطلحين نذكرُ ما يأتي:

١- **الاستهزاء:** مفهوم الاستهزاء في اللغة والاصطلاح:

أ- **الاستهزاء في اللغة:** (أصل مادة (هزء) تدل على السخرية، يقال: هزأ واستهزأ، إذا سَخَرَ، واستهزأ بالقانون: خرقه ولم ينفذه، وهو بمعنى: السخرية، والاستخفاف، ويأتي بمعنى: التهكم)[٢].

ب- الاستهزاء في الاصطلاح:

لا يختلف كثيرًا المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، (فالاستهزاء يقتضي تصغير من قصد به، وتحقيره)[٣]، ولقد جاء الاستهزاء في الاستعمال القرآني بمعنى السخرية[٤]، إذ وردت الكثير من الشواهد القرآنية الدالة على ذلك:

---

(١) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، ط١، ١٩٩٥م، دار المعرفة الجامعية: ٤٤١.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري: ٢٢/٦، الصحاح، الجوهري: ٨٤/١، مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥٢/٦.

(٣) معجم الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري: ٢٥٤.

(٤) المفردات، الراغب الاصفهاني: ٨٤١.

منها قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ**﴾[1]، الاستهزاء هو السخرية والاستخفاف، واستهزاء الله تعالى، أي: يجازيهم على استهزائهم[2]، وينزل الهوان والحقارة بهم؛ لأن المستهزئ يستهدف إلحاق الخفّة والزراية بمن يستهزأ به، وقد يراد منه، أنه يجازيهم جزاء الهزء من خلال إمهالهم مدةً استدراجًا واغترارًا[3]، فكانوا يؤكدون لشياطينهم أنهم معهم، وأن ولاءهم للمؤمنين ظاهري، هدفه الاستهزاء، وبلهجة قويّة حاسمة يردّ القرآن الكريم على هؤلاء ويقول: {اللهُ يَسْتَهْزِيءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}، الآية الأخيرة توضّح المصير الأسود المظلم لهؤلاء المنافقين، وخسارتهم في سيرتهم الحياتية الضّالة[4]: {أُولئكَ الّذِينَ اشتَرَوا الضَّلالَةَ بِالهُدى فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُم وَمَا كَانُوا مُهتَدِينَ}[5].

ومنها قوله تعالى: ﴿**يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ**﴾[6]، وسبب حسرتهم هنا هو الاستهزاء[7]، هذا بيان وتفسير للسبب الموجب للحسرة، وهو إصرار المشركين على تكذيب الرسل، واتخاذهم سخريًا وهزوًا[8]، على أنّ المقصود هو جميع البشر، إذ أنّ كلمة «العباد» في الآية المذكورة تشمل جميع البشر على طول التاريخ، الذين ما إن جاءهم الأنبياء حتّى هبّوا

(1) سورة البقرة، الآية: ١٤-١٥.
(2) ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٠٠/١.
(3) ظ: من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ٨٥/١.
(4) ظ: الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٩٣/١.
(5) سورة البقرة، الآية: ١٦.
(6) سورة يس، الآية: ٣٠.
(7) ظ: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٥٦/٢٦.
(8) ظ: الكاشف، الشيخ مغنية: ٣١٢/٦.

لمخالفتهم وتكذيبهم والاستهزاء بهم، وعلى كلّ حال فهي دعوة لجميع البشر بأن يتأمّلوا في تأريخ القدماء، ويعتبروا من آثارهم التي خلّفوها، بفتح قلوبهم وبصائرهم[1].

منها قوله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ**﴾[2]، ذكر الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ) أن (الاستهزاء هاهنا مجاز، لأنه جعل الهزء بالمؤمنين وبآيات الله هزءًا بالله، والهزء :إيهام أمر على خلاف ما هو به استصغارا لصاحبه)[3]، وقال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): (لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه، فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم، وبأنه موجود منهم، حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء)[4]، قال ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ): (فلما كشف الله أمر استهزائهم، أردفه بإظهار قلة جدوى اعتذارهم إذ قد تلبسوا بما هو أشنع وأكبر مما اعتذروا عنه، وهو التباسهم بالكفر بعد إظهار الإيمان، فإن الله لما أظهر نفاقهم كان ما يصدر عنهم من الاستهزاء أهون)[5]، حتى اوصلهم هذا الاستهزاء إلى الكفر، قال صاحب تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (ان قولهم: كنا نخوض ونلعب أقبح من الذنب الذي اعتذروا منه، فهل الله جلت عظمته لعبة للتسلي والتلهي؟ وهل أرسل أنبياءه للسخرية والاستهزاء، وتدل الآية ان كل من استهزأ بالدين وأحكامه الثابتة بالبداهة فهو كافر)[6].

تدل النماذج القرآنية المباركة على خطر الاستهزاء، كأسلوب من أساليب الوصم الاجتماعي، الذي لموضوعه مساحة واسعة في القرآن الكريم، رغم حداثة المصطلح.

---

(1) ظ: الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشبرازي:١٣٢/١١.

(2) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

(3) التبيان، الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): ٢٥١/٥.

(4) الكشاف، الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): ٢٠٠/٢.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ):٢٥٢/١١.

(6) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٦٥/٤.

٢- الافتـراء: إنّ الكـذبَ والافتـراء مـن الكبـائر الموبقـة التـي نهـى عنهـا الكتـاب والسـنّة... وأوّل مـن افتَـري عليـه هـو رسـول الله ﷺ، حتّـى بلـغ بـه الحـال أن أرتقـى المنبـر وخاطـب جمـوع المسـلمين بقولـه: ((مـن كـذّب علـيَّ متعمّـدًا فليتبـوّأ مقعـده مـن النـار))[١]، وشـمل ذلـك أهـل بيتـه الطيبـين الطـاهرين[٢]، ولمعرفـة حقيقـة الافتـراء، لا يـدَّ مـن بيـان مفهـوم المصطلح عند أهل اللغة والاصطلاح، وهو كما يأتي:

أ- الافتـراء فـي اللغـة: الافتـراء مصـدر مشـتق مـن مـادة (فـري): بمعنـى قطـع الشـيء، يقـال: فـراه يفريـه فريًـا: شـقه شـقًا، ثـم يفـرع منـه مـا يقاربـه، مـن ذلـك، فيقـال: فريـت الشـيء أفريـه فريًـا، وذلـك قطعـك لـه لإصـلاحه، ومـن البـاب: فـلانٌ يفـري الفـري إذا كـان يـأتي بالعجـب، كأنـه يقطـع الشـيء قطعًـا عجبًـا[٣]، وفـرى الكـذب: اختلقـه، يقـال: فـرى فـلانٌ كـذبًا يفريـه إذا خلقـه[٤]، وقـال ابـن منظـور: (والفريـةُ: الكـذب، فـرى كـذبًا فريًـا... وجـاء فـي التنزيل العزيز: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ..**﴾[٥]، أي اختلقه)[٦].

ب- الافتـراء فـي الاصـطلاح: الافتـراء فـي الاصـطلاح لا يختلـف كثيـرًا عـن معنـاه اللغـوي، ولـذلك قيـل فـي معنـاه، أنـه: (الافتـراء: هـو اختـراع لقصّـة كاذبـة لا أصـل لهـا)[٧]،

---

(١) ظ: نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٠.

(٢) ظ: ظـاهرة الافتـراء علـى الشـيعة عبـر التـاريخ، الشـيخ جعفـر السـبحاني، ط١، ٢٠١٠م، مؤسسـة الإمـام الصـادق عليه السلام، النجف الأشرف – العراق: ٦.

(٣) ظ: مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٩٧/٤.

(٤) ظ: تاج العروس، للزبيدي: ٢٣٠/٣٩.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٨.

(٦) لسان العرب، ابن منظور: ١٥٤/١٥.

(٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الاصفهاني:٢٧٥.

وقيل: (الافتراء: الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه)[1]، وقبل أيضًا: (الافتراء: اختراع قضية لا أصل لها)[2].

لقد أثر الافتراء الذي هو الكذب على ذهنية غالبية المجتمع، وجعلهم يتخذون مواقف ويقومون بسلوكيات غير سليمة ولا مقبولة، ولعل ابرز عمليات الافتراء الاجتماعي، هو وصف الرسول الأكرم ﷺ، بالشاعر والمجنون؛ لأجل تفريق الناس عنه، وعدم مشروعه الإلهي، قال تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ**﴾[5]، والقرآن الكريم يؤكد أن ظاهرة الافتراء هذه ظاهرة قديمة وتم استعمالها ضد الأنبياء والرسل السابقين، ظنًا منهم أنهم سيُفشِلونَ مشروع من وقف الرحمان بجانبهم وأيدهم بتأييده، قال تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾[6]، غريب أن يتشابه الأولون والآخرون في تكذيب المحقين والمصلحين، هل اجتمعوا وتواصوا بذلك كلا، ما اجتمعوا، ولا رأى أو قلد بعضهم بعضا، وإنما جمعهم عداء الباطل للحق، والجهل للعلم[7]، إذ كانت تلك تهمةً هدفها الطغيان والكفر، يكررها كل الكفار على امتداد التاريخ[8]، ولأجل انهاء هذه الظاهرة ومعالجتها نفسيًا واجتماعيًا، ركز القرآن الكريم على جزئيات هذه المسألة، وأشار إليها

(1) الفروق اللغوية، ابن هلال العسكري: ٤٤٩.

(2) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي:٢٠٧/١.

(3) سورة الأنبياء، الآية: ٥.

(4) سورة الصافات، الآية: ٣٦.

(5) سورة الحجر، الآية: ٦.

(6) سورة الذاريات، الآية: ٥٢.

(7) تفسير الكاسف، الشيخ مغنية: ١٥٧/٧.

(8) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله): ٤٣٢/٩-٤٣٣.

صراحة بقوله تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾[1].

يبدو مما سبق أن الوصم الاجتماعي قد يكون بصورة استهزاء أو افتراء أو صور أخرى، وكلا هاتين الصورتين يؤثران سلبًا على النسيج الاجتماعي، ويحدثان خللًا بناءه مما يشكّل عاقًا نفسيًا في ثقة المجتمع بنفسه وقدرته على تحمله لمسؤولياته والقيام بواجباته، لذلك دعا القرآن الكريم الى معالجة الانحرافات الأخلاقية لتكون هي العنصر المانع من الانزلاق في مهاوي الرذائل، وما ذكره الباحث من ضوابط عقدية وفقهية واخلاقية، تدخل جميعها ضمن المنظومة الدينية الإسلامية، إذ أنها الضوابط ليست الوحيدة، ولكنها ضوابط أصيلة، تسمد أصالتها النص الديني، أما الضوابط الأخرى التي هي الضوابط القانونية، والعرفية، والإنسانية، فهي لا تنتمي إلى النص الشرعي مباشرةً، وقد تختلف بين المجتمعات، وكذلك الأعراف والعادات والتقاليد.

(1) سورة الحجرات، الآية: ١١.

الفصل الثاني: مناشئ المسؤولية الاجتماعية واركانها وشروطها في القرآن الكريم...

الفصل الثاني: مناشئ المسؤولية الاجتماعية واركانها وشروطها في القرآن الكريم:

المبحث الأول: مناشئ المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

المبحث الثاني: اركان المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

المبحث الثالث: شروط المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

المبحث الأول: مناشئ المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

يُعد البحث حول منشأ الموضوع، بحثٌ في الأسس التي تكوّن منها، والأرضية التي ينطلق منها، لذلك يُعدُّ هذا البحث في الجذور التي انبثقت منها المسؤولية الاجتماعية، ونتناوله ضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقل في اللغة والاصطلاح:

أولًا- العقل في اللغة: ورد العقل في اللغة بعدة معاني وهي: (العقل نقيض الجهل)[١]، وقيل هو: (الحِجرُ والنُهى)[٢]، وهو مصدر عقَل[٣] ، وهو الحبس والمنع؛ لأنه يحبس صاحبه عن ذميم القول والفعل، والعاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها[٤]، وقيل أنه يستعمل في المعاني الآتية: القلب، التمييز، التأمل في الأمور، والقلعة والحصن، الديّة، والاستعداد الذي يحصل به العلم[٥]، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل[٦]، ومهما يكن من معنى العقل وحقيقته اللغوية، إلا أننا بصدد الاعتماد على المعنى الاصطلاحي، خصوصًا ما جاء في القرآن لذلك نكتفي بهذا القدر لنشرع في بيان المعنى الاصطلاحي.

---

(١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٤هـ)، ط١، ١٤١٤هـ، تحقيق: محمد حسن البكائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران: ٥٦٥.

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:٣٩٣هـ)، ط٤، ١٩٩٠م، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان: ١٧٦٨/٥.

(٣) ظ: لسان العرب، ابن منظور(ت:٧١١ه): ١٨٠/١.

(٤) ظ: مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي(ت:١٠٨٥ه): ٤٢٥/٥.

(٥) ظ: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت:٣٩٥هـ)،ط٢، ١٤٠٤هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم – إيران:٧٠/٤.

(٦) م، ن: ٧٠/٤.

ثانيًا- العقل في الاصطلاح:

قال ابن عطية بأن العقل هو: (الإدراك المانع من الخطأ)[1]، وعرّفه الأصفهاني قائلًا: (هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل)[2]، كذلك قيل في معناه أنه: (إن العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعاني)[3]، وعلى ذلك يكون معنى العقل، هو أداة للعلم والمعرفة، ويميز به بين الخير والشر.

رابعًا- العقل في الاستعمال القرآني: وإذا ذهبنا نستطلع رأي القرآن الكريم في العقل نجده كما يأتي:

لم يرد لفظ العقل في القرآن الكريم، ولكن استعملت اشتقاقاته، مثل تعقلون ويعقلون، أضف إلى ذلك (أن القرآن الكريم قد يعبّر عن العقل بألفاظ من قبيل الحِجر والنهُى، ويسمي أُولي العقل بذي حِجر، وأولي الألباب، وأُلي الأبصار، وأُولي النُهى)[4].

وورد العقل في القرآن الكريم أيضًا بمعنى الفهم، قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ**﴾[5]، أي: وما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت:٥٤٦هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان:١/١٣٧.

(2) المفردات، الراغب الاصفهاني: ٥٧٧.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي:١/٣٧٠.

(4) الفقه والعقل، الشيخ أبو القاسم عليدوست، ط١، الناشر: مركز الثقافة والفكر، مطبعة اديب الفقه الجواهري، قم - إيران: ١/٣٩.

(5) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

بين المثل والممثل به. وقيل: معناه وما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله تعالى[1].

يظهر معنا من خلال ما تقدم أن العقل هو فهو يمثل النور الذي يضيء الطريق، ويوجه الإنسان نحو ما ينبغي أن يكون عليه، وذلك من خلال تحفيزه على إدراك الواجبات والمسؤوليات الاجتماعية بعقلانية، قال تعالى: ﴿...**نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ**﴾[2]، نور الوحي يتقد بنور التقوى، والوحيُ يتألق بنور العقل، إلا أن التوفيق للهداية لا بدَّ أن يأتي من الله سبحانه[3]، روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (العَقلُ نورٌ خَلَقَهُ اللهُ للإنسانِ، وجعله يُضيءُ على القلبِ؛ ليعرفَ به الفرقَ بين المشاهدات من المُغَيَّباتِ)[4].

خامسًا- العقل والمسؤولية الاجتماعية: لقد تم اعتبار العقل مناشيء للمسؤولية الاجتماعية، والمعيار الذي يحدد نوعية السلوك الاجتماعي، والميزان الذي يميز بين الحق والباطل، ولكن ليس كل العقول كذلك، بل العقل المهتدي بنور الوحي، وحقائق الرحمن، والذي يسمى بالعقل المجرد، المُدرك للمفاهيم الكلية[5]، لا العقل المتأثر بالأهواء والشهوات، وعليه يكون هذا العقل وسيلة للفهم وأداة للمعرفة، ويعد أحد أهم مناشيء المسؤولية الاجتماعية، وذلك من خلال ما يأتي:

([1]) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢٨/٨.

([2]) سورة النور، الآية: ٣٥.

([3]) من هدى القرآن، السيد المدرسي (دام ظله):٥٢/٦.

([4]) عوالي اللئالي، في الأحاديث النبوية، محمد بن علي ابن ابي جمهور الإحسائي (ت:٨٨٠هـ)، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، تحقيق: اغا مجتبى العراقي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، المطبعة: سيد الشهداء، قم – إيران: ٢٤٨/١.

([5]) الجهد الأصولي عند العلّامة الحلّي، الدكتور بلاسم عزيز شبيب، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف – العراق: ٣٠٠.

١- العقل أساس المسؤولية:

بالعقل نعرف مسؤولياتنا؛ ونُدرك واجباتنا وحقوقنا وما لنا وما علينا، ونميز بين حسن الأشياء وقبحها، وبين العلم من الجهل؛ لأن من لم يكن له عقل، لم يكن له معرفة، ولم يكن له دين، قال رسول الله ﷺ: ((قِوامُ المَرءِ عَقلُهُ، ولا دِينَ لِمَن لا عَقلَ لَهُ))[١]، رُوِيَ عَنْ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنهُ قالَ: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ .فَقَالَ: وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَحْسَنَ مِنْكَ، إِيَّاكَ آمُرُ وَ إِيَّاكَ أَنْهَى وَ إِيَّاكَ أُثِيبُ وَ إِيَّاكَ أُعَاقِبُ))[٢].

فان العقل شرع إلهي داخلي كما أن الدين شرع إلهي خارجي[٣]، وعلى أساس هذا التوافق بينهما، يأمر العقلُ بوجوب طاعة المولى عزَّ وجلَّ، على أساس حق الطاعة له تعالى دون سواه، ومقصودنا من المولى الواجب طاعته هنا، هو المولى الحقيقي، الذي هو الله تعالى، وليس المولى العرفي[٤].

٢- الانحراف عن المسؤولية الاجتماعية بسبب تعطيل العقل:

المجتمع الذي يسير في طريق نور العقل، مستعينًا بهدى الوحي الإلهي، يُعد مجتمعًا حيًا، لن يموت ابدًا، ولن يتولى إدارته كلُ من هبَّ ودب، إذا كان الاختيار يقع ضمن دائرة الحرية، وعلى أساس إرشاد حكم العقل، لا على أساس الهوى والمصالح الضيقة، ونظرة واحدة إلى الواقع المتأزم في المشهد العراقي، يُلاحظ حجم

---

(١) منتخب ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٤٤٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ٢٦/١.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري (ت: ١٤١٤هـ)، ط٥، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، المطلعة: نكَين، قم - إيران: ١٩٦/٢.

(٤) ظ: غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم الميرزا القمي (ت:١٢٣١هـ)، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق: عباس ابريزيان، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم - إيران: ٢٣٧/٢.

الانقسام الاجتماعي على أساس الدين والمذهب والطائفة والقومية، وما ذلك إلا دليل على تقديم المصالح الخاصة التي تلبي حاجات الهوى والنفس، ولا علاقة لها بالعقل ومدركاته، لذلك تجد أن السبب الرئيس في انحراف المجتمعات البشرية وابتعادها عن الحق، هو في تعطيل العقل البشري، والقرآن الكريم يشهد بأن الذين انحرفوا عن نور العقل نالهم عذاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ**﴾[1]،أي: لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر، ونعقل عقل من يميز وينظر، ما كنا من أهل النار[2]، ولا يملك أحدهم إلا الاعتراف بذنوبه دون أن يجد مبررًا يتملص به من المسؤولية[3]، فمن جهة أعطاهم الله تعالى الأُذن السامعة والعقل، ومن جهة أخرى بعث إليهم الرسل والأنبياء بالدلائل الواضحة فلو اقترن هذان الأمران فالنتيجة هي ضمان سعادة الإنسان، أما لو كان للإنسان اذن لا يسمع بها، وعين لا يبصر بها، وعقل لا يفكر به، فلو جاءه جميع الأنبياء والمرسلين بكافة معاجزهم وكتبهم، لم ينتفع بشئ[4]، ورد في الحديث الشريف، (أن بعض المسلمين ذكروا شخصًا عند رسول الله ﷺ وأثنوا عليه، فقال ﷺ : كيف عقل الرجل " فقيل: يا رسول الله نحن نسأل عن سعيه وعبادته وخيراته وأنت تسأل عن عقله؟! فقال ﷺ :" إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدًا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم)[5]، وعلى أساس ذلك يكون كل عاقلٍ مسؤول أمام الله تعالى، وأمام مجتمعه وأمته.

---

(1) سورة الملك، الآية: ١٠.

(2) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٧٢/١٠.

(3) من هدى القرآن، السيد المدرسي (دام ظله): ١٠٢/١١.

(4) الأمثل ، الشيخ ناصر الشيرازي: ٤٨٧/١٨.

(5) متخب ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٤٤٣.

المطلب الثاني: الفطرة:

أولًا- الفطرة في اللغة: أصل مادة (فطر) يدل على فتح شيء وإبرازه، من ذلك الفطر من الصوم، يقال: أفطر إفطارًا، وقومٌ فطرٌ أي مفطرون، ومنه الفَطر، بفتح الفاء، وهو مصدر فطرت الشاة فطرًا، إذا حلبتها[1]، وهي الحالة منه كالجلسة والركبة[2]، أي: الهيئة والفطرة: الخلقة بالكسرة وهي الحالة التي يكون عليها مل موجود أول خلقته، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ**﴾[3]

ثانيًا- الفطرة في الاصطلاح: هي (الجبلة المتهيئة لقبول الدين)[4]، وقيب هي (الخلقة؛ لأن من معاني الفطرة الخلقة)[5]، وقد خلقهم الله تعالى عليها، قال تعالى: ﴿**فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾[6]، وهي التوحيد، ورد في الرواية عن (أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال: على التوحيد)[7].

ثالثًا- الفطرة منبع المسؤولية الاجتماعية: الفطرة السليمة تدعو إلى الدين والتوحيد والخير والصلاح والسلام وإلى كل المبادئ والقيم النبيلة، فهي بهذا الاعتبار تكون منبعًا أصيلًا للمسؤولية الاجتماعية، وهي لا تتخلف عن السعي نحو الكمال الإلهي،

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥١٠/٤.

(2) لسان العرب، ابن منظور: ٥٦/٥.

(3) سورة يس، الآية: ٢٢.

(4) التعريفات، الجرجاني: ١٦٨.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار: ٤٦/٣.

(6) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(7) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٣٢/٦٤.

كونها تنسجم مع العلم بالخالق، قال رسول الله : كل مولود يولد على الفطرة، يعني: على المعرفة بأن الله عزَّ وجلَّ خالقه[1]، قال تعالى: ﴿**فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾ [2]، فلا يفترق طريق الفطرة السليمة النقية عن طريق الدين القيّم.

ترتبط هذه الفطرة مع المسؤولية الاجتماعية، كونها الأساس الذي تصدر عنه؛ إذ الفطرة الإنسانية أداة إدراك الإنسان لمسؤولياته الكبيرة تجاه نفسه وتجاه الآخرين، ذلك الارتباط يظهر من عدة جوانب وهي:

١- **الفطرة والدعوة إلى الكمال:** يعتبر الكمال من القضايا التي يسعى الجميع للوصول إليها، أفرادًا وجماعات (إذ النزوع نحو الكمال المحض موجود في كل الأحوال)[3]، وتحقق ذلك الكمال يكون بالالتزام التام بأوامر ونواهي وارشادات فاطر السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿**فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ**﴾[4]، الفطرة منبع الكمالات الإنسانية، ولكن البشر تلوثت فطرتهم وانحرفت عن فطرة الله تعالى، لذلك نشاهد السعي الدائم لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، للسيطرة على الشعوب وسلب مقدراتها، واستغلال طاقتها، واستثمار بيئتها، بسبب تلوث الفطرة وخبث السرائر، فلا يأخذ بقيم الحق ومبادئ الرسالة.

٢- **الفطرة تدعو إلى الخير والصلاح:** فطرة الإنسان السليمة تميل إلى الخير والصلاح وإلى فعل المعروف، وتنفر عن القبيح والمنكر، ولذلك دعا القرآن الكريم

---

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٣٥/٦٤.

(2) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(3) العقيدة من خلال الفطرة في القرآن الكريم، الشيخ جوادي آملي، بلا ط، الناشر: مؤسسة الثقلين الثقافية: دمشق – سوريا: ٧٨.

(4) سورة الشورى، الآية: ١١.

أبناء المجتمع إلى الأمر بالعروف والنهي عن المنكر، وهو ما يتوافق مع فطرة الإنسان النقية، وذلك تعبيرًا واضحًا عن مسؤولية المجتمع في الأخذ بهذه الدعوة، قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾[1].

٣- الميل الفطري الى التراحم والتكافل: الإنسان مجبول على حب التعاون مع الآخرين، وتقديم المساعدة، ووجود دافع فطري في داخل كل إنسان للشعور بالآخرين ومعاناتهم، والتفاعل معهم، لذلك نلاحظ أننا قد نتفاعل مع مشهد تمثيلي وتنهمر دموعنا بسبب كمية مشاعر الحزن أو الفرح، مع أن المشهد غير حقيقي، ولكن الإنسان يتفاعل بفطرته السليمة، وقد أكدَّ القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله: ﴿**...وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ...**﴾ [2]، حث الإنسان على فكرة العطاء، جوهر أساسي في المسؤولية الاجتماعية، القائمة على أساس التعاون والتكافل.

يتمحور دور الفطرة في حياة الإنسان، بأنه الموجه المركزي نحو قيام المجتمع بمسؤولياته، والسير وفق القيم والمبادئ الأصيلة في الدين الحنيف، وإن الفطرة السليمة هي منبع المسؤولية الاجتماعية، إذ تحيي في ضمير المجتمع مبادئ الخير والحب والفضيلة، ومن الأمثلة العملية على ذلك: المبادرات المجتمعية التي تدعم الفقراء والمحتاجين، وتلك التي تهدف إلى حماية البيئة، مما يعكس تطبيقاً عملياً لقيم التعاون والتراحم التي فطر الإنسان عليها.

([1]) سورة آل عمرا، الآية: ١٠٤.

([2]) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

المطلب الثالث: الدين:

أولًا- مفهوم الدين في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي دان، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به:

- فإذا تعدى بنفسه يكون (دانه) بمعنى ملكه، وساسه، وقهره، وحاسبه، وجازاه .

-وإذا تعدى باللام يكون (دان له) بمعنى خضع له، وأطاعه.

-وإذا تعدى بالباء يكون (دان به) بمعنى اتخذه دينًا ومذهبًا واعتاده، وتخلق به، واعتقده[1].

وورد معنى الدين في المعاجم اللغوية على عدة معاني، منها، الطاعة والخضوع والانقياد، قال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ):الدال والياء والنون أصلٌ واحدٌ، إليه يرجع فروعُه كلُّها، وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل[2]، ومعانيه الأخرى هي:

الجَزَاءُ، ومنه :واللَّهُ دَيّان يَوْمِ الدِّيْنِ. **والقَضَاءُ**، ومنه قَوْلِه عَز وجَلَّ : ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[3]، **والطّاعَةُ**، ومنه: دانُوا له، أي: انقادوا وأطاعُوا. وقَوْلُه : كما تَدِيْنُ تُدَانُ، أي: كما تَأتي يُؤْتى إليك. **والعادَةُ**، قال ابن فارس: فأمّا قولهم إنّ العادة يقال لها دينٌ، فإن كان صحيحاً فلأنَّ النفسَ إذا اعتادت شيئاً مرَّتْ معه وانقادت له[4]، **والحُكْمُ**، ومنه قوله تعالى: ﴿**... مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ**﴾[5].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور: ١٤٦٢/٢.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣٣٥/٣.

(3) سورة الذاريات، الآية: ٦.

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٤٦٣/٢.

(5) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

ثانيًا- الدين في الاصطلاح: ذكر العلماء عدة تعريفات للدين، مختلفو الألفاظ ومتحدة المعاني، وهي كما يأتي:

١- وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المال[١].

٢- وضع إلهي رائد لذوي العقول إلى الحق في الاعتقادات، والسلوك والمعاملات[٢].

٣- وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قَبُول ما هو عند الرسول[٣].

٤- وضع إلهي يُحْسن الله تعالى به إلى البشر، على لسان واحد منهم، لا كسب له فيه، ولا صُنع، ولا يُنْقل إليه بتلَقٍ، ولا تعلّم[٤].

تشترك هذه التعاريف بكلمة الوضع للدلالة على أن المقصود منها، هو الدين المُنَزّل من الله تعالى للبشرية، وما عداه من الأديان باطلة.

٥- مجموعة عقائد وأخلاق وقوانين ومقررات أُنزلت لإدارة الفرد والمجتمع، وتربية الإنسان عن طريق الوحي والعقل[٥].

ينفرد التعريف الأخير بخلوهِ من كلمة الوضع، والإشارة إلى كلمة الوحي للدلالة على أصل جهة صدور الدين من الله تعالى الواصل إلينا عن طريق الوحي الإلهي.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ط١، ١٩٩٦م، تحقيق: د. علي دحروج، تقديم: د. رفيق العجم، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت – لبنان: ٨١٤/١.

(٢) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبدالله دراز، ط١، ١٩٥٢م، دار القلم، الكويت: ٢٦.

(٣) التعريفات، الجرجاني (ت:٨١٦هـ):١٤٢.

(٤) تفسير المنار، محمد عبده (ت:١٣٢٣م)، ط١، ١٩٧٣م، مطبعة الاهرام، القاهرة – مصر: ٦٩/٢.

(٥) معرفة الدين، الشيخ عبدالله الجوادي الآملي، ط١، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م، تعريب: هاشم الميلاني، الناشر: مركز الدراسات الاستراتيجية في العتبة العباسية المقدسة، النجف الأشرف – العراق: ٢١-٢٢.

٦- وأخيرًا عرّفه الشيخ السبحاني، حسب الاصطلاح القرآني، على أنه: الطريقة الإلهية العامّة التي تشمل كل أبناء البشر، في كل زمان ومكان، ولا يقبل أيَّ تغييرٍ وتحويل مع مرور الزمن وتطور الأجيال[١].

يبدو للباحث أن الجمع بين التعريفين الأخرين للعلماء الأفاضل مع إضافة فقرة من تعريف الشهيد الصدر للحكم الشرعي، ينتج تعريفًا لا بأس به، وهو: أن الدين هو الطريقة الإلهية العامَّة[٢]، المكونَّة من العقائد والأخلاق والقوانين[٣] ، لتنظيم حياة الإنسان[٤]، فردًا ومجتمعًا.

ثالثًا- الدين منشأ للمسؤولية الاجتماعية: يُعد الدين الإسلامي الجذر الأساس الذي تنبثق منه المسؤولية الاجتماعية، عبر القرآن الكريم والسنة المطهر للنبي ﷺ وأهل بيته الأطهار ﷺ، باعتبارهما جزءًا من الدين، ومن المنظومة الدينية ؛ لأنهما صنوان لا يفترقان، يؤيد ذلك ما ورد في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين، إذ قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي: أمرين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدودٌ ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)[٥]، لذلك يُفضّل ذكر السنّة الشريفة

---

(١) مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان: ٦١٧/١.

(٢) ظ: مفاهيم القرآن، الشيخ جعفر السبحاني: ٦٧١/١.

(٣) ظ: معرفة الدين، الشيخ الآملي: ٢١.

(٤) ظ: دروس في علم الأصول الحلقة الأولى، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ): ١٤٦/١.

(٥) مسند أحمد: ٣٧١/٤، سنن الترمذي: ٦٢١/٥، الطبقات الكبرى، ابن سعد: ١٩٤، السنن الكبرى، النسائي: ٤٥/٥، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١هـ)، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة - مصر: ٦٠/٢، الكافي، الشيخ الكليني: ١٩٨/٤، بحار الأنوار، الحر العاملي: ١٥٢/٢٣، عيون

كمنشأ أصيل للمسؤولية الاجتماعية، إلى جانب المنشأ القرآني الأساس، فضلًا عن إرشاد الحديث إلى ضرورة التمسك بالثقلين، وتحميل الأمة مسؤولية اجتماعية كبيرة تجاه شرعها المقدس.

لذا تنقسم هذه الفقرة على نقطتين، وسأشير إلى بعض النماذج التي توضح المطلب فيهما، وهو كما يأتي:

١- نشأة المسؤولية الاجتماعية من القرآن الكريم: يُعد القرآن الكريم الأساس التشريعي لنشوء المسؤولية الاجتماعية؛ لأنه كتاب المسؤولية[١]

من خلال العديد من أوامره ونواهيه وتوجيهاته وإرشاداته وتعاليمه، المبثوثة بين دفتي الكتاب العزيز، ولكثرة الآيات الدالة على ذلك، سنقتصر على ذكر نماذج بارزة تؤكد هذه الحقيقة، وذلك كما يأتي:

أ- مسؤولية الإصلاح: والإصلاح كلمة ذات مصاديق كثيرة، نذكر منها مصداقين يتمثلان في إصلاح النفس والثاني في إصلاح الناس:

المصداق الأول: مسؤولية إصلاح النفس: قال تعالى:﴿...**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ**...﴾ [٢]، هل هناك تعبير عن المسؤولية والالتزام أكثر صراحة من هذا التعبير القرآني؟ وأية مسؤولية؟ إنّها مسؤولية تجاه المجتمع، فالمخاطب هنا هو المجتمع[٣]، والشرط هنا هو فعل الإنسان، والتغيير هنا أُسند إليهم

أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ٦٠/١، الإرشاد، الشيخ المفيد: ٢٥٣/١، الآمالي، الشيخ الطوسي: ٥٧٨.

(١) فقه الاستنباط، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله):٤٤/١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٣) دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النهضة الحسينية، الشيخ مرتضى مطهري (ت:١٩٧٩م)، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة الثقلين، دمشق - سوريا: ٦٣.

فهو، فعلهم وابداعهم وإرادتهم[1]، وفي آية أخرى يخاطب الله تعالى الناس ويذكرهم بهذه السنَّة الإلهية، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [2]، فالنعمة التي أنعم بها على قوم إنما أفيضت عليهم لما استعدوا لها في أنفسهم، ولا يسلبونها ولا تتبدل بهم نقمة وعقابا إلا لتغييرهم ما بأنفسهم من الاستعداد وملاك الإفاضة وتلبسهم باستعداد العقاب[3]، إن الله لا يغيرُ ما بنا من فقرٍ حتى نعتقد أن الفقرَ من الأرض لا من السماء، وحتى نكافح ونجاهد ضد الاستغلال والاستثمار، وحنى نقيم المصانع وننشئ المزارع، وإن الله لا يغير ما بنا من جهل حتى نبني الجامعات والمختبرات، والله لا يغير ما بنا من عبوديةٍ حتى نثور على الظالمين والمستبدين، والله لا يغير ما بنا من شتات حتى نخلص النوايا، ونزيل ما بيننا من الحدود والحواجز[4].

المصداق الثاني: مسؤولية الإصلاح بين الناس: قال تعالى:﴿... **وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾ [5]، وقال أيضا: ﴿**وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ**﴾ [6]، **وقال سبحانه:** ﴿**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ**﴾ [7]، من واجب جميع المسلمين أن يصلحوا بين المتنازعين منهم لئلا تسيل الدماء وأن يعرفوا مسؤوليتهم في هذا المجال، فلا يكونوا متفرجين كبعض الجهلة الذين يمرون بهذه الأمور دون اكتراث وتأثر! فهذه هي وظيفة المؤمنين الأولى عند مواجهة

(1) المدرسة القرآنية، السيد الشهيد محمد باقر الصدر: ٨٣.

(2) سورة الانفال، الآية: ٥٣.

(3) الميزان، السيد الطباطبائي: ١٠١/٩.

(4) التفسير الكاشف، الشيخ مغنية: ٣٨٦/٤.

(5) سورة الأنفال، الآية: ١.

(6) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(7) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

أمثال هذه الأمور[١]، ولا ينبغي للمؤمنين النزاع فيما بينهم، ولا بدَّ ان يحذروا من ذلك، فإن في نزاعهم فشلهم وذهاب قوتهم[٢]، قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [٣].

ب- مسؤولية التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٤]، ان هذا القانون الذي حملته لنا الآية الشريفة على كل مسلم ان يعمل به في مجمل حالاته الاجتماعية، إن قانون يأمر البشر بعدم ترك الاعمال التي تدخل ضمن دائرة البر والتقوى[٥]، والتقوى مراقبة أمر الله ونهيه، فيعود معنى التعاون على البر والتقوى إلى الاجتماع على الإيمان والعمل الصالح على أساس تقوى الله ، وهو الصلاح والتقوى الاجتماعيان ، ويقابله التعاون على الإثم الذي هو العمل السيئ المستتبع للتأخر في أمور الحياة السعيدة، وعلى العدوان وهو التعدي على حقوق الناس الحقة بسلب الأمن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم[٦].

ج- مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن الأمر: قال تعالى: ﴿**وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٧]، إن مسؤولية الأمر والنهي تشمل جميع المؤمنين على نحو الوجوب العيني

---

(١) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٥٣٦/١٦.

(٢) دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، الشيخ باقر شريف القرشي، ط١، ١٢٣هـ، ، المطبعة: برهان، الناشر: دار الفقه للطباعة والنشر، قم – إيران: ٨٦٨/٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٥) مواعظ أخلاقية، السيد عبد الحسين دستغيب (ت:١٤٠١هـ): ١٨١.

(٦) الميزان، السيد الطباطبائي: ١٤٠/٥.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٧١.

لا الكفائي، قال الشيخ الطبرسي: (وفي الآية دلالة على أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من فروض الأعيان، لأنه جعلهما من صفات جميع المؤمنين، ولم يخص قوما منهم دون قوم)[1]، ولذلك كان يأمر بعضهم بعضًا بالمعروف وينهى بعضهم بعضًا عن المنكر فلولاية بعض المجتمع على بعضٍ ولاية سارية في جميع الأبعاض دخل في تصديهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم أنفسهم[2]، وإن مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست متعلقة بزمن معين[3]، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غاية الأهمية وهما من الواجبات الدينية التي يتوجب على كل من تتوفر فيه شروطهما النهوض وأداء المسؤولية[4]، وإن ترك هذه الفريضة سببٌ لذهاب البركة ونزول العذاب الدنيوي، روي عن رسول الله ﷺ ، أنه قال: ((لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء))[5]، وكذلك تركه يكون سببٌ لنزول العذاب على المجتمع، وجاء عن رسول الله ﷺ :((لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهُنَّ عن المنكرِ، أو ليَعُمَّنَّكُم عذابُ اللهِ))[6].

يبدو للباحث أثر حركة المجتمع المسؤول، ضمن دوائر المعرفة، المبنية على أسس الولاية والتعاضد بين المؤمنين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعبادة

---

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٥/٧٧.

(2) الميزان، السيد الطباطبائي: ٩/٢٨٢.

(3) معالم المجتمع المدني في الفكر الإسلامي، السيد مرتضى الشيرازي، تقرير: د. هيثم الحلي، ط٢، ١٤٣٩هـ، مؤسسة التقى الثقافية، النجف الأشرف – العراق: ٢٥١-٢٥٢.

(4) شرح دعاء كميل، السيد حسين انصاريان، ط٣، ١٤٣١هـ، ترجمة: كمال السيد، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، قم – إيران: ١٦٠.

(5) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي: ١٤/٣٨٩.

(6) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١١/٤٠٧.

الروحية والمالية، وطاعة الحق ومن أمر بطاعته، للحصول على الرحمة الإلهية التي أشارت لها الآية المباركة.

اكتفي بهذا القدر من بيان هذه الفقرة، لوجود العديد من الآيات ذات الصلة، كالآيات التي توضح المسؤولية الاجتماعية على مستوى الأفراد: تقليل استهلاك الموارد غير المتجددة، مثل المياه والكهرباء، وعلى مستوى الشركات: اعتماد تقنيات صديقة للبيئة في التصنيع واستخدام الطاقة المتجددة، وعلى مستوى الدولة: إصدار قوانين صارمة لمنع التلوث، وإنشاء محميات طبيعية للحفاظ على التنوع البيئي.

٢- نشأة المسؤولية الاجتماعية من السنّة المطهرة: ورد في روايات النبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، روايات كثيرة تشير إلى معنى المسؤولية الاجتماعية وضرورة تحملها، نذكر بعضًا منها:

١- ورد عن رسول الله قوله: ((إني مسؤول وأنكم مسؤولون))[١]، يظهر من الرواية أنها تدل على مساحة المسؤولية وحدودها، وإنها تشمل الجميع دون استثناء، مع أن مسؤولية الأنبياء تختلف عن مسؤوليات عامة الناس، لامتيازهم بالعصمة ونوعية التكاليف الملقاة على عاتقهم.

٢- وعنه ﷺ: ((ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسؤول عن رَعِيَّتِهِ ، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ على أهلِ بَيْتِهِ وهُو مَسؤولٌ عَنهُم، والمَرأَةُ رَاعِيَةٌ على بَيتِ بعلها ووُلْدِهِ وَهِي مَسؤولَةٌ عَنهُم))[٢]، وكلمة – كل – الواردة في كلمة كلكم تدل على العموم؛ لأنها أداة من أدواتها العامة، ومن ذلك نعلم أن الرواية تشير بوضوح إلى مسؤولية اجتماعية، فضلًا عن المسؤولية الفردية.

---

(١) منتخب ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٣٥٦.

(٢) م، ن: ٣٠١.

٣-عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : ((قال رسول الله ﷺ : الخلق عيال الله، فأحب الخلق الى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سروراً))[١]، وفي رواية أخرى: ((خير الناس أنفعهم للناس))[٢]، هذه الروايات تدل على (رؤية شمولية عامة تجاه البشرية بأجمعها، وليس فقط اتجاه الملتزمين بالشرائع أو المسلمين أو اتجاه أتباع أهل البيت الا فقط، بل اتجاه كل إنسان، لكن نوع المسؤولية مختلف، فالإنسان عليه أن يلاحظ حاله وموقفه وعطاءه لا بالنسبة لعائلته وعشيرته وشعبه فقط، بل بالنسبة لكل البشرية)[٣].

٤- جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون وإليه تصيرون، فإن الله تعالى يقول: (كل نفس بما كسبت رهينة)، ويقول: (ويحذركم الله نفسه وإليه المصير)[٤]، ويقول: (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) [٥].

٥- عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله عز وجل فيما حملكم من كتابه فإني مسؤول وإنكم مسؤولون إني مسؤول عن تبليغ الرسالة وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وسنتي)[٦].

٦- عن أمير المؤمنين أنه قال: (اتقوا الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه)[٧].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١٦٤/٢.

(٢) مستدرك الوسائل، ٣٩١/١٢.

(٣) معالم المجتمع المدني في الفكر الإسلامي، السيد مرتضى الشيرازي: ٢٦٧.

(٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ١٢١٢/٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩٢-٩٣.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني: ٢،٦٠٦.

(٧) نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين%: ٨٠/٢.

جميع هذه الروايات الشريفة وغيرها، تؤكد أنها المنشأ الشرعي للمسؤولية الاجتماعية فضلًا عن القرآن الكريم، وأنهما يمثلان العنصران الخارجيان؛ لأنهما من خارج الذات الإنسانية، وليس كالفطرة والعقل اللذان ينبعان من داخل الإنسان وذاته.

المبحث الثاني: أركان المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

مقصود الباحث من الأركان هنا، هو ما تقوم عليها المسؤولية الاجتماعية، وبدون هذه الأركان لا وجود للمسؤولية أساسًا، كما يتقوَّم العقد في الفقه الإسلامي بأركانه الثلاثة وهي :(صيغة العقد والمتعاقدان والعوضان)[1]، فهكذا تتقوَّم المسؤولية الاجتماعية أيضًا بأركانها الثلاثة؛ لأنها عملية عقدية أيضًا تقوم على ثلاثة أطراف، سائل ومسؤول ومسؤول عنه، والدليل على ذلك الآية المباركة من قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2]، إذ الاستخلاف هو (العلاقة الاجتماعية ... ولا بدَّ من مستخلِف ومستخلَف ومستخلَف عليه ... فالمستخلِف هو الله سبحانه وتعالى، والمستخلَف هو الإنسان وأخوه الإنسان، أي الإنسانية ككل الجماعة البشرية، والمستخلَف عليه هو الأرض وما عليها ومن عليها)[3]، من خلال هذا التفسير للآية المباركة نلحظ معنى الأركان الثلاثة، السائل وهو الله تعالى، والمسؤول وهو الإنسان، والمسؤول عنه الذي هو موضوع المسؤولية، لذلك ينتظم هذا المبحث ضمن هذه الأركان الثلاثة، وهي كما يأتي:

المطلب الأول: السائل:

تقوم المسؤولية الاجتماعية على أسسٍ ثلاثةٍ ثابتةٍ، تُعد هي اركان المسؤولية، ويمثلُ السائل الركن الأول منها، إذ لا بدَّ من وجود السائل الذي يسأل ويحاسب الناس جميعًا؛ لأنه الجهة العليا التي تفرض الأوامر والنواهي على الناس، مما يحقق توفر

([1]) فقه العقود دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والفقه الوضعي، السيد كاظم الحسيني الحائري، ط٤، ١٤٣١هـ، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، المطبعة: شريعت، قم – إيران: ٣٢٣/١.

([2]) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

([3]) ظ: المدرسة القرآنية، السبد الشهيد الصدر: ٩٦.

الركن الأول من أركان المسؤولية الاجتماعية، وقد أكدَّ القرآن الكريم على أن الله تعالى هو الجهة العليا الوحيدة التي تسأل الناس وتحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة، ومما جاء من الأدلة القرآنية على ذلك:

١- قال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[١]، أَنَّهُ تَعالى أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ أَنْ يَسْأَلَ هَؤُلاءِ المُقْتَسِمِينَ عَمّا كانُوا يَقُولُونَهُ مِنَ اقْتِسامِ القُرْآنِ، وعَنْ سائِرِ المَعاصِي[٢]، أي لنسألن هؤلاء الذين جرى ذكرهم عما عملوا في الدنيا[٣]، وإنه لا يسأل لكشف أمر خفي عليه سبحانه وتعالى عن ذلك، وإنما السؤال لتفهيم المسؤول قبح فعله، والسؤال سيكون عن جميع أفعال الإنسان بلا استثناء، وهو درس بليغ كي لا نغفل عن أفعالنا[٤]، وذلك يؤكد أن الله تعالى هو الذي يسأل البشرية، مما يعزز مفهوم الركن الأول من أركان المسؤولية الاجتماعية، ولعل ما ورد في الرواية ينبأ صراحة عن ذلك، إذ روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة ونحن عهد الله ونحن ذمة الله، لم نزل أنوارا حول العرش نسبح فيسبح أهل السماء لتسبيحنا، فلما نزلنا إلى الأرض سبحنا فسبح أهل الأرض، فكل علم خرج إلى أهل السماوات والأرض فمنا وعنا، وكان في قضاء الله السابق أن لا يدخل النار محب لنا، ولا يدخل الجنة مبغض لنا؛ لأن الله يسأل العباد يوم القيامة عمَّا عهد إليهم ولا يسألهم عما قضى عليهم))[٥].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٢-٩٣.

(٢) ظ: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، ط٣، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: ٥٧/١٩.

(٣) ظ: الجامع لإحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت:٦٧١هـ)، ط٢، ١٣٨٤هـ، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر: ١٧٠/١٠.

(٤) ظ: الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشبرازي: ١١٦/٨.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤/٢٥.

يبدو للباحث أن ذيل الرواية يشير صراحةً إلى حقيقة سؤال الله تعالى للعباد، عمَّا عهد إليهم، أي إلى المسؤوليات التي اناطها بهم وطلب منهم تنفيذها وهي الأوامر والنواهي الشرعية والإرشادات والتوجيهات الأخلاقية؛ لأنها داخلة ضمن قدرتهم، ولا يسألهم عن الأمور التي هي خارجة عن ارادتهم مثل الموت والرزق وغيرها.

٢- قال تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾[١]، ورد عن ((النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ قال: عن ولاية علي عليه السلام ما صنعوا في أمره؟ وقد أعلمهم الله عز وجل، أنه الخليفة بعد رسوله))[٢]، وورد عنه ﷺ: ((إن أبا بكر مني ابمنزلة، السمع، وإن عمر مني لبمنزلة البصر، وإن عثمان مني لبمنزلة الفؤاد، فلما، كان من الغد دخلت إليه وعنده أمير المؤمنين عليه السلام وأبو بكر و عمر وعثمان، فقلت له: يا أبه سمعتك تقول في أصحابك هؤلاء قولاً فما هو؟ فقال ﷺ: نعم، ثم أشار إليهم فقال: هم السمع والبصر والفؤاد، وسيسألون عن وصيي هذا وأشار إلى علي عليه السلام، ثم قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾ ثم قال: وعزة ربي إن جميع أمتي لموقفون يوم القيامة ومسؤولون عن ولايته))[٣]، وذلك قول الله عز وجل: (وقفوهم إنهم مسؤولون)، وقد علق العلامة المجلسي على تلك الرواية قائلًا: (لعل مراده في تأويل بطن الآية أنهم لشدة خلطتهم ظاهرًا واطلاعهم على ما أبداه في أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة السمع والبصر والفؤاد،

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧٦/٣٦. تفسير القمي: ٥٥٥، عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق: ٢٢٠/١. الآمالي، الشيخ الطوسي: ٢٩٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ٢٨٠/٢.

فتكون الحجة عليهم أتم، ولذا خصوا بالذكر في تلك الآية مع عموم السؤال لجميع المكلفين)[1].

٣- قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[2]، ورد في الرواية ما يؤكد أن الله تعالى هو الذي يسأل الناس، (عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: " ثم لتسألن يومئذ عن النعيم " قال: إن الله أكرم من أن يسأل مؤمنا عن أكله وشربه)[3]، وورد في رواية أخرى يسألهم عن الحق، وفي أخرى يسألهم عن محمد ﷺ آل محمد عليهم السلام[4].

الرواية تشير إلى السؤال الإلهي للناس عن الحقوق ومن ضمنها حق أهل البيت عليهم السلام على الأمة.

وهناك آيات ورد فيها معنى السؤال ولكن بصيغة مختلفة وهي صيغة الحساب، ومن هذه الآيات هي:

١- قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[5]، والحساب هنا هو السؤال[6]، والحسيب هو الله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[7]، حسيبًا بمعنى محاسبًا[8].

٢- قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ...﴾[1]، أي: يعلم الله ذلك، فيجازيكم عليه[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧٧/٣٦.

(٢) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣١٨/٦٣.

(٤) م، ن: ٣١٨/٦٣.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١.

(٦) الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٧٠/١٤.

(٧) سورة النساء، الآية: ٦.

(٨) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ)، ط١، ١٩٨٢م، دار المرتضى للنشر، قم – إيران: ٤٢٧/١.

تتجلى فكرة المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم ضمن منظومة متكاملة تبدأ بركنها الأول والأساس، وهو الله تعالى السائل والمحاسِب، فالقرآن يوضح من خلال النماذج التي ذكرناها أن آيات السؤال المتقدمة تدل صراحةً على أن الله سبحانه هو الذي يسأل الناس لا لجهله حاشاه، بل لإقامة الحجة عليهم، وإن آيات المحاسبة الآنفة الذكر تدل ضمنًا وبالقرينة العقلية[٣]، على أن السائل هو الله تعالى، إذ هو الخالق المالك لكل شيء، الذي يسألهم ليحاسبهم على افعالهم وأقوالهم، وذلك يلتقي مع فكرة المطلب في تثبيت المبنى حول الركن الأول من أركان المسؤولية الاجتماعية.

المطلب الثاني: المسؤول:

مقصود الباحث من معنى المسؤول في هذا المطلب هو المجتمع الذي يقوم على مجموعة من الأفراد، ليلتقي ذلك مع مفهوم المسؤولية الاجتماعية، أي: المسؤولية المُلقاة على عاتق المجتمع بجميع أفراده وعلى اختلاف طوائفه ومذاهبه وقومياته وأديانه، وقد وَزَعَّ الله سبحانه وتعالى المسؤوليات في القرآن الكريم بين عباده بشكل دقيق، لذلك سينتظم المطلب حسب التوزيع القرآني للمسؤوليات ذلك كما يأتي:

أولًا: مسؤولية الرُسل عليهم السلام:

ورد الرسول في روايات أهل البيت عليهم السلام بأنه: (الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك)[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢/٢٢٦.

(٣) القرينة العقلية:

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ١/١٧٦.

فقد عرَفهُ الشيخ المفيد (ت:٤١٣هـ) قائلًا: (هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر وله شريعة إما مبتدئة كآدم عليه السلام، أو تكملة لما قبلها كمحمد صلى الله عليه وآله مأمورا من الله تعالى بتبليغ الأوامر والنواهي إلى قوم)[١]

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾[٢]

الملائكة يعني جبرائيل وميكائيل (ومن الناس) يعني النبيين (إن الله سميع بصير) سميع بأقوالهم، بصير بضمائرهم وأفعالهم[٣]، ثم جاءت الآية التي تلي هذه الآية مباشرةً لتؤكد مسؤولية الجميع، قال تعالى: **﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾**[٤]، مسؤولية الأنبياء في إبلاغ رسالة الله من جهة، ومراقبة الله لأعمالهم من جهة أخرى، فتقول: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم إنه يعلم ماضيهم ومستقبلهم وإلى الله ترجع الأمور فالجميع مسؤولون في ساحة قدسه، ليعلم الناس أن ملائكة الله سبحانه وأنبياءه (عليهم السلام) عباد مطيعون له مسؤولون بين يديه، لا يملكون إلا ما وهبهم من لطفه[٥]، والمسؤولية ثابتة في حقّ الأنبياء وفي حق المرسلين إليهم، مع فارق المسؤوليتين فالنبي معصوم، على خلاف غيره من الناس، قال تعالى: **﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾**[٦]، أي: نسأل المُبلغين

---

(١) النكت الاعتقادية، محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ، تحقيق: رضا المختاري، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة: مهر، قم – إيران: ٣٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.

(٣) مجمع البيان، الشيخ الطيرسي: ١٧١/٧.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٦.

(٥) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٤٠٥/١٠.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٦.

للرسالة، كيف بلغوا وبماذا أُجيبوا؟ ونسأل الناس لماذا لم يجيبوا بعد إتمام الحجة عليهم[1].

ثانيًا: مسؤولية المؤمنين:

يشير الله سبحانه وتعالى، أنه كما يسأل الرُسُل، يسأل المؤمنين أيضًا، والشاهد القرآني على ذلك هو قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2]، تشير هذه العبارة إلى نسبة أعمال البشر إلى أنفسهم، وتؤكّد على تحميلهم مسؤولية تلك الأعمال، وتعتبر من القرائن الواضحة في تفسير مفهوم الهداية والإضلال الإلهيين وأن أيّاً منهما لا يستبطن صفة الإجبار أبداً[3]، وسياق الآيات السابقة تدل على تعلق المسؤولية بالمؤمنين، إذ بشرهم بالقرآن ذكر مسؤولياتهم فيما بعد، قال تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[4] ،الخطاب من الله لنبيه محمد ، والمراد بالكتاب القرآن، وفيه بيان كل شيء يتصل بالعقيدة والشريعة والأخلاق والعبر والعظات { وهُدىً ورَحْمَةً } لمن طلب الهداية والرحمة { وبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ } المراد بالبشرى الجنة ، وبالمسلمين كل من استسلم للحق وعمل به[5] ، إذ تعرضت الآيات السابقة إلى أوامر الله لهم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي، وأمرهم بالوفاء بالعهود ونهاهم عن نقض الإيمان بعد توكيدها، وهذه من أهم واجبات المؤمنين، وصفاتهم التي يتصفون بها، قال تعالى: ﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ**

(1) ظ: من هدى القرآن، السيد المدرسي (دام ظله): ١٥/٣.

(2) سورة النحل، الآية: ٩٣.

(3) ظ: الأمثل، الشيخ ناصر الشيرازي: ١٥٦/٧.

(4) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(5) ظ: تفسير الكاشف، الشيخ مغنية: ٥٤٣/٤.

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، بهذا يتناغم الإيمان بالمبدأ والمعاد مع الإلتزام العملي بجميع الأحكام الشرعية والدساتير الإلهية[2]، ومما يدل صراحة على صفات المؤمنين، قوله تعالى: **﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ...﴾**[4]، هذا خطابٌ من الله تعالى للمؤمنين المعترفين بوحدانيته تعالى، المقرّين له بالعبوديّة المصدّقين لرسوله ﷺ في نبوته، وفيما جاء به من عند الله من شريعة الإسلام، أمرهم الله بإيفاء العقود وهي العهود التي عاهدوها مع الله، وأوجبوا بها على أنفسهم حقوقًا، وألزموا نفوسهم بها فروضًا أمرهم الله تعالى بالإتمام بالوفاء والكمال لما لزمهم[5].

ومما يؤكد على مسؤولية المؤمنين، قوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾**[6]، وقوم النبي هم قومه من قريش المؤمنون به، وإن هذا الذكر فيه أفكار تفتح العقل والقلب والروح على ذكر الله، الذي يتحول إلى عنصر إيجابي فعّال في إغناء شخصيتك الرسالية ... وفي إغناء شخصية قومك في إلتزامهم ... والمراد السؤال، عن كل ما فيه من تكاليف وتعاليم ترتبط بالمسؤولية التي يتحملها الناس أمام

---

(1) ظ: الأمثل، ناصر الشيرازي: ٢/ ٣٦٥.

(2) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(3) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(4) سورة المائدة، الآية: ١.

(5) ظ: التبيان، الشيخ الطوسي: ٣/٤١٤.

(6) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

الله في أوامره ونواهيه، ومفاهيم الحياة المنطلقة من القرآن[1]، فالمقصود بقومك المؤمنون، والسؤال عن كل الالتزامات والتعهدات أمام الله تعالى.

المطلب الثالث: المسؤول عنه: ورد في القرآن الكريم مسؤوليات عدة، ممكن ايضاحها من خلال التقسيم التالي:

أولًا- المسؤولية عن الرسالة:

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]، أقسم الله تعالى في هذه الآية انه يسأل المكلفين الذين ارسل إليهم رسله واقسم أيضا انه ليسأل الصادقين المرسلين الذين بعثهم، فيسأل هؤلاء عن الا بلاغ ويسأل أولئك عن الامتثال[3]، أنه تعالى لمّا أمرَ الرُّسّلَ في الآيةِ المتقدمة بالتبليغ، وأمرَ الأُمَّةَ بالقبُولِ والمتابعةِ، وذَكَرَ التَّهْدِيدَ عَلى تَرْكِ القَبُولِ والمُتابَعَةِ بِذِكْرِ نُزُولِ العَذابِ في الدُّنْيا، أتْبَعَهُ بِنَوْعٍ آخَرَ مِنَ التَّهْدِيدِ، وهو أنَّهُ تَعالى يَسْألُ الكُلَّ عَنْ كَيْفِيَّةِ أعْمالِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ[4]، وسؤال الذين أرسل إليهم سؤال عن بلوغ الرسالة، وهو سؤال تقريع في ذلك المحشر، وسؤال المرسلين عن تبليغهم الرسالة سؤال إرهاب لأممهم، لأنهم إذا سمعوا شهادة رسلهم عليهم أيقنوا بأنهم مسوقون إلى العذاب[5].

يبدو من كلام المفسرين أن الطرفين مسؤولان عن الرسالة، فالأنبياء عليهم السلام، مسؤولون عن تبليغها، والأمة مسؤولة عن الاستجابة لها، والإيمانُ بها والعمل بتعاليمها وارشاداتها.

---

(1) ظ: من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله ٧ : ٢٦٧/٦.

(2) سورة الأعراف، الآية: ٦.

(3) ظ: التبيان، الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): ٣٤٨/٤.

(4) ظ: مفاتح الغيب، الفخر الرازي (ت:٦٠٦هـ): ٢٢/١٤.

(5) ظ: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ): ٢٧/٩.

ثانيًا- مسؤولية العهد مع الله تعالى ومع الناس:

يرتبط مفهوم العهد مع الله تعالى، مع مفهوم العهد مع الناس ارتباطًا وثيقًا في القرآن الكريم، فكلاهما يمثل التزامًا شرعيًا واخلاقيًا وقانونيًا، إذ يتحمل الإنسانُ مسؤوليته الكاملة عن القيام بما يفرضه العهد، وتُعد المسؤولية الاجتماعية التطبيق العملي للالتزام في الحياة الاجتماعية من خلال الوفاء بالحقوق والواجبات، وبيان مسؤولية العهدين كما يأتي:

١- **العهد مع الله تعالى:** المقصود من العهد هنا هو (العقد الذي يقدم للتوثق من الامر)[١]، وقيل: (كل عهد يوثقه الإنسان مع ربه)[٢]، وقد جاء الأمر في القرآن الكريم بشكل صريح وهو يدل على الوفاء بعهد الله تعالى: ﴿...**وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ**﴾[٣]، أي: أوفوا بوصية الله التي أوصاكم، بأن تطيعوه فيما أمركم به ونهاكم، وأن تعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فبهذا يكون الوفاء بعهد الله[٤]، والعهود في هذه الآية هي (العهود التي عاهدوها مع الله وأوجبوا على أنفسهم حقوقًا، والزموا نفوسهم بها فروضًا أمرهم الله تعالى بالإتمام بالوفاء والكمال لما لزمهم)[٥]، وذكر الشيخ الطبرسي أن للعهد الإلهي هنا قولان وهما:

---

(١) التبيان، الشيخ الطوسي: ٤٧٦/٦.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور: ٢٨٩/٢١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٤) جامع البيان، الطبري: ٢٢٥/١٢-٢٢٦.

(٥) التبيان، الشيخ الطوسي: ٤١٤/٣.

أحدهما: إن كل ما أوجبه الله تعالى على العباد، فقد عهد إليهم بإيجابه عليهم، وبتقديم القول فيه، والدلالة عليه، **والآخر:** إن المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى[1].

يرجح الباحث القول الأول، المنسجم مع تفسير الشيخ الطوسي ومعظم المفسرين[2]، والمنسجم أيضًا مع تعريف المسؤولية الاجتماعية باعتبارها شعور فطري والتزام شرعي بالتكاليف الإلهية جميعًا.

وقد أتى التحذير والوعيد والتهديد من الإخلال بالعهد بأن الله عز وجل سيسأل عن عهده سبحانه الذين عاهدوه[3]، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا**﴾[4]، ذكر بعض المفسرين[5]، أن المراد من العهد والميثاق هنا هو: هو ذلك العهد الذي عاهد بنو حارثة عليه الله ورسوله يوم أحد حينما قرروا الرجوع عن ميدان القتال ثم ندموا بعد ذلك، فقطعوا العهد على أنفسهم أن لا يرتكبوا مثل هذه الأمور، إلا أنهم فكروا مرة ثانية في معركة الأحزاب في نقض عهدهم وميثاقهم[6]، وقال بعضهم[7]، أنه إشارة إلى العهد الذي عاهدوا به رسول الله

---

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٩٤/٤.

(2) محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ)، تفسير المنار: ١٧٠/٨، ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ) ، التحرير والتنوير:٤٧٦/٦، الشيخ محمد دواد مغنية، التفسير الكاشف (ت:١٤٠٠هـ): ٢٨٥/٣، السيد الطباطبائي (ت:١٤٠٢ه): ٣٢٣/٧، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل:٢٥٧/٤.

(3) ظ: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي (ت:١٤٣٧ه)، ط١٠، ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩م، دار الفكر، دمشق – سوريا: ٣/ ٢٦٨.

(4) سورة الأحزاب، الآية: ١٥.

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٤/ ١٣٨.

(6) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٨٩/١٣.

(7) روح المعاني، للآلوسي: ١٦٢/٢١.

(صلى الله عليه وآله) في غزوة بدر، أو في العقبة قبل هجرة النبي[1]، وذهب البعض الآخر إلى أن العهد هنا له (مفهومًا واسعًا يشمل هذه العهود والمواثيق، وكل عهودهم الأخرى، إن كل من يؤمن ويبايع النبي (صلى الله عليه وآله) يعاهده على أن يدافع عن الإسلام والقرآن ولو كلفه ذلك حياته، والتأكيد على العهد والميثاق هنا من أجل أنه حتى عرب الجاهلية كانوا يحترمون مسألة العهد، فكيف يمكن أن ينقض إنسان عهده ويضعه تحت قدميه بعد ادعائه الإسلام)[2]

يبدو للباحث أن في ذيل الكلام الأخير يظهر أثر المسؤولية الاجتماعية عند عرب الجاهلية، من خلال التزامهم بالمبادئ الأخلاقية الداعية إلى الوفاء بالعهود وعدم نقضها، وعليه تعد هذه المسألة من القضايا المحورية في الحياة الاجتماعية التي ركزَّ عليها الإسلام كثيرًا عن طريق نصوصه الشرعية الداعية إلى الالتزام التام بالمسؤولية الاجتماعية وجميع مبادئها وقيمها والتي من ضمنها الوفاء بالعهود كجزء من منظومة القيم الأخلاقية.

ومن الآيات الدالة على مسؤولية العهد مع الله سبحانه هي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا**﴾[3]، وتحرَّك في اتجاه تحقيق مضمون العهد في موقفه وأخلص لله أمره، وحافظ في الساحة على موقعه، {فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} لأن الالتزام بعهد الله، يمثل الإيمان القويّ الرافض لكل الإغراءات أو التحديات التي تواجه المؤمنين، ما يوحي بالإخلاص لله، والالتزام بعهده، الأمر الذي

(1) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٨٩/١٣.

(2) الأمثل، الشيخ ناصر نكارم الشيرازي: ١٨٩/١٣.

(3) سورة الفتح، الآية: ١٠.

يستحق عليه الإنسان المؤمن الأجر العظيم[١]، والقرآن في هذه الآية ينذر جميع المبايعين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يثبتوا على عهدهم وبيعتهم فمن ثبت على العهد فسيؤتيه الله أجرًا عظيما ومن نكث فإنما يعود ضرره عليه، ولا ينال الله ضرره أبدًا.. بل إنه يهدد وجود المجتمع وكرامتهُ وعظمتهُ ويعرضهُ للخطر بنقضهِ البيعة[٢].

يظهر للباحث من النص المتقدم، أن الوفاء بالعهد مسؤولية اجتماعية كبرى، وأن نقضه يشكل معول هدمًا للكيان الاجتماعي برمته، سواء على المستوى الإيماني والعلاقة الروحية مع الله سبحانه، أو على المستوى الاجتماعي وتحديد نوع العلاقة مع أبناء المجتمع وحجم الضرر الذي سيصيب النسيج الاجتماعي ويمزق وحدة الصف، أو على المستوى الدولي وانهيار الثقة مع الأطراف الدولية مما يسبب العزلة عن المجتمع الدولي، وفقدان عنصر التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري، مما يؤدي إلى عدم إبرام المعاهدات الدولية في ظل غياب عنصر الوفاء بالعهود والالتزام بمقرراتها.

٢- العهد مع الناس:

العهد مع الناس لا يختلف عن العهد مع الله تعالى من ناحية الوفاء به، إذ (الظاهر عدم الفرق في العهد مع الله تعالى والناس وإن كان بينهما فرق في أمر آخر وهو ترتّب الكفّارة على مخالفته في الأوّل، كما مرّ في باب الكفّارات وعدمه في الثاني)[٣]، وقد أشار القرآن الكريم إلى مسألة العهد مع الناس، وو يعد أحد ركائز

(١) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ٢٤/١٣.

(٢) التفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشبرازي: ٤٤٦/١٦.

(٣) حدود الشريعة، الشيخ محمد آصف المحسني (ت:١٤٤٠هـ)، ط١، ١٤٣٩هـ، الناشر: مركز الطبع والإعلام الإسلامي، قم – إيران: ٨٠٨/٢.

المجتمع المسؤول، وأداة رصينة لحفظ النسيج الاجتماعي، وصيانة العلاقات العامة، وتطور المعاملات، والالتزام بالقرارات داخل البلد وخارجه، وتعزيز مبدأ الثقة المتبادلة مع الأطراف جميعًا.

والآيات التي أشارت إلى هذا القسم من العهد كثيرة سواء ما جاء منها عن مادة العهد نفسها أو عن مضمونها، سنذكر بعضًا منها وهي:

١- قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِّۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾**[١]، ذهب الفخر الرازي إلى أن العهد المذكور هنا هو الذي يكون بين الناس، قال في تفسيره: (أن كل عقد تقدم لأجل توثيق الأمر وتوكيده فهو عهد فقوله: وأوفوا بالعهد ، نظير لقوله تعالى**{ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}**[٢]، فدخل في قوله: أوفوا بالعقود، كل عقدًا من العقود ... وحاصل القول فيه: أن مقتضى هذه الآية أن كل عقد وعهد جرى بين إنسانين فإنه يجب عليهما الوفاء بمقتضى ذلك العقد والعهد)[٣]، بعد معرفة (إن المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ، ويعقدها المرء على نفسه)[٤]؛ لأنَّ الكثير مِن العلاقات الإجتماعية وخطوط النظام الإقتصادي والمسائل السياسية قائمة على محور العهود، بحيث إذا ضعف هذا المحور وانهارت الثقة بين الناس، فسينهار النظام الإجتماعي وستحل الفوضى، ولهذا السبب تؤكّد الآيات القرآنية بقوّة على قضية الوفاء بالعهود[٥].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ١٦٥/٢٠.

(٤) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢٥٩/٣.

(٥) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٤٧٨/٨.

٢- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[١]، أي (حافظون والأمانة ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا والودائع والحكومات ونحوها وقيل الأمانة الإيمان وما أخذ الله عباده من التصديق بما أوجبه عليهم والعمل بما يجب عليهم العمل به)[٢]، ذهب السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان إلى أن (المتبادر من الأمانات أنواع الأمانة التي يؤتمنون عليها من المال وسائر ما يوصى به من نفسٍ أو عرضٍ، ورعايتهم لها أن يحفظوها ولا يخونوها، ولكثرة أنواعها جيء بلفظ الجمع بخلاف العهد ... وظاهر العهد عقد الإنسان مع غيره قولًا أو فعلًا على أمرٍ، ورعايته أن يحفظه ولا ينقضه من غير مجوّز)[٣]، وإن هذه الأمانات لا تقتصر على الأمانات البشرية التي تحدث بين الناس (بل أنّها تشمل الأمانات الإلهية وأمانات الأنبياء وكلّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام، إنّ كلّ نعمه من النعم الإلهية هي من أماناته تعالى، منها المقامات الإجتماعية وبالخصوص المسؤولون في الدولة فإنّها تعتبر من أهم الأمانات)[٤]، ولذلك ورد عن (الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا...﴾[٥]، أمر الله سبحانه كل واحد من الأئمة أن يسلم الامر إلى من بعده))[٦]، وجاء في رواية أخرى أوردها الشيخ الصدوق في كتابه من لا يحضره الفقيه وهي: ((روى معلى بن خنيس عن الصادق عليه السلام قال: " قلت له: قول الله عز وجل (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى

(١) سورة المعارج، الآية: ٣٢.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٢٤/١٠.

(٣) الميزان، السيد الطباطبائي: ١٤/٢٠.

(٤) الأمثل، الشيخ ناصر الشيرازي: ٤٤٠/٢٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٧٣/٢٣.

أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)، قال: على الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده، وأمرت الأئمة أن يحكموا بالعدل، وأمر الناس أن يتبعوهم))[1].

٣- قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾[2]، قال القرطبي (ت:٦٧١هـ) في تفسيره: (أي فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين الناس)[3]، وذكر السيوطي (ت:٩١١هـ) نفس المعنى[4]، وذهب الألوسي(ت:١٢٧٠هـ) إلى نفس الرأي، وقال (المراد من العهد ما لا يحلل حرامًا ولا يحرم حلالًا من العهود الجارية فيما بين الناس)[5]، ووافقهم في ذلك صاحب تفسير المنار محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ)، معتبرًا العهد من الاخلاق والاعمال الاجتماعية[6]، وكذلك الشيخ مغنية (ت:١٤٤٠هـ)[7]، بينما يرى السيد الطباطبائي (ت:١٤٠٢هـ) في تفسيره الميزان في تفسير القرآن، أن العهد لا يشمل الإيمان والالتزام بأحكامه، قائلًا: (فالعهد هو الالتزام بشيء والعقد له – وقد أطلقه تعالى – وهو مع ذلك لا يشمل الإيمان والالتزام بأحكامه كما توهمه بعضهم – لمكان قوله **{إذا عاهدوا}** فإن الالتزام بالإيمان ولوازمه لا يقبل التقيد بوقت دون وقت – كما هو ظاهر – ولكنه يشتمل بإطلاقه كل وعد وعده الإنسان وكل قول قاله التزامًا كقولنا: لأفعلن كذا ولأتركن، وكل عقد عقد به في المعاملات والمعاشرات ونحوها)[8].

([1]) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ٣/٣. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ١٠٣/٢.

([2]) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

([3]) الجامع لأحكام القرآن، الفرطبي: ٢٢٣/٢.

([4]) الدر المنثور، السيوطي: ١٥١/٢.

([5]) روح المعاني، الآلوسي: ١٣٥/٢.

([6]) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٣٥/٢.

([7]) التفسير الكاشف، الشيخ مغنية: ٢٧٣/١.

([8]) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٣٥٧/١.

لا شك أن السيد الطباطبائي (رحمه الله) من كبار المفسرين الذين أثروا الفكر الإسلامي بتحليلاتهم العميقة، وقد ذهب في تفسيره لمفهوم العهد في هذه الآية إلى أنه لا يشمل الإيمان والالتزام بأحكامه، باعتبار أن الإيمان لا يقبل التوقيت أو التحديد بزمن معين، وذلك صحيح؛ لأن العهود الجارية بين الناس لها زمن ووقت محدد، ولكن ذلك يجري في العهود التعاقدية الزمنية المرتبطة بالاتفاقات والمعاهدات[1]، بين الأطراف وبين المجتمعات، وهو ما ركز عليه السيد الطباطبائي في تفسيره، بينما ذكرت الآيات نوع آخر من العهد والتعاقد وهو ما يمكن تسميته بالعهود الدينية الإلهية[2]، المرتبطة بالإيمان بالله تعالى وتوحيده، إذ إنها على العكس من العهود الزمنية الدنيوية، كونها لا تقبل التحديد ولا التوقيت، فلا يصح أن يكون الإنسان مؤمن وملتزم بوقت محدد ولمدة زمنية معينة، ومما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾[3]، والذي يظهر منه أن العهد يمكن أن يشمل الالتزام الدائم بالتوحيد والإيمان، والابتعاد عن الشيطان والتوجه لعبادة الله الواحد الأحد فقد (أُخذ على الإنسان العهد بأن لا يطيع الشيطان... وأُخذ عليه العهد بطاعة الله سبحانه وتعالى، لأنّ سبيله هو الصراط المستقيم)[4].

والآية الأخرى هي: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...**﴾[5]، والميثاق هو العهد[1]، وكذلك قال تعالى: ﴿**وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا**﴾[2]، أي: عهدًا شديدًا على

(1) المعاهدة هي: إتفاق دولي يعقد بين دولتين أو أكثر كتابة ويخضع للقانون الدولي سواء تم في وثيقة واحدة أو أكثر ، من أمثلة المعاهدات العقدية معاهدات رسم الحدود والاتفاقيات التجارية. القانون الدولي العام، ماهر ملندي، ماجد الحموي: ١٥.

(2) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٤٢/١.

(3) سورة يس، الآية: ٦٠.

(4) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٧٦/١١.

(5) سورة المائدة، الآية: ١٢.

الوفاء بما حملوا من أعباء الرسالة، وتبليغ الشرائع[٣]، وبذلك يمكن التوفيق بين ما ذكره السيد الطباطبائي ويكون رأيه مناسبًا للعهود الزمنية، ويكون الرأي الآخر مناسبًا في سياق العهود الإلهية الدائمة المرتبطة بالتوحيد والإيمان.

والعهدان يرتبطان مع المسؤولية الاجتماعية، من خلال محورية الالتزام والوفاء بالعهود، سواء أكانت على المستوى التكويني أو على المستوى الدنيوي بين الناس، فالعهد التكويني يفضي إلى ضرورة التزام المجتمعات الإنسانية بجميع القوانين الإلهية الدالة على توحيد الله تعالى وعبادته والإيمان برسله وانبيائه، والعهد الزمني يفضي إلى (الالتزام بالمواثيق والعهود، سواء في مجال الاقتصاد والتبادل التجاري، أو في مجال السياسة والعلاقات الدولية، أو في مجال الصداقة والعلاقات الاجتماعية؛ لأن العقود والعهود والمواثيق تشكل أهم أركان نظام الحياة البشرية)[٤]، وحفظ الحقوق وصيانة الأمانات وكلاهما جزء أساسي من بناء المجتمع المتماسك المسؤول.

ثالثًا: مسؤولية التمسك بالثقلين:

ورد في الحديث المتواتر عند الفريقين، أن النبيﷺ، قال: ((إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما))[٥].

---

(١) التبيان، الشيخ الطوسي: ٣٣١/١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٣) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٢٣/٨.

(٤) الوجيز في الفقه الإسلامي، السيد المدرسي: ١١٣/٤.

(٥) مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (ت:٢٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ٣٩٧، المصنف، لابن أبي شيبة الكوفي(ت:٢٣٥هـ)، ط١، ١٤٠٩هـ، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت – لبنان:٤١٨/٧، مسند أحمد، أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، ط١، ١٣١٨هـ، دار صادر، بيروت – لبنان:

إن مسألة التمسك بالثقلين – الكتاب والعترة – تحظى بأهمية كبيرة في الفكر الإسلامي، إذ تشكل مرتكزًا أساسيًا في تحديد معالم المنهج القويم الذي ينبغي على المسلمين اتباعه، وقد جاءت النصوص الشرعية لا سيما حديث الثقلين المشهور، مؤكدة على ضرورة الالتزام بهذين المصدرين لضمان الثبات على طريق الهداية والصراط المستقيم، إن المسؤولية الملقاة على عاتق الأمة في هذا الشأن لا تقتصر على البعد الفردي في اتباع التعاليم الإلهية، بل تمتد لتشمل البعد الجماعي، بما يفرض التزامًا أخلاقيًا ومعرفيًا بالرجوع إلى هذين الثقلين في جميع مناحي الحياة، سواء في العقيدة أو الشريعة أو السلوك، ومن هنا تتجلى أهمية البحث في مسؤولية التمسك بالثقلين، إذ يعكس هذا المفهوم جوهر الاستقامة الفكرية والروحية للأمة الإسلامية، ويحدد مدى التزامها بالمصادر الأصيلة للمعرفة والتوجيه.

في هذا المطلب، سنبحث البعدين الأساسيين للحديث: القرآن الكريم، والعترة المطهرة، وهما كما يأتي:

أولًا– مسؤولية التمسك بالقرآن الكريم: ومن الآيات التي جاءت في سياق الدعوة الى التمسك بالقرآن، وطاعة الله تعالى وتطبيق أحكامه:

٣/١٤،١٧،٥٦،٥٩، سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(ت:٢٢٦٩هـ)، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الفكر، بيروت – لبنان:٥/٣٢٨، سنن النسائي، أحمد بن شعيب(ت:٣٠٣هـ)، ط٢، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: ٩٣، مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي(ت:٣٠٧هـ)، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا:٢/٢٩٧،٣٠٣،٣٧٦، المستدرك، للحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري(ت:٣/١٠٩، المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة – مصر:٣/٢٧٤، المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت – لبنان:١/١٣٥،١٣١، المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، ط٢، دار احياء التراث العربي، القاهرة – مصر:٣/٦٥،٦٧،١٨٠.

١- قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٞ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[١]، فاستمسك بالذي أُوحي إليك، من القرآن بأن تتلوه حق تلاوته وتتبع أوامره وتنتهي عما نهي فيه عنه ... **{وسوف تسئلون}** عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكلبي والزجاج وغيرهما وقيل تسألون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه[٢]، وقيل **{وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ}** أيها العرب عن العمل بالقرآن، ولا شيء أهون اليوم عليهم منه، ومن هنا أصبحوا أكلة سائغة لكل آكل وطامع[٣]، لينظر المؤمن إلى الظواهر السياسية والاجتماعية من خلال بصائر الوحي، لكي لا يتأثر سلبيًا، وليطبق مناهج الرسالة بدقة حتى يمكنَّه الله في الأرض ... وإن أصحاب الرسالة مسؤولون قبل غيرهم عنها؛ لأنها نزلت في بيوتهم، فهم أحقُ بها[٤].

٢- قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[٥]، قال الرازي المقرئ (ت:٤٥٤هـ)، معناه: التمسك بالقرآن والعمل بما فِيهِ[٦]، وقال الشيخ الطبرسي(ت:٥٤٨هـ) في تفسيره: **{واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ}**، أي: تمسكوا به، وقيل: امتنعوا به من غيره، وقيل في معنى حبل الله أقوال، أحدها: إنه القرآن، عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي، ويروى ذلك مرفوعا، وثانيها: إنه دين الله الاسلام، عن ابن عباس وأبي زيد، وثالثها: ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: نحن حبل الله الذي قال: ﴿**واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**﴾، والأولى حمله

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٣-٤٤.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٩/٨٣-٨٤.

(٣) الكاشف، الشيخ مغنية: ٦/٥٥٠.

(٤) من هدى القرآن، السيد المدرسي: ٩/٤٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٦) فضائل القرآن وتلاوته، أبو الفضل هبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرئ (ت:٤٥٤هـ)، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان: ٤٦.

على الجميع)[1]، وذكر الفخر الرازي(ت:٦٠٦هـ)، في تفسيره أن: المراد من الحبل ههنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين، وهو أنواع كثيرة، فذكر كل واحد من المفسرين واحدًا من تلك الأشياء، فقال ابن عباس هو العهد، وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي إنه القرآن، وقيل إنه دين الله، وطاعة الله، وإخلاص التوبة، وقيل الجماعة)[2].

يظهر للباحث أن الآية تدل على التمسك بالقرآن الكريم، والتمسك بالقرآن لا معنى له غير العمل بتعاليمه وأوامره ونواهيه وإرشاداته، والالتزام بكل ذلك يدل على أننا مسؤولون عن ذلك أمام الله تعالى، ومن ضمن المعنى العام للمسؤولية تنبثق المسؤولية الاجتماعية، إذ القرآن يحملّنا مسؤولية بناء العلاقات الاجتماعية وفق القانون الشرعي والمعيار العقلائي.

٣- قال تعالى: ﴿**كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ**﴾[3]، ذكر الشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ): أن المقتسمين هم أهل الكتاب آمنوا بعض وكفروا ببعض، أو أنهم قوم من قريش، أو قوم صالح، أو قوم اقتسموا طرق مكة ينفرون عن النبي[4]، عضين جمع عضة وأصله عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كما قيل: عزوة وعزون والأصل عزوة، والتعضية: التفريق مأخوذة من الأعضاء يقال: عضيت الشيء أي فرقته

(١) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣٥٥/٢.

(٢) ظ: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ١٧٣/٨.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٩٠-٩٢.

(٤) التبيان، الشيخ الطوسي: ٣٥٤/٦,

وبعضه[1]، وإن لفظ المقتسمين افتعال من قسم إذا جعل شيئا أقساما، وصيغة الافتعال هنا تقتضي تكلف الفعل[2].

يبدو للباحث أن الآية المباركة تدعو إلى الإيمان الكامل بالقرآن الكريم، وعدم التفريق بين آياته وأحكامه، وذلك يُعد تعبيرًا واضحًا عن تحميل المؤمنين مسؤولية التمسك بكل ما فيه من تشريعات وآداب ونصائح وغيرها.

٤- قال تعالى: ﴿**وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[3]، إن دلالة هذه الآية على التمسك بالقرآن الكريم ظاهرة من خلال لفظة الكتاب تعبيرٍ عن القرآن، ولفظة الاتباع، ملازمته والعمل به: ({وهذا كتاب} يعني القرآن، {فاتبعوه} أي: اعتقدوا صحته، واعملوا به، وكونوا من أتباعه {واتقوا} معاصي الله ومخالفته، ومخالفة كتابه[4]، ومما يدل على ذلك هو شكوى القرآن، على الناس بسبب هجرانه، هذه الشكوى تدل على أن إنزال القرآن الكريم كان لأجل التمسك به والعمل بأحكامه، إذا ورد عن النبي الأكرم ﷺ، أنه قال: ((يجيء يوم القيامة ثلاثةٌ يشكون: المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف: يا ربّ حرَّفوني ومزقّوني، ويقول المسجد: يا رب عطلّوني وضيعّوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردّونا، فأجثوا للركبتين في الخصومة، فيقول الله عزَّ وجلَّ لي: انا أولى بذلك منك))[5]، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الظاهرة، في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا**﴾[6].

---

(1) الميزان، الطباطبائي: ١٥٧/١٢.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٨٥/١٥.

(3) سورة الأنعام، الآية: ١٥٤.

(4) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:١٩٧/٤.

(5) الوسائل، الحر العاملي: كتاب الصلاة، مج ٣، أحكام المساجد، ب ٥، ح ٢.

(6) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

اكتفي بهذا القدر من الإشارة إلى دعوة القرآن الكريم إلى إتباعه والتمسك به، لأبحث الثقل الثاني وبيان ضرورة التمسك به.

ثانيًا- مسؤولية التمسك بالعترة الطاهرة:

تُعدّ الأحاديث التي لها دلالة على التمسّك بأهل البيت عليهم السلام كثيرة، إذ يأتي في طليعة هذه الأحاديث (حديث الثقلين) الذي يعدّ أكثرها قطعية من حيث السند، وأمضاها وضوحاً من حيث الدلالة، في هذا الحديث جعل النبيّ صلى الله عليه وآله أهلَ بيته عِدلًا للقرآن، أعلن ذلك إلى الناس وراح يكرّر المرّة تلو الأخرى بأنّ التمسّك بالقرآن والعترة معاً هو الذي يعصم الامّة الإسلامية عن الضلال من بعده، على ما يومئ إليه الحديث نفسه[1]، وسأذكر بعضًا من هذه الأحاديث، وهي كما يأتي:

١- ورد في الكافي، عدة من اصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ((**﴿وإنه لذكرٌ لكَ ولقومك وسوف تسئلون﴾**، فرسول الله صلى الله عليه وآله، الذكر وأهل بيته عليهم السلام المسؤولون وهم أهل الذكر))[2].

يشير الإمام عليه السلام، في هذه الرواية المعتبرة أن أهل البيت عليهم السلام هم أهل الذكر، وهم المسؤولون عن تفسير الدين وتعليمه، وذلك يدل على أن الرجوع إليهم واجبًا لفهم القرآن الكريم والسنة، ومسؤولية الرجوع إليهم شاملة لجميع أفراد المجتمع بأكمله.

٢- وورد أيضًا عن((مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ خَالِدِ ابْنَ مَادٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ،عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنْ

---

(١) موسوعة معارف الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، المطبعة: دار الحديث، بيروت – لبنان: ٤١/١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني:٢١١/١.

أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): **(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**، قَالَ: إِنَّكَ عَلَى وَلاَيَةِ عَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ))[1]، وقد ورد هذا المعنى صراحةً في روايات أخرى، منها ((قال أبو جعفر ميثم التمار: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ق، والقرآن المجيد، أنا النبأ العظيم، أنا الصراط المستقيم))[2]، ومنها قول أمبر المؤمنين عليه السلام: ((أنا نون والقلم، أنا مصباح الظلم، أنا سؤال منى، أنا ممدوح هل أتى، أنا النبأ العظيم، أنا الصراط المستقيم))[3].

ومنها ما ورد عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وآله قال في علي عليه السلام:((إنه الصراط المستقيم، وإنه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة))[4]، وما ثبت في حقِ أمير المؤمنين عليه السلام ثبت في حقِ الأئمة عليهم السلام جميعًا، ومما يدل على أنهم الصراط المستقيم ما جاء في: ((تفسير علي بن إبراهيم ، بإسناده إلى أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: والله نحن الصراط المستقيم))[5]، وما ورد عن ((الإمام زين العابدين عليه السلام ((نحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه))[6].

([1]) بصائر الدرجات الكبرى، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت:٢٩٠هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ، تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم، المطبعة: شريعت، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية، قم – إيران: ٩١/٧.

([2]) نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي (ت:٤١١هـ)، ط١، ١٤٢٧هـ، تحقيق: الشيخ باسم محمد الأسدي، مطبعة: نگارش، مكتبة العلامة المجلسي، قم – إيران: ٤١. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ٨٦٥/٤.

([3]) الدر المنتظم في السر الأعظم، الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت:٦٥٢هـ)، ط١، ١٤٥٢هـ، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، دار الهادي، بيروت – لبنان: ٤١.

([4]) الأمالي، الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ): ٣٨٣.

([5]) تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت: ١١١٢هـ)، ط٤، ١٤١٢هـ، المطبعة: مؤسسة اسماعيليان، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، قم – إيران: ٢٥/١.

([6]) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٦٨٠/١.

يظهر للباحث أن القرآن الكريم يدعونا إلى التمسك به، وتحمل مسؤولية ذلك عن طريق تطبيق احكامه، والأخذ بتعاليمه وارشاداته، كما أن هذه المسؤولية تمتد لتشمل التمسك بسنَّة النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين، الذين هم الامتداد الطبيعي للرسالة الإلهية، ولأجل ذلك أكدت الكثير من الروايات على أن أهل البيت عليهم السلام هم الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى بسلوكه، ويعد ذلك جزءًا أساسيًا من المسؤولية الاجتماعية لحفظ الدين وصون المجتمع من الانحراف.

ومن الآيات التي جاءت في سياق الدعوة الى التمسك بالقرآن، وطاعة الله تعالى وتطبيق أحكامه:

٣- قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ...**﴾[١]، ورد عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سئل عن **قوله:﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾**قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب، قلت: إنّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمّي عليّاً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر: قولوا لهم: إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمِّ ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله هو الذي يفسّر ذلك، وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا سبعاً حتى فسّر لهم رسول الله[٢].

٤- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك))[٣]، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[٤]، والغرض من هذا الحديث لزوم التمسّك بأهل البيت عليهم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت:١٠٨١هـ)، ط٢، ١٤٢٩هـ، تحقيق: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: ١٠٩/٦.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٢٤/٢٣.

(٤) المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ)، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، دار المعرفة، بيروت – لبنان:٨١/٣.

السلام، فمن تمسّك بولايتهم نجى، ومن بَعُدَ عنهم هلكَ وهوى كقوم نوح ... ولمّا كان التمسّك بهم سبب النجاة كان التخلّي عنهم سببًا للهلاك[1]، وقد الأمة لم تعمل بهذه الوصية، وتفرقوا عنهم عليهم السلام فعاشوا في التّيه بأخذهم من الشرق والغرب، ووجدت الصراعات الفكريّة التي نشأت بعد دخول الفلسفة اليونانية إلى البلاد الإسلامية، مثل الصراع الذي وقع فيه المجتمع حول مسألة (خلق القرآن)[2] التي استمرّت قرابة مائة عام راح ضحيتها خلقٌ كثير، ولم تكن محنة خلق القرآن خاتمة أحزان الإسلام، بل كان إحدى مفاتيح النزاع والخلاف الّتي تلتها مجموعة أخرى من المحن المستمرة إلى يوم النّاس هذا؛ والسبب في ذلك هو أنَّ الأمّة لم تتحمّل مسؤوليتها تجاه أهل البيت عليهم السلام تنفيذًا لوصيّة النبي صلى الله عليه وآله[3].

النصوص الواردة تعزز فكرة أن التمسك بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة مسؤولية اجتماعية على عاتق الأمة الإسلامية، أكدت الروايات أن القرآن الكريم يدعو إلى التمسك بأهل البيت عليهم السلام كما يدعو إلى العمل بأحكامه، وذلك يعني أن المسؤولية لا تقتصر على حفظ النصوص فقط، بل تتعداها إلى تطبيق تعاليم الدين عمليًا عبر الاقتداء بأهل البيت الطاهرين في الفكر والسلوك.

---

(1) كامل البهائي في السقيفة، عماد الدين حسن بن علي الطبري (ت: بعد ٦٩٨هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ، مكتبة الحيدرية، قم المشرفة – إيران: ١/١٢٠.

(2) خلق القرآن: أول مسألة طرحت على بساط المناقشات في تاريخ علم الكلام وإن لم يكن أمرا قطعيا، وقد شغلت مسألة الكلام الإلهي، وأنه ما هو، وهل هو حادث أو قديم، بال العلماء والمفكرين الإسلاميين في عصر الخلفاء، وحدثت بسببه مشاجرات بل صدامات دامية ذكرها التاريخ وسجل تفاصيلها وعرفت: محنة خلق القرآن. الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني:١/١٨٩.

(3) المسؤوليّة بين الإسلام والفلسفات، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٤٦هـ-٢٠٢٥م، إعداد: الشيخ مجتبى المطري، تحقيق: مركز القرآن يهدي للدراسات القرآنية، دار طريق الهدى، قم – إيران: ٣٥-٣٦.

المبحث الثالث: شروط المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم

تُعد المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم مفهومًا متكاملًا، لا يقتصر على مجرد التوجيه الأخلاقي، بل يقوم على مجموعة من الشروط التي تُشكّل أساسًا لقيامها، ووسائل لتفعيلها، وضمانات لاستمرارها ونجاحها، ومن هنا جاء هذا المبحث ليسلط الضوء على هذه الشروط من خلال تقسيمها إلى ثلاث مطالب رئيسة، وهي كما يأتي:

المطلب الأول: شروط تحقق المسؤولية الاجتماعية:

لأجل تتحقق المسؤولية الاجتماعية على نحو سليم، لا بدَّ من توفر شروط أساسية تضمن أن يكون الفرد مسؤولًا عن تصرفاته بوعي واختيار، ومن أبرز هذه الشروط هي الحرية[1]، التي تعني التصرّف بإرادة خالصة دون إكراه، والقدرة، أي امتلاك الوسائل العقلية والجسدية اللازمة للقيام بالفعل وتحمل نتائجه، لذلك سنتحدث في هذا المطلب هذين الشرطين (الحرية والقدرة) وكما يأتي:

أولًا- الحرية: ترتبط الحرية مع المسؤولية باعتبارها شرط أساسي لتحقق المسؤولية الاجتماعية، وبدونها تنتفي المسؤولية، وقد جاء في تعريفها بأنها: (الخروج عن رق الكائنات، وقطع جميع العلائق والأغيار)[2].

وعرّفها بعضهم بأنها: (حالة يكون عليها الكائن الحيّ الذي لا يخضع لقهر أو قيد أو غلبة ويتصرّف طبقًا لإرادته وطبيعته)[3].

الحرية في المفهوم الإسلامي (لا تنفكُّ عن الالتزام ولا تفارقها المسؤولية، بل يصح أن يقال: لا اختيار بلا مسؤولية، ولا مسؤولية بلا اختيار، أي بلا حرية)[1].

---

(1) الحرية المقصودة هنا هي الحرية الاجتماعية، لا الحرية في مجال العقيدة، ولا غيرها.

(2) التعريفات، الجرجاني:٤٣.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار:١/٤٧٠.

من هنا كانت الحرية هي الشرط الأول لتحقق المسؤولية، ولهذا الأصل شواهد قرآنية كثيرة، نذكر نماذج منها وهي كما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿**لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢]، ذكر الرازي: (معناه أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار)[٣].

يبدو للباحث أن هذا المفهوم يدل صراحة على الحرية في الاعتقاد، وهي ما تُعدّ أحد أهم شروط تحقق المسؤولية الاجتماعية، ومهما يكن الاختلاف بين المفسرين حول ما إذا كان النهي الوارد في هذه الآية يحمل طابع الإنشاء أو الإخبار[٤]، فإن ذلك لا يؤثر في أصل الاستدلال؛ إذ إن الدلالة على وجود أساس للحرية باقية في الحالتين. سواء فُهمت الحرية هنا على أنها حرية من الإكراه على الإيمان، أو حرية في عدم إجبار الناس على اعتناق الدين، فإنها في كل الأحوال تمثّل شرطًا أوليًا لتحقق المسؤولية.

٢- قال تعالى: ﴿**مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا**﴾[٥]. إنما يليق بالقادر على

---

(١) الحرية قراءة في مرتكزاتها الإسلامية، مجموعة مؤلفين (الشيخ أمين ترمس العاملي)، ط١، ٢٠١٠م، إعداد: منتدى الفكر اللبناني، بيروت – لبنان:١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي:١٥/٧.

(٤) تقرر في علم المنطق: أن الجملة التامَّة تنقسم إلى جملة إنشائية وخبرية، وأن الجملة الإنشائية هي التي لا تحتمل صدقًا ولا كذبًا كالاستفهام والدعاء، بينما في الجملة الخبرية تحتمل الصدق والكذب لذاتها. دروس أصولية شرح كتاب الحلقة الأولى للسيد الصدر، الشيخ علي العبود، ط١، ١٤٣٤هـ، تحرير: عبدالله معرفي، قم – إيران:٢٢١.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد، أما المجبور على أحد الطرفين الممنوع من الطرف الثاني فهذا لا يليق به[1].

يبدو للباحث أن إرجاع أمر الهداية والضلال إلى النفس يُعد قرينة واضحة على حرية الإنسان في اختياره، ومسؤوليته الكاملة عن قراراته، إذ لا يُتصوَّر أن يُحاسَب الإنسان على ما لا يملك، بل هو مُمكَّن غير مجبر، وتؤكّد ذلك قرينة أخرى، وهي استحقاق العذاب بعد البيان والبلاغ، مما يدل على أن العقاب مترتب على حرية الاختيار لا على الإكراه.

٢- قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ**﴾[2]، ذكر الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ): (من أهتدى للإيمان بالقرآن والعمل بما فيه، فإن منافع اهتدائه تعود إليه، ومن ضل بالكفر والإعراض عنه (إنما أنا من المنذرين) وقد خرجت عن عهدة الإنذار فليس عليَّ من وبال ضلالك شيء وإنما هو عليك فقط)[3]، والنبي ﷺ غير مسؤول عما يحل بأهل الغي والضلال بعد أن نصح لهم وأبلغهم رسالات ربه[4]، ولا يتحمَّل مسؤولية ضلالهم[5].

٣- قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٰمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾[6]، قال الشيخ الطبرسي: (الإخبار عن قدرة الله تعالى وأنه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}

---

(١) ظ: مفاتح الغيب، الفخر الرازي:١٣٧/٢٠.

(٢) سورة النمل، الآية: ٩٢.

(٣) ظ: روح المعاني، أبو الثناء الحسيني. الآلوسي (ت:١٢٧٠هـ):٣٩/٢٠-٤٠.

(٤) ظ: الكاشف، الشيخ مغنية:٤٥/٦.

(٥) ظ: الميزان، السيد الطباطبائي: ٣٢٥/١٥.

(٦) سورة يونس، الآية:٩٩.

ومعناه أن لا ينبغي أن تريد إكراههم على الإيمان مع أنك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لأنه ينافي التكليف)[1]؛ الإيمان الذي نريده منهم هو ما كان عن حسن الاختيار لا ما كان عن إكراه وإجبار[2]، وإن من مستلزمات أصل حرية الإرادة والإختيار أن يؤمن جماعة ويكفر آخرون[3].

إن هذه الآيات وما تحمله من دلالات تؤسس لمبدأ قرآني أصيل، هو أن الحرية شرط لازم لتحقق المسؤولية الاجتماعية، فالمسؤول لا يكون مسؤولًا إلا إذا كان قادرًا ومختارًا، غير مكره، ولذلك فإن الإكراه يُسقط عن الإنسان صفة المسؤولية، ويُبطل المحاسبة الأخلاقية أو القانونية

ثانيًا- القدرة: هي الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة، والقدرة: صفة تؤثر على قوة الإرادة[4].

تُعد القدرة من الشروط الأساسية لتحقّق المسؤولية الاجتماعية، إذ لا يُكلّف الإنسان بما لا يستطيع، ولا يُسأل عن أمرٍ خارج عن إرادته. وقد ذكر القرآن هذا المبدأ في مواضع كثيرة، منها:

١- قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾[5]، الوسع لغةً: (الشيء بالكسر يسعه

---

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٥/٢٢٩.

(2) الميزان، السيد الطباطبائي:١٠/٩٧.

(3) الأمثل، ناسر مكارم الشيرازي:٥/٥٤٥.

(4) التعريفات، للجرجاني: ١٧٣.

(5) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(سعة) بالفتح، و(الوسع) و(السعة) بالفتح الجدة والطاقة جدة الرجل، أي على قدر سعته لا يدخر وسعًا: يفعل أقصى ما يقدر عليه)[1]، وفي الاصطلاح: هو (قدر ما تسع له القوة، وهو بمنزلة الطاقة، وهو نهاية مقدور القادر، ولا يصح ذلك إلا لله تعالى)[2]، لذلك (فإن التكليف الإلهي يتبع بحسب طبعه الفطرة التي فطر الناس عليها، ومن المعلوم أن الفطرة التي هي نوع الخلقة لا تدعو إلا إلى ما جهزت به، وفي ذلك سعادة الحياة البتة[3].

وعليه فإن الآية تؤيد الحقيقة المنطقية القائلة أن التكاليف والفرائض الإلهية لا تتجاوز طاقة الأفراد وميزان تحملهم ... فالآية تنبه الناس إلى مسؤولياتهم وعواقب أعمالهم، وتفند الأساطير التي تبرئ بعض الناس من عواقب أعمالهم، أو تجعلهم مسؤولين عن أعمال الآخرين دون دليل[4]، وبالتالي تتحدد مسؤولية الإنسان، في إطار قدراته، فبسعة قدرات الإنسان تتسع مسؤولياته، وكل إنسان يتحمل مسؤولياته دون مسؤوليات الآخرين، وهنا استثناءات في المسؤولية منها: الخطأ والنسيان والحرج والعجز[5].

٢- قال تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾[6]، والمعنى ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك وعلى حسب إمكانه وطاقته، (لا

(١) العين، للفراهيدي:٢٠٣/٢، مختار الصحاح، للرازي:٢٤٨.

(٢) الفروق اللغوية، ابن هلال العسكري:٥٦٧.

(٣) الميزان، السيد الطباطبائي:٢٩٣/٦.

(٤) ظ: الأنصل، الشيخ مكارم الشرازي:٣٦٧/٢.

(٥) ظ: من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله):٣٦١/١.

(٦) سورة الطلاق، الآية:٧.

يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها) أي: إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة وفي هذا دلالة على أنه سبحانه لا يكلف أحدا ما لا يقدر عليه وما لا يطيقه[1].

يظهر للباحث أنه يُستفاد من الآيات أن القدرة شرط جوهري لتحقق المسؤولية الاجتماعية، إذ إن حدود المسؤولية تتحدد بقدر ما آتاه الله للإنسان من طاقة واستطاعة، فلا يُكلَّف الفرد إلا ضمن وسعه، ومتى انتفت القدرة، انتفى معها التكليف والمسؤولية، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿**وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[2].

المطلب الثاني: شروط تفعيل المسؤولية الاجتماعية:

يُعد الوعي والتعاون من الشروط الأساسية لتفعيل المسؤولية الاجتماعية، إذ لا يمكن للإنسان أن ينهض بمسؤولياته ما لم يُدرك طبيعتها وأبعادها وآثارها، فالوعي يُنير الطريق أمام الفرد ليختار سلوكه عن بصيرة، كما يعد التعاون بين الأفراد شرط أساس لتفعيل المسؤولية الاجتماعية، وبيانهما كما يأتي:

المقصد الأول- الوعي الاجتماعي: يُعد الوعي الاجتماعي من المفاهيم المحورية في علم الاجتماع، وقد تناولته العديد من النظريات بتفسيرات متعددة. يرى إميل دوركهايم (ت: ١٣٣٦هـ): أن الوعي الاجتماعي يتمثل في الوعي الجمعي، وهو وعي سابق على الفرد، يتكوّن من القيم والمشاعر والتمثلات المشتركة بين أفراد المجتمع، ويمتاز بكونه مفروضًا على الأفراد من الخارج، حيث يسمو على وعيهم الفردي، ويسهم بدور أساسي في تحقيق وحدة المجتمع وتجانسه[3].

---

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٤٨/١٠.

(2) سورة المؤمنون، الآية: ٦٢.

(3) مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دوني كوش، ط١، ترجمة: قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا: ٣١.

في المقابل، يقدم السيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ) تصورًا دينيًا حركيًا للوعي، إذ يعرفه بأنه (الفهم الفعال الإيجابي المحرّك للإسلام في نفس الأمّة"، ما يشير إلى وعي يتجاوز الإدراك النظري إلى وعي عملي فاعل يُوجّه السلوك الجمعي في ضوء القيم الدينية)[١].

أما التعريف العام للوعي الاجتماعي فهو: (عملية تفاعل معقدة، تنشأ عن تأثير أفراد الجماعة في بعضهم البعض، ضمن بيئة اجتماعية وثقافية مشتركة، حيث يتأثر الجميع بعوامل الوسط المحيط، ما يؤدي إلى تبلور فهم مشترك للواقع والسلوك الاجتماعي) [٢]، في حين يرى حسن الجوادي أن الوعي الاجتماعي هو: (مجموعة المفاهيم والتصورات التي تعلق في ذهن الانسان الذي يعيش في بيئة معينة، وما يحمله من فكر وثقافة عن المجتمع الذي ينتمي اليه)[٣].

الوعي الاجتماعي يُعد أساسًا لتفعيل المسؤولية الاجتماعية، إذ لا يمكن للفرد أن يساهم في مجتمعه بشكل مسؤول دون فهم مشترك للقيم والمعايير الاجتماعية، فالوعي الجمعي، كما وصفه دوركهايم، يوجه سلوك الأفراد نحو الالتزام بالصالح العام، بينما يبرز مفهوم الوعي عند محمد باقر الصدر كدافع ذاتي لممارسة المسؤولية على أسس دينية وأخلاقية. وبالتالي، فإن الوعي الاجتماعي لا يقتصر على كونه سابقًا للمسؤولية، وقد ورد الوعي في القرآن والسنّة المطهرة بشكل واضح وهو كما يأتي:

---

(١) أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة، السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله، ط٢، ١٤٣٤هـ، المركز العالمي التخصصي بتراث الشهيد الصدر، دار الصدر، قم – إيران:١٥٦.

(٢) علم الاجتماع السياسي، الدكتور صادق الأسود، ط١، ١٩٧٣م، مطبعة الرشاد، بغداد – العراق:٧٥.

(٣) الوعي والإدراك، حسن علي الجوادي، ط٤، ١٤٤٥هـ، تدقيق: مصطفى كامل محمود، المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر، الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة – العراق:١١.

أولًا- الوعي الاجتماعي في القرآن الكريم: أشار القرآن في الكثير من آياته إلى الوعي، عن طريق التركيز على مسألة التدبر والتفكر والتعقل، ومما جاء حول ذلك ما يأتي:

١- التفكّر: قال تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾[١]، أي: تنظرون وتتفهمون[٢]، يجب أن تكون جميع نشاطات الإنسان المادية والمعنوية في الحياة مشفوعة بالفكر والتدبر[٣]، وقال أيضًا: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٤].

٢- التدبر: قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾[٦].

٣- التعقّل: قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٨]

ثانيًا- الوعي في السنَّة المطهّرة: وقد ورد الوعي في السنة النبوية يمثل مفهومًا عميقًا وشاملاً يتجاوز مجرد الإدراك العقلي إلى إدراك الواقع الاجتماعي والإنساني من حولنا، منها النبي محمد صلى الله عليه وآله في تعاليمه كان يشدد على أهمية الوعي بقيم العدل، الرحمة، المساواة، حقوق الآخرين، والواجبات الاجتماعية، فالوعي في هذا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٦.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ١٨٩/٢.

(٣) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١١٥/٢.

(٤) سورة الحشر، الآية:٢١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٧) سورة الزخرف، الآية:٣.

(٨) سورة البقرة، الآية:٤٤.

السياق يشمل فهم الفرد لمسؤولياته تجاه نفسه وتجاه مجتمعه، والسعي المستمر لتحسين الوضع الاجتماعي للأفراد، خاصة الفقراء والمحرومين.

١- **وعي المسؤولية بحقوق الآخرين:** ورد عن ((محمد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن سليمان بن سماعة، عن عمر بن عاصم الكوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله قال: من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم))[١].

٢-**الوعي للعبرةِ والعِضة:** قال أمير المؤمنين عليه السلام" :((فإنّما البصير من سمع فتفكّر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثمّ سلك جدداً واضحاً يتجنّب فيه الصرعة في المهاوي))[٢].

٣- **الوعي الاحترازي**[٣]: قال الإمام الصادق عليه السلام : ((العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس))[٤]، إذ يلزم أن تعي الأمة الإسلامية ما يدور حولها حتى لا تهجم عليها اللوابس[٥]، والمراد من اللوابس هو الفتن والحوادث المرة الّتي تحيط حياة الإنسان ، وربّما تقضي عليه إذا لم يكن مستعداً من ذي قبل على ردّها ودفعها[٦].

يرى الباحث أن هذه الروايات تكشف عن أن الوعي في المنظور الإسلامي ليس حالة ذهنية فقط، بل هو محرك للمسؤولية العملية تجاه الآخرين والواقع، فوعي الإنسان بحقوق الناس، كما في حديث النبي صلى الله عليه وآله، يجعله معنيًا بشؤونهم لا غافلًا

(١) الوسائل، الحر العاملي:٣٣٧/١٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤٢/٢.

(٣) ذكر مصطلح الوعي الوقائي والاستباقي الدكتور عبد الكريم بكار، تجديد الوعي، ط١، ٢٠١٥م، دار القلم، دمشق – سوريا: ١٨ – ٤٠.

(٤) الكافي، الشيخ تالكليني:٢٦.

(٥) فقه العولمة، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ٣٦٥.

(٦) رسائل ومقالات، الشيخ السبحاني: ٧١١/٥.

عنهم، فيما يرسم الإمام علي عليه السلام معالم الوعي الحقيقي في التأمل والاعتبار والعمل، ويؤكد الإمام الصادق عليه السلام على أهمية الوعي الوقائي في مواجهة الفتن والانحرافات.

وهكذا يتكامل الوعي الديني ليكون أساسًا في بناء شخصية مسؤولة، بصيرة، ومتفاعلة مع محيطها بوعي ونُضج.

ثالثًا- التعاون الاجتماعي: يُعدّ التعاون بين أفراد المجتمع من المبادئ الأساس التي يقوم عليها البناء الاجتماعي في المنظور القرآني، إذ لا تنهض المسؤولية الاجتماعية بمعزل عن روح المشاركة والتكافل والتعاون، فالقرآن الكريم لا يقدّم الفرد ككائن منعزل، بل كجزء من منظومة تتكامل فيها الجهود وتتوزع فيها المسؤوليات، ومن خلال الأمر الإلهي بالتعاون على البر والتقوى، تتجسد قيمة التعاون كآلية لتفعيل الواجبات المشتركة في الإصلاح، والرعاية، والدفاع عن الحقوق، بما يجعل التعاون تجسيدًا عمليًا للمسؤولية الاجتماعية في بعدها الإيماني والإنساني، قال تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾**[1]، قال الأخفش:هو مقطوع من أول الكلام، وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي : ليعن بعضكم بعضا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه[2]، الله عباده بأن يعين بعضهم بعضا على البر والتقوى، وهو العمل بما أمرهم الله تعالى به[3]، وهو الصلاح والتقوى الاجتماعيان ، ويقابله التعاون على الإثم الذي هو العمل السيئ المستتبع للتأخر في أمور الحياة

(1) سورة المائدة، الآية:٢.

(2) تفسير القرطبي، للقرطبي:١٠/٦.

(3) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٢٦٧/٣.

السعيدة، وعلى العدوان وهو التعدي على حقوق الناس الحقة بسلب الأمن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم[1].

تُبرز الآية الكريمة ومضمون تفسيرها أن التعاون في المنظور القرآني ليس خيارًا أخلاقيًا فحسب، بل تكليفًا جماعيًا يرسم معالم المسؤولية الاجتماعية. فالتعاون على البر والتقوى يشكل أساس الصلاح الفردي والاجتماعي، بينما التعاون على الإثم والعدوان يُهدد أمن المجتمع ويقوّض الحقوق، فحين يُدرك الإنسان أن الله أمره بأن يكون شريكًا في بناء الخير ودفع الأذى، يتحرك بوعي ومسؤولية نحو خدمة الآخرين، وهذا هو جوهر المسؤولية الاجتماعية.

المطلب الثالث: شروط نجاح المسؤولية الاجتماعية:

العلم والعمل هما ركيزتان أساسيتان لنجاح المسؤولية الاجتماعية، ولا نجاح لهذه المسؤولية إلا بالعلم الذي يوجّه، والعمل الذي يُنجز؛ فالعلم يكشف المشكلات ويضع الأسس، والعمل يُحوّل المعرفة إلى أثر واقعي يخدم المجتمع، وهما كما يأتي:

أولًا- العلم: عرّفه الجرجاني بأنه: (الاعتقاد الجازم المطابق للواقع)[2]، والعلم هو قاطرة التقدم، وعلم الإنسان هو سلاحه ضد الطبيعة؛ لأجل تسخيرها، وكلمة العلم والعلماء، لا تعني فقط العلم بالدين، بدليل أنّه يقول على لسان نبينا العظيم: ((اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم))[3]، فهل كان الفقه في أيام رسول الله يدرس في الصين، أم كانت هناك العلوم المتنوعة[4].

---

(1) الميزان، السيد الطباطبائي:٥/١٤٠.

(2) التعريفات، الجرجاني: ١٥٥.

(3) الوسائل، الحر العاملي:٢٧/٢٧.

(4) كيف نبني حضارتنا الإسلامية، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط٤، ١٤٣٦هـ، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، طهران – إيران:٧١-٧٢.

١- **العلم في القرآن الكريم:** العلم والمعرفة مسؤولية الإنسان التي تتعلق بمصالحه العاجلة والآجلة، فمن يرفض الاهتداء، ولا يتحمل مسؤوليته في الوصول إلى المعرفة فإنه يظلم نفسه[١]، بالرغم من أن القرآن الكريم كله كتاب علم وهداية وتوعية، فقد أولى أهمية خاصة للعلم، مؤكدًا أنه أساس تقدم الشعوب ونهضتها، ويتجلى ذلك في ورود لفظة العلم ومشتقاتها في ٧٧٨ مرة، مما يدل على أن العلم ركيزة مهمة لبناء الإنسان والمجتمع، وأن التغيير الحقيقي يبدأ بالمعرفة والوعي، وقد ورد في القرآن آيات كثيرة منها:

أ- **﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**[٢]، قال الطبري: (يرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات ، إذا عملوا بما أمروا به، إن بالعلم لأهله فضلًا وإن له على أهله حقًا، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله) [٣]، وقيل معناه لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله[٤]، لا ريب في أن لازم رفعه تعالى درجة عبد من عباده مزيد قربه منه تعالى، وهذا قرينة عقلية على أن المراد بهؤلاء الذين أوتوا العلم العلماء من المؤمنين فتدل الآية على انقسام المؤمنين إلى طائفتين: مؤمن ومؤمن عالم، والمؤمن العالم أفضل[٥]، وقد قال تعالى:**﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾**[٦].

---

(١) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله): ٥/٧٠-٧١.

(٢) سورة المجادلة، الآية:١١.

(٣) تفسير الطبري، الطبري:٢٣/٢٤٤.

(٤) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٩/٢١٨.

(٥) الميزان، السيد الطباطبائي:١٩/١٦٧.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٩.

ب- قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]، أي: استزد من الله سبحانه علمًا إلى علمك[2]، والعلم الذي أمر الله نبيه أن يستزيده منه هو العلم الذي ينتفع به صاحبه، وينفع به غيره فلا القيم والعقائد، ولا الفلسفة والشرائع ولا الأدب والفن، كل هذه ليست بشيء عند الله إلا إذا كانت وسيلة لحياة طيبة كريمة لا مشاكل فيها ولا تعقيد، حتى الحياة الآخرة ترتبط وتلتحم التحامًا كليًا بالعمل النافع في الحياة الدنيا[3]، أما في السنَّة النبويّة وروايات أهل البيت عليهم السلام، فقد رود عنه النبي الأكرم قوله: ((أحب الناس إلى الله أنفع الناس للناس))[4].

وجاء عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))[5]، فضلًا عن ذلك بُعد العلم، الوسيلة من النجاة في عصر الشبهات، فقد ورد ما يؤيد ذلك في الرواية التي قال فيها أبو عبدالله : ((لا خير فيمن لا يتفقه من اصحابنا يا بشير، إنَّ الرجل منهم إذا لم يستغني بفقههِ احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم))[6]، فيقع على الأمة مسؤولية العلم والتعلم، وبناء الحضارة على أسس علمية، رصينة.

ثانيًا- العمل الصالح: يرتبط العمل مع المسؤولية الاجتماعية، باعتباره مساحة الواقع التطبيقي لفكرة المسؤولية، إذ لا بدَّ أولًا من الايمان الراسخ بالفكرة، وهو الجانب الأساس الذي عرضنا له في الاطروحة ضمن الفصول الأولى، ثم العمل المبني على

(1) سورة طه، الآية:١١٤.
(2) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٥٩/٧.
(3) الكاشف، الشيخ مغنية:٢٤٨/٥.
(4) جامع أحاديث الشبعة، السيد الروجردي:١٧٥/١٦.
(5) الكافي، الشيخ الكليني:٢١/١.
(6) م، ن: ٢٢/١.

ذلك الايمان، ولذلك نلاحظ تركيز القرآن الكريم على هذه المسألة، إذ ارتبط العمل مع الإيمان ارتباطًا وثيقًا نظرًا لأهميته، وجاء في كثيرًا من المواضع ومنها:

١- قال تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ**﴾[١]، ورد في الرواية عن((عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: رَوَى فَضَالَةُ بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، فِي قَوْلِهِ :إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قَالَ: آمَنُوا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ)، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ))[٢].

يبدو للباحث أن ظاهر الرواية واضح الدلالة على وجوب الإيمان بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والعمل بما تقتضيه الولاية، باعتبار الإمام عليه السلام النموذج الأسمى في تحمل المسؤولية، والسير على نهجه المبارك.

٢- قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ**﴾[٣].

قال الطبري في تفسيرها: (إنّ الذين أقروا بتوحيد الله، وهم هؤلاء القوم الذين حرقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد، وعملوا بطاعة الله، وأتمروا لأمره، وانتهوا عما نهاهم عنه، لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار، هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة، هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا)[٤]، وأي فوز أرقى وأسمى من الوصول إلى جوار الله، والتمتع

(١) سورة التين، الآية:٦.

(٢) البرهان، السيد هاشم البحراني:٣/٧٣٨.

(٣) سورة البروج، الآية:١١.

(٤) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري:٢٤/٣٤٥.

في نعيمه الذي لا يوصف! نعم، فمفتاح ذلك الفوز العظيم هو: الإيمان والعمل الصالح، وما عداه فروع لهذا الأصل[1].

وقد وردت روايات كثيرة تؤكد ذلك منها: عن ((الإمام الصادق (عليه السلام): العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، ولا يزيده سرعة السير من الطريق إلا بعدا))[2].

يتبين من خلال ذلك أن العمل الصالح من جنس الإيمان بالله ورسوله وأئمته، وإن النجاة في طاعتهم، إذ ورد التحذير الإلهي في هدم الطاعة وبيان دور الرسول ﷺ كمبلّغ، قال تعالى: ﴿**وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ**﴾[3]، نحن لسنا مسؤولين عنكم، ولا رسولنا مسؤول عنكم، إنما أنتم المسؤولون عن أنفسكم، وإنما على رسولنا: مسؤولية إبلاغكم فقط بما يجري ثم تتحملون أنتم المسؤولية[4].

من الضروري أن يكون ذلك وفق الاخلاص والنية الصادقة، وأن يكون الهدف من تحمل المسؤولية الاجتماعية هو تحقيق مرضاة الله تعالى وخدمة المجتمع، وليس تحقيق مصالح شخصية أو مكاسب دنيوية.

---

(1) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

(2) ميزان الحكمة، الريشهري: ٣/٢٨٤.

(3) سورة المائدة، الآية:٩٢.

(4) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله): ٢/٢٧٦.

الفصل الثالث: أثر المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم في بناء المجتمع...

الفصل الثالث: أثر المسؤولية الاجتماعية في القرآن الكريم في بناء المجتمع:

المبحث الأول: نماذج إيجابية من المسؤولية الاجتماعية

المبحث الثاني: نماذج سلبية من المسؤولية الاجتماعية

المبحث الثالث: أثر المسؤولية الاجتماعية في بناء المجتمع

المبحث الأول: نماذج إيجابية من المسؤولية الاجتماعية:

في هذا المبحث سنشير إلى المجتمعات التي تحملت مسؤوليتها في القرآن الكريم وهي كما يأتي:

المطلب الأول: قوم مدين نموذج للتكافل والتجارة المسؤولة:

دعا شعيب عليه السلام قومه إلى الالتزام بالقيم الاجتماعية والاقتصادية، ومنها محاربة الفساد والغش التجاري، وهو شكل من أشكال المسؤولية الاجتماعية الجماعية: ﴿**وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ**﴾[1]، أي أعطوا الكيل وافيًا غير ناقص، ويدخل الوفاء في الكيل والوزن والذرع والعدد **{ولا تكونوا من المخسرين}** أي من الناقصين للكيل والوزن[2]، وبعد ذلك قام يدعوهم (للتقوى وطاعة الله، إلى إصلاح انحرافاتهم الأخلاقية والاجتماعية وينتقدهم على هذه الانحرافات، وحيث أن أهم انحراف عند قومه كان الاضطراب الاقتصادي، والاستثمار والظلم الفاحش في الأثمان والسلع، والتطفيف في الكيل، لذلك فقد اهتم بهذه المسائل أكثر من غيرها)[3]

يبدو للباحث أن النبي شعيب عليه السلام، أراد المحافظة على مسؤوليتهم الاجتماعية، وتعميقها في نفوسهم من خلال ربط أعمالهم بعنصر التقوى، الذي هو الأساس في قبول الأعمال، ولذلك قال تعالى: ﴿**... قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ**﴾[4]، وقال

---

(1) سورة الشعراء، الآية: ١٨١.

(2) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣٤٩/٧.

(3) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣٦٠/٩.

(4) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ**﴾[1]، باعتبار كون التقوى تمهد الطريق نحو الفوز والنجاح[2].

لكنهم رفضوا نصيحته، مما أدى إلى هلاكهم بعد أنْ دعاهم إلى إصلاح الاعتقاد، انتقل إلى إصلاح المجتمع وتطهيره من الآفات الاجتماعية والاقتصادية التي تتهدَّد وجودهم ومصيرهم، فنهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان، وبخس الحقوق الذي يمحق البركة، ويسلب النعمة، فضلًا عن عذاب الآخِرة:﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾[3]، وفي الحديث خمس بخمس: (ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهر فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر)[4]، وواضح أن (تسرب أي نوع من أنواع الخيانة والغش في المعاملات يزعزع بل ويهدم أسس الطمأنينة والثقة العامة التي هي أهم دعامة لاقتصاد الشعوب وتلحق بالمجتمع خسائر غير قابلة للجبران، ولهذا السبب كان أحد الموضوعات المهمة التي ركز عليها شعيب هو هذا الموضوع بالذات)[5] ،وقال: ﴿ **وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ** ﴾[6]، ثمَّ كرَّر عليهم هذه الدعوة نظرًا لخطورتها ولكن جاءت بصيغة الأمر؛ فقال لهم: ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[7]، ثمَّ نهاهم عن الصدِّ عن سبيل الله: ﴿**وَلَا**

---

(1) سورة الطلاق، الآية:

(2) في رحاب القرآن، السيد محمد تقي المدرسي:٨٣,

(3) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(4) يحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣٧٠/٧٠.

(5) الأمثل، الشيرازي: ١١٢/٥.

(6) سورة هود، الآية: ٨٤.

(7) سورة هود، الآية: ٨٥.

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[1]

لا تقتصر المعاملات المالية على الدورة الاقتصادية، بل تتعدّى ذلك إلى الحياة الاجتماعية، لأن الخيانة إذا شاعت في تلك المعاملات، فإن الفساد سيشيع بين أفراد المجتمع، مما يفقدهم الوثوق والاطمئنان واعتماد بعضهم على بعض، فيذهب بذلك الأمن الشامل بينهم[2]، وأما كون الكفّ عن الإفساد في الأرض خيراً للإنسان، ذلك لأن سلب الأمن العام يوقف رحى المجتمع الإنساني عن حركتها من جميع الجهات، وفي ذلك هلاك الحرث والنسل وفناء الإنسانية، إذاً ترافقت دعوة النبي شعيب إلى التوحيد مع دعوته إلى إقامة العدل من خلال تنظيم شؤون قومه الاقتصادية، فانحرافهم في العقيدة انعكس على نظمهم الاقتصادية والاجتماعية، ومن هنا كانت مهمة النبي شعيب، إصلاح أمر الدنيا والآخرة[3].

فيمكن تطبيقها على مستوى الأفراد: إنشاء شبكات دعم اجتماعية لمساعدة المحتاجين في الأحياء السكنية، تقديم قروض حسنة للشباب من أجل بدء مشاريع صغيرة، على مستوى المجتمع: تأسيس جمعيات خيرية تدعم الأرامل والأيتام بتوفير الخدمات التعليمية والصحية، إطلاق برامج تكافل إلكترونية تتيح للأفراد المساهمة بسهولة في مساعدة المحتاجين، على مستوى الدولة: تشجيع المواطنين على المشاركة في برامج الزكاة والصدقات، وتوفير مظلة ضمان اجتماعي فعّالة تشمل الفئات الأكثر ضعفًا.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ٨٥-٨٦.

(2) ظ: التسويق والمسؤولية الاجتماعية، ثامر البكري، ط١، ٢٠٠١م، جرا وائل للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن: ٨٣/٨.

(3) ظ: أبعاد استراتيجية المسؤولية الاجتماعية الشاملة في الأداء الاستراتيجي لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة، عبد الرضا ناصر محسن المالك، ط١، ٢٠٠٩م، بغداد – العراق: ٦٦.

ومهما يكن فإن مبناه ليس الحاجة الاجتماعية التي تفرض نفسها في وقت معين أو مكان بعينه، وإنما يستمد التكافل الاجتماعي في الإسلام مبناه من مبدأ مقرر في الشريعة، وهو مبدأ الولاية المتبادلة بين المؤمنين في المجتمع[1].

وقد أشار القرآن الكريم في الكثير من المواضع إلى أهمية التكافل الاجتماعي للفرد والمجتمع فنجد فيه إشارة إلى الأخوة والتكافل والتآزر والتكاتف، وكذا تضمنت السنة النبوية المطهرة إشارات كثيرة تدعو إلى وحدة المجتمع، وتصف المؤمنين بالجسد الواحد، والبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا، كما دعت هذه الأحاديث إلى احترام حق الجار والضيف وابن السبيل، بل دعت إلى تقاسم لقمة العيش مع الذين لا يملكون فقال رسول الله ﷺ: (ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جانبه)[2]، سبق الإسلام الأنظمة الوضعية في إرساء الأسس الصحيحة والسليمة للتكافل الاجتماعي، ولا ريب في ذلك فالإسلام دين الجماعة قبل أن يكون دين الأفراد، بل الإسلام دين الإنسانية جمعاء.

وعلى هذا فقد حفلت الشريعة الإسلامية الغراء بالكثير من النصوص التي تحث على التعاضد والتآزر، والحفاظ على حقوق الأفراد والجماعة، ومكارم الأخلاق.

---

(1) ظ: حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله عبد المحسن التركي، ط١، ١٤١٩هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض – السعودية: ٥٠.

(2) السنن الكبرى، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، إشراف: شُعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيرت – لبنان: ١٩٢/١٤.

المطلب الثاني: قوم يونس وأصحاب الكهف:

أولًا- قوم يونس عليه السلام : كان موقف قوم نبي الله يونس عليه السلام ، هو الاستجابة الكاملة له بعد أن أشرفوا على الهلاك، وقد أكدّ ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: **(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ)**[1]، ما نلاحظه من ذلك، أنهم تحملوا مسؤولية تصحيح أفعالهم والرجوع إلى الله، فكان ذلك سببًا في إنقاذهم.

وتطرح الآية التي نبحثها هذه المسألة كقانون عام[2]، فتقول: فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها، ثم استثنت قوم يونس فقالت: إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين أي إلى آخر عمرهم ... فلا شك في أن جماعات كثيرة من الأقوام السالفة آمنوا أيضا، إلا أن الذي يميز قوم يونس هو أنهم آمنوا بأجمعهم دفعة واحدة، وكان ذلك قبل حلول العقاب الإلهي الحتمي، في حين أن جماعة كبيرة من بين الأقوام الأخرى بقوا على مخالفتهم وعنادهم حتى صدر القرار الإلهي بالعذاب الحتمي، فلما رأى هؤلاء العذاب الأليم أظهر أغلبهم الإيمان[3]، أي أنهم تحملوا مسؤولية العودة إلى الطريق المستقيم، لينالوا بذلك رضا الله تبارك وتعالى، ولأنهم عملوا بمسؤوليته الكاملة، رُفِعَ عنهم عذاب الدنيا، وهذا يؤكد أثر السلوك الاجتماعي، القائم على أساس الشعور بالمسؤولية وتشخيص مواطن الخلل، لمعرفة تقصيرهم واعترافهم به أمام الله تعالى، ليثمر بركة وخيرًا من الله تعالى.

ثانيًا- أصحاب الكهف: إذ تحمّل أصحاب الكهف مسؤولية الحفاظ على إيمانهم في وجه مجتمع مشرك، فاختاروا العزلة للابتعاد عن الفتنة، قال تعالى: **(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا**

---

(1) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(2) ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي: ٦/٤٤٠.

(3) ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي: ٦/٤٤٠.

بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)[1]، أنهم أحداث وشباب آمنوا عن بصيرة في الدين، ورغبة في الثبات عليه بالألطاف المقوية لدواعيهم إلى الإيمان[2]، إن أصحاب الكهف كانوا يعيشون في بيئة فاسدة وزمان شاعت فيه عبادة الأصنام والكفر، وكانت هناك حكومة ظالمة تحتمي مظاهر الشرك والكفر والانحراف، مجموعة أهل الكهف الذين كانوا على مستوى من العقل والصدق، أحسوا بالفساد وقرروا القيام ضد هذا المجتمع، وفي حال عدم تمكنهم من المواجهة والتغيير فإنهم سيهجرون هذا المجتمع والمحيط الفاسد[3].

يبدو أن الموقف الذي نستوحيه من هذه الآية المباركة، هو أن هؤلاء الشباب تحملوا مسؤولية ايمانهم بالله تعالى، ولم يرضخوا لمغريات الدنيا وما فيها، ففضلوا الابتعاد بسلام وبدون عداوة عن المجتمع الذي لم يتقبل قيمهم، وهذا يعكس روح التسامح والتعايش السلمي في المجتمعات المتنوعة.

على خلاف بني إسرائيل الذين لم يتحملوا مسؤولية الصبر لمدة أربعين يومًا، فعبدوا العجل، وساروا على غير هدى، بعد أن انجاهم الله تعالى من فرعون، قال تعالى: **(وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ)**[4]، والآية وما بعده تذكر قصة عبادة بني إسرائيل العجل بعد ما ذهب موسى إلى ميقات ربه واستبطئوا رجوعه إليهم، فكادهم السامري وأخذ من حليهم فصاغ لهم عجلا من ذهب له خوار كخوار العجل وذكر لهم أنه إلههم وإله موسى فسجدوا له واتخذوه إلها، وقد فصل الله سبحانه القصة في سورة طه تفصيلا[5]، وهكذا فعل قوم فرعون، حين رفضوا دعوة موسى عليه

(1) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(2) ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣١٧/٦.

(3) ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي: ٢٠٩/٩.

(4) سورة الأعراف، الآية: ١٤٨.

(5) الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٤٨/٨.

السلام، وتمسكوا بالمصالح الدنيوية من السلطة والجاه، حتى تمادوا في ظلمهم وطغيانهم، ورفضوا الحق الذي جاء به موسى عليه السلام : **(وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)**[1]، وهكذا نجد هؤلاء بالرغم من توافر مقدمات اليقين عندهم جحدوا بها استرسالًا مع صفتي الظلم والاستعلاء[2].

وفي المرحلة التالية من إيمان هؤلاء الفتية، واحساسهم العالي بالمسؤولية التي يفرضها عليهم إيمانهم، اخذوا على عاتقهم اعتزال قومهم؛ لإبعاد المعوقات التي قد تعوقهم عن تأدية مسؤولياتهم، قال تعالى: **(وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا)**[3]، قال الشيخ الطوسي في التبيان: (فأووا إلى الكهف، أي: اجعلوه مأواكم ومقركم)[4]، تشير هذه الآيات إلى الحالة الروحية والمعنوية للفتية في ما كانوا يلتزمونه من إيمانٍ، وما يطرحونه من فكرٍ أمام المجتمع الكافر الطاغي، الذي لا يملك فكراً يقنع به المعارضين له، بل يملك قوّةً تضغط على حريات الناس، وتصادر قرارهم، وتضطهد واقعهم... فيضعفون أمامها، وينسحقون تحت تأثير سلطتها، فيوافقون على ذلك كله، ولكن لم يكن هؤلاء المؤمنون في هذا الموقع الضعيف، بل كانوا في موقع القوة التي استمدوها من الله، فأعلنوا موقفهم بكل جرأةٍ وصراحةٍ، وواجهوا الضغط بمسؤوليةٍ وواقعيةٍ[5].

وفي الآية دلالة على أن الهجرة هي الخيار المشروع في مثل هذه الحالة، التي يشكّل فيها المجتمع عنصر تهديد للإيمان، ومانع من تحمّل المسؤولية.

---

(1) سورة النمل، الآية: ١٤.

(2) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي: ٢٥٥/٦.

(3) سورة الكهف، الآية: ١٦.

(4) التبيان، الشيخ الطوسي:١٩/٧.

(5) ظ: من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل: ٥٥/٨.

المطلب الثالث: المهاجرون والأنصار:

يُعد مجتمع المدينة المكون من المهاجرين والأنصار نموذجًا بارزًا للتكافل والمسؤولية الاجتماعية، إذ حينما هاجر المسلمون إلى المدينة، تجلّت المسؤولية الاجتماعية في أقصى صورها بين الأنصار والمهاجرين، وقد تمثلت قيم المسؤولية الاجتماعية عندهم من خلال ما يأتي:

أولًا- الحب: قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾[1]، حب الآخرين من المفاهيم السامية التي تدعو لها المسؤولية الاجتماعية، إذ لا تكتمل أسس المسؤولية ما لم يتربع مفهوم الحب في نفوس أبناء المجتمع المؤمن، فهو من مقومات أو مصاديق السلم والسلام بالمعنى الأعم، وهو من المستحبات وقد يجب[2]، في بعض الأحيان، وهو عنوان صحيفة المؤمن، قال تعالى: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾[3]، إنّ تكريس حبّ الآخرين وإسداء الخير لهم يعد الخطوة الأساس في تكوين المسؤولية الاجتماعية[4]، لبناء مجتمع مثالي؛ لأن الحب يقلل من الفجوة بين طبقات الناس، ينمي مشاعر الأخوة، ويسقيها بماء الحب والعطاء، مما يجعل الفرد يشعر بمسؤولية تجاه أبناء مجتمعه وكل من يحب، لذلك نلاحظ النص القرآن يركز على مسألة الحب العملي، الحب المقترن باتباع الحق، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[5]، قل يا محمد بأسلوب تثقيفيٍّ يضع الأمور في نصابها الصحيح، ويوحي بالفكرة في منطلقاتها الحقيقية، ويحوّل

---

(1) سورة الحشر، الآية: ٩.

(2) الفقه، السيد محمد مهدي الحسيني الشيرازي: ٦٨٣.

(3) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(4) ظ: المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله): ٧٥.

(5) سورة آل عمران، الآية: ٣١

الحب لله إلى منهج عملي يتصل بالواقع الحي المتحرك المسؤول في علاقة الإنسان بالله في كل وجوده[١].

وكذلك ما جاء في بعض الروايات التي تتحدث عن الحب في الله تعالى، فمنها ((عن أحمد بن محمد بن أبي نصر وابن فضال، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لأخيه))[٢]، ومنها عن ((الحسين بن محمد، عن محمد بن عمران السبيعي، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كل من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له))[٣].

ولكن رغم ما ورد في القرآن الكريم وبعض الروايات الشريفة، بخصوص مسألة الحب المسؤول وأثره في نفوس أفراد المجتمع وفي سلوكهم الخارجي، إلا أن الواقع الاجتماعي يشهد بأن (عوامل إنتاج الكراهية تحاولُ التغلبَ على المحبة، وإلا فكيف نفسّر كلَّ هذه الخذلان والظلم والاستبداد والعنف وانتهاك الكرامة الإنسانية، المقيم في الأرض أمس واليوم ... الحُبَّ شحيحٌ في حياتنا، الكراهيةُ كثيرةٌ، الحزنُ طويلٌ في حياتنا، في مجتمعنا ينشدُ الناسُ الحزنَ أكثرُ من الفرح)[٤].

يبدو من النص المتقدم أننا بحاجة إلى توعية اجتماعية ممنهجة حول إثارة نوازع الخير في الإنسان ومنها الحب السامي في الله تعالى، إنَّ أثر الحب على نوع العلاقات الاجتماعية كبير جدًا، فلولا محبة الآخرين، لما كان هناك تعاون وتكافل، ولا

(١) ظ، من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله:٢/٤٩٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني:٢/١٢٧.

(٣) م، ن: ٢/١٧٢.

(٤) الدين والكرامة الإنسانية، الدكتور عبد الجبار الرفاعي، ط١، ٢٠٢١م، الناشر: كرمز دراسات فلسفة الدين- بغداد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان: ٧٥.

عطاء، ولا رحمة وشفقة وإصلاح، ولا بناء أسرة ولا تكوين مجتمع؛ لأن كل هذه المعاني والقيم تنبع من الحب، إذ هو ليس مجرد عاطفة، بل هو الدافع الكبير لتحمل المسؤولية الاجتماعية، لبناء مجتمع رسالي قائم على أساس القيم والمبادئ.

ثانيًا- الإيثار: قال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[1] ، ويقدمون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم فقر وحاجة، وهذه الخصيصة أغزر وأبلغ في مدحهم من الخصيصة السابقة فالكلام في معنى الاضراب كأنه قيل: إنهم لا يطمحون النظر فيما بأيدي المهاجرين بل يقدمونهم على أنفسهم وهم في عين الفقر والحاجة[2]، وبناء على هذا فإن الأنصار لم يهيؤوا بيوتهم لاستقبال المهاجرين فحسب، بل إنهم فتحوا قلوبهم ونفوسهم وأجواء مجتمعهم قدر المستطاع للتكيَّف في التعامل مع وضع الهجرة المرتقب[3]،إذ يُعد هذا اللإيثار نموذجًا مثاليًا للتعاون وبناء مجتمع متماسك، مبني على الإحساس العالي بالمسؤولية، وهو قيمة عليا من قيم المسؤولية الاجتماعية.

ثم قال تعالى: ﴿**... وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[4]، أي فقر وحاجة. بين سبحانه أن إيثارهم لم يكن عن غنى عن المال، ولكن كان عن حاجة، فيكون ذلك أعظم لأجرهم وثوابهم عند الله. ويروى أن أنس بن مالك، كان يحلف بالله تعالى ما في الأنصار بخيل. ويقرأ هذه الآية: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**﴾ أي: ومن

(1) سورة الحشر، الآية: ٩.

(2) ظ: الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٠٦/١٩.

(3) ظ: الأمثل، الشيرازي: ١٩٣/١٨.

(4) سورة الحشر، الآية: ٩.

يدفع عنه، ويمنع عنه بخل نفسه، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: المنجحون الفائزون بثواب الله، ونعيم جنته[1].

ثالثًا- الرحمة: هي صفة من صفات الله تبارك وتعالى، **قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾** [2]، **وقد كتب على نفسه الرحمة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾** [3]، وبعث بها نبيه الكريم، قال تعالى: **﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾**[4]، وهي تجلٍ لاتحاد العقل والعشق في قلوب رجال نفخ الله حبّه في عقولهم، فكانوا في الصبر كالجبال الراسيات وفي الرضا بقضاء ربهم ذوي همم عاليات، وفي بذل النفس في سبيل إعلاء كلمة الحق ورايـة الهدى كالليوث الضاريات، قد احكموا عقد الطاعة فأصبحوا كالبنيان المرصوص[5]، هذا هو المجتمع المسؤول، وذلك ما تفعله بهم المسؤولية، فهي الوجه المشرق في مبادئ المسؤولية الاجتماعية.

---

(1) ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٤٣٣/٩.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(3) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(4) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(5) الرحمة الواسعة، الشيخ محمد تقي بهجت (ت:١٤٣٠هـ)، ط١، ١٤٣٧هـ، الناشر: مركز حفظ ونشر التراث، قم – إيران: ١١.

المبحث الثاني: نماذج سلبية من المسؤولية الاجتماعية:

المطلب الأول: قوم نوح وصالح عليهما السلام وإهمال المسؤولية:

أولًا- قوم نوح عليه السلام: أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ عليهم أخبار نوح[1]، عليه السلام **(وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ)**[2]، من أجل أن تعرّفهم موقفك من خلال موقفه، ليعرفوا أسلوب الرسالة في المواجهة في أسلوبك معهم، من خلال المقارنة بينه وبين أساليب الأنبياء... التي تفتح قلوبكم على الحقيقة من أقرب طريق، وتوجّهكم إلى الخير في موارده ومصادره، وتربطكم بخط المسؤوليّة الذي يبدأ في حركته الصاعدة من بداية حياة الإنسان لتنتهي إلى يوم القيامة في مواجهة نتائجها بين يدي الله، ليكون العمل منطلقاً في أجواء الرسالة وآفاق الله[3]، كان موقف قوم نوح عليه السلام موقف الهارب من تحمّل المسؤولية، ولذلك رفضوا دعوته وكذبوه، فحق عليهم عذاب الله تعالى: **(فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ)**[4]، لقد وقع العذاب على الذين تخلوا عن مسؤولياتهم، ولكن جرت سنة الله تعالى على أن يوجد أُناس يتحملون المسؤولية ليقوموا بدورهم في الحياة الاجتماعية، لذلك (لم تتوقف مسيرة الرسالة أمام الضغوط والتحديات، بل استمرت في حركة هؤلاء الذين أنجاهم الله من الغرق

---

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٥/٢١٠.

(2) سورة يونس، الآية: ٧١.

(3) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ١٨٩/١٧.

(4) سورة يوبس، الآية: ٧٣.

{وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ} يخلفون الأمم السابقة في حمل الرسالة وإدارة شؤون الحياة، أو يحملون مسؤولية الحياة في ما أوكله الله للإنسان من خلافته في الأرض)[1].

ثانيًا- قوم ثمود:

بعد أن كانوا في رخاء وازدهار، امتحنهم الله تعالى بنعمه الكثيرة التي كان من مسؤوليتهم الحفاظ عليها ونشر العدل بين الناس، فأرسل إليهم نبيه صالح عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى **(وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)**[2]،ارتكب قوم ثمود جريمة قتل ناقة نبي الله صالح عليه السلام، ولم يؤمنوا برسالته، قال تعالى: **(فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)**[3]، فنحروا الناقة ... وتجاوزوا الحد في الفساد والمعصية[4]، ومع أن عاقر الناقة فرد واحد من أفراد المجتمع، ولكن عمَّ العذاب الجميع بسبب رضاهم بالفعل، وذلك يدل على أن مسؤولية المجتمع لا تقتصر على اعماله وسلوكه العام، بل تشمل المسؤولية حالة الموافقة القلبية والرضا النفسي عن فعل الغير، وقد أكدَّ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: (أيها الناس إنما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا، فقال سبحانه: (فعقروها فأصبحوا نادمين)، فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة)[5]، فحمّلهم الله مسؤولية ذلك

(1) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ٢٠٥/١٧.

(2) سورة هود، الآية: ٦١.

(3) سورة الأعراف، الآية: ٧٧.

(4) مجمع البيان، الطبرسي: ٢٩٢/٤.

(5) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠١.

فعاقبهم جميعًا[1]، فلم يترك لهم أثرًا[2]، قال تعالى: **(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)**[3].

وهكذا تتكرر المسألة كما ذكرنا مع المجتمعات الأخرى، في التخلي عن المسؤولية ونزول العذاب الدنيوي، كما حدث مع قوم لوط وشعيب وفرعون وأصحاب السبت وأصحاب الفيل وبني إسرائيل، وكذلك تجري السنن الإلهية فينا كما جرت في الأقوام السابقة **(وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا)**[4]، ولن تَجِدَ **(لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلا)**[5].

يظهر للباحث أن تخلى قوم نوح وثمود عن مسؤولياتهم الاجتماعية عندما رفضوا دعوة أنبيائهم واتبعوا أهواءهم، أدى إلى تفشي الظلم والفساد في مجتمعاتهم، إذ تجاهلوا حقوق الفقراء والمستضعفين، واستكبروا واخذتهم العزة بالإثم عن الاستجابة للنصح والإصلاح والاعتراف بفسادهم، مما جعلهم سببًا في دمار مجتمعاتهم وهلاكهم بعذاب من الله، وذلك يوضح أن التخلي عن المسؤولية الاجتماعية يؤدي إلى انهيار الأمم وزوالها.

---

(1) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ١٩/٢٧٠.

(2) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٠/٢٤٤.

(3) سورة الأعراف، الآية: ٧٨.

(4) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

(5) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

المطلب الثاني: أصحاب الرس وتجاهل المسؤولية الاجتماعية:

ذكر القرآن الكريم أصحاب الرَّسّ[1]، باعتبارهم من الاقوام التي رفضت دعوة الحق، وأهملوا العمل بمسؤولياتهم تجاه الإصلاح الاجتماعي، مما أدى إلى ضلالهم وهلاكهم، قال تعالى: ﴿**وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**﴾ [3].

وقد آل ابتعادهم عن المسؤولية إلى النتائج التالية:

أولًا- فساد أخلاقي واجتماعي: إذ ابتعادهم عن عبادة الله الواحد الأحد، نتج عنه كثرة الفساد في المجتمع، وذلك يخالف جوهر المسؤولية الاجتماعية واحد ضوابها الأساس، وهو الإيمان بالله تعالى، إذ يشكّل وحدانية الله تعالى، المُثل الأعلى للإنسانية، ويعبر عن جوهر العلاقة بين خالق الكون، الذي هو مصدر المسؤولية، وبين المخلوق المكلف بتحمل المسؤولية، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[4]، الظاهر أن المراد بها المسؤولية التي حملها الإنسان في ما يقوم به من اعمال[5]، والأمانة هي قبول المسؤولية[6]، وعلى هذا، فيكون العرض وارداً بنحو الاستعارة،

([1]) فالكثير من المفسرين يعتقدون أنهم طائفة كانت تقطن اليمامة، وكان عندهم نبي يدعى حنظلة فكذبوه، وقبل أنهم قوم شعيب، وقيب من بقايا قوم صالح، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشرازي: ١٩/١٧- ٢٠.

([2]) سورة الفرقان، الآية: ٣٨.

([3]) سورة ق، الآية: ١٢ – ١٤.

([4]) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

([5]) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ٥٠/١٤.

([6]) تفسير الأمثل، للسيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٣٧٠/١٣

بحيث تكون الفكرة أن المسؤولية التي يتحملها الإنسان، في ما يواجهه من النتائج أمام الله، هي من الثقل بحيث لو عرضها الله على هذه المخلوقات لرفضتها خوفاً منها، فنزل ذلك منزلة العرض الواقعي[1].

ثانيًا- هدم أسس المسؤولية الاجتماعية: المسؤولية الاجتماعية تفرض على المجتمع التمسك بقيم الخير والعدالة الاجتماعية، وإن نكران هذه القيم من قبلهم يؤدي إلى أن تكون عاقبة أمرهم نكرا ووبالا عليهم، فمنهم من ابتلي بالطوفان، ومنهم من أخذته الصاعقة، ومنهم من غرق بالنيل، ومنهم من خسفت به الأرض أو غير ذلك، وأخيرا فإنهم ذاقوا ثمرة تكذيبهم المرة!! فكن مطمئنا يا رسول الله أنه لو واصل هؤلاء تكذيبهم لك فلن يكونوا أحسن حالًا من السابقين[2].

يبدو أن من أكبر الجرائم التي ارتكبها أصحاب الرّسّ، هي قتلهم نبيهم، وذلك يعني أنهم قتلوا النموذج الأسمى والأرقى للمسؤولية الاجتماعية، إذ يُعد النبي الموجه العملي لسلوك المجتمعات، والقدوة الأبرز للاقتداء والسير على هداه، وذلك يعكس استهتارهم بكل قيم الخير والسلام والأمن الاجتماعي.

المطلب الثالث: بني إسرائيل والتخلي عن المسؤولية:

لقد خصّ الله بني إسرائيل في القرآن الكريم بنعمٍ كثيرة، الأمر الذي يتطلب منهم القيام بتحمّل مسؤولية هذه النعم، وشكرها لإدامتها على أقلّ تقدير، إلا أنهم عملوا عكس ذلك، وتخلوا عن أداء مسؤولياتهم، فكانت النتيجة هي الخسران الكبير، ويتضح ذلك عبر الإشارة إلى نعم الله عليهم، وكيفية التعامل معها من خلال النقاط التالية:

---

(1) من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: ١٤/٥٠.

(2) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٧/٢٠.

أولًا- نقض الميثاق:

بني إسرائيل كُلِّفوا بتحمل مسؤوليات اجتماعية كبرى، كإقامة العدل وتنفيذ شريعة الله، لكنهم كثيرًا ما أخلّوا بها: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً**﴾[1]، إذ كان موقفهم عصيان أوامر الله تعالى بعد أن أنقذهم من فرعون، ثم ذهبوا يعبدون العجل، قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ... وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**﴾ [2] ،كان إخلالهم بالمسؤولية سببًا لتفكك مجتمعهم وابتلائهم بالفرقة[3] ، (فإنا قد فتنا قومك) أي: امتحناهم، وشددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل، فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بإله[4]. كما قال سبحانه: ﴿**الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ**﴾[5].

ثانيًا- إنزال المنّ والسلوى: قال تعالى: ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[6]، لكن هؤلاء عادوا إلى الكفران ﴿**وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾، إذ الأمة التي تتحرر بعد عصر من الذل والاستضعاف والاستعباد، لا تستطيع أن تتخلى تماما عن حالتها النفسية والثقافية الموروثة عن عصر الطاغوت، ولابد من فترة برزخية تمر بها

---

(1) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(2) سورة الأعراف، الآية: ١٨.

(3) الأمر والنهي عن المنكر، عبد العزيز عبد الستار، ط١، ١٩٩٩م، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان: ٧٧.

(4) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٤٥/٧.

(5) سورة العنكبوت، الآية: ١-٣.

(6) سورة البقرة، الآية: ٥٧.

كي تكون قادرة على إقامة حكم الله في الأرض، وفق معايير إلهية بعيدة عن مؤثرات عصر الطاغوت، وسواء امتدت هذه الفترة البرزخية أربعين عاما كما حدث لبني إسرائيل، أو أقل أو أكثر، فهي فترة عقاب إلهي هدفها التزكية والإصلاح والبناء لأن مجازاة الله ليست لها جنبة انتقامية، ولابد أن يبقى بنو إسرائيل فترة أربعين عاما من التيه في الصحراء ليتربى جيل جديد حامل لصفات توحيدية ثورية، ومؤهل لإقامة الحكم الإلهي في الأرض المقدسة[1]، وقد أشار الله تعالى في ذيل الآية الكريمة إلى الظلم الذي وقع عليهم كان بسبب عملهم، فلذلك يعود لأنفسهم وليس لله تعالى.

ثالثًا- إعطاؤهم التوراة: قال تعالى: ﴿**وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[2]،الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابًا منزلًا وفرقانًا يفرق فيه بين الحقّ والباطل، يعني التوراة كقولك: رأيت الغيثَ واللّيث، تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة[3]، أي اعطينا موسى الكتاب وهو التوراة، والفرقان قيل هو التوراة أيضًا، وقيل انفراق البحر الذي أتاه، وقيل الفرقان بين الحلال والحرام، وقيل هو القرآن[4]، والفرقان ايضًا مصدر كالفرق لكنه أبلغ من الفرق، وذكر الراغب أنه على ما قيل اسم لا مصدر وتسمية التوراة الفرقان لكونها فارقة أو لكونها يفرق بها بين الحق والباطل في الاعتقاد والعمل[5]، وفي نفس الوقت الذي أعطى فيه كل هذا النعم إلى بني إسرائيل، كلّفهم بالمسؤولية الاجتماعية، عبر عدة أمور، وهي كما يأتي:

---

(1) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي: ٢٣٣/١.

(2) سورة البقرة، الآية: ٥٣.

(3) ظ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مطبعة العبيكان، الرياض – السعودية: ٢٨١/١.

(4) ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي (ت:٥٤٨هـ): ٢١٥/١.

(5) الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٩٦/١٤.

١- **الالتزام بالميثاق:** القى الله تبارك وتعالى عليهم مسؤولية الالتزام التام بشريعته التي أنزلها عليهم؛ لأجل تحقيق الخير والعدل للجميع، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[١]، أي عهدكم والعهد هو الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد و العدل[٢]، هاتان الآيتان تطرحان مسألة أخذ ميثاق بني إسرائيل بشأن العمل بالتوراة، ثم نقضهم للميثاق، لكنكم نقضتم الميثاق وجعلتموه وراء ظهوركم[٣]، قال تعالى موضحً هذه الحقيقة: ﴿**ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**﴾[٤]، أي ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به[٥]، وفي الحقيقة كانوا وما زالوا إلى الآن يتقضون العهود، ويخونون الأمانة، ويتقتلون النفس التي حرّم، وما جرائمهم في فلسطين ولبنان واليمن وغيرها من البلاد إلا خير شاهدًا ودليل.

٢- **عدم الظلم والفساد في الأرض:** كان مطلوب من بني إسرائيل، الإصلاح في الأرض، والابتعاد قدر الإمكان عن الظلم والفساد، قال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾[٦]، **أعلمناهم حقا لا شك فيه أن خلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء، ولتستكبرن ولتظلمن الناس ظلما عظيما**[٧] ،**فقد** انزل الله على نبيهم الكتاب وجعله لهم هدى يهتدون به وقضى إليهم فيه انهم سيعلون ويطغون ويفسقون فينتقم الله منهم باستيلاء عدوهم

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٣.

(٢) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢٤٥/١.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٥٨/١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٦٤.

(٥) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ١٠٧/٣.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٧) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢٢١/٦.

عليهم بالإذلال والقتل[1]، ما أصدق آيات الله تعالى، ونحن نراها تتجسد في واقعنا المعاصر، حيث التعالي الصهيوني على المستضعفين مصدق ذلك واضحًا هذه الأيام.

٣- حرمة قتل النفس وسفك الدماء بغير الحق: لقد طلب الله تعالى منهم التوقف عن قتل النفس البريئة، أن ذلك ظلمٌ كبير، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾[2]،الميثاق هو العهد، واذكروا إذ أخذنا ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى، والأنبياء الماضين عليهم السلام ... والنهي عن أن يقتل بعضهم بعضًا، وكان في قتل الرجل منهم قتل نفسه إذا كانت ملتهم واحدة، ودينهم واحد وكان أهل الدين الواحد في ولاية بعضهم بعضًا بمنزلة رجل واحد[3]، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إنما المؤمنون في تعاطفهم وتراحمهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى))[4]، ولكنهم فعلوا العكس، فقتلوا اقدس من في الأرض، وهم الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ**﴾ [5].

وكان نتيجة تخليهم عن مسؤوليتهم الاجتماعية، في إقامة العدل ومنع الظلم وغيرها أن عاقبهم الله تعالى بما يأتي:

---

(1) الميزان، السيد الطباطبائي: ٣٦/١٣.

(2) سورة البقرة، الآية: ٨٤.

(3) التبيان، الشيخ الطوسي: ٣٣٢/١.

(4) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٥٠/٥٨.

(5) سورة البقرة، الآية: ٦١.

أولًا- التيه في الصحراء: بسبب التمرد المستمر على أوامر الله تعالى، وعدم التزامهم بها، عاقبهم الله سبحانه، بالتيه أربعين سنة، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ**﴾ [1]، إن الأرض المقدسة أي دخولها وتملكها محرمة عليهم، أي قضينا أن لا يوفقوا لدخولها أربعين سنة يسيرون فيها في الأرض متحيرين لأهم مدنيون يستريحون إلى بلد من البلاد، ولا هم بدويون يعيشون عيشة القبائل والبدويين، فلا تحزن على القوم الفاسقين من نزول هذه النقمة عليهم لانهم فاسقون[2].

جاء في تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام: انه سئل عن قول: (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) قال: كتبها لهم ثم محاها ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب[3].

ثانيًا- اللعن والطرد من رحمة الله تعالى: قال تعالى: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ**﴾[4]، وكان ذلك بسبب اخلالهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم، من المحافظة على الأنبياء، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وشكر الله على نعمه المتواصلة.

ثالثًا- التشتت في الأرض: قال تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[5]، معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة، وجماعات شتى، يعني اليهود، عن ابن عباس ومجاهد، وإنما

([1]) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

([2]) الميزان، السيد الطباطبائي: ٥/٢٩٤-٢٩٥.

([3]) تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المشهور بـ العياشي (ت:٣٢٠هـ)،ط١، ١٤٩٥هـ، تحقيق: عبد الله صالحي، دار ذوي القربى، قم – إيران: ١/٣٠٤.

([4]) سورة البقرة، الآية: ٦١.

([5]) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

فرقهم بأن فرق دواعيهم حتى افترقوا في البلاد، وتفرقهم ذل لهم بمنزلة أخذ الجزية، لأنهم لا يتعاونون، ولا يتناصرون[1]، وحاولت الصهيونية أن تقيم لهم دولة من النيل إلى الفرات بالقرصنة والاغتيال ، وخيل إليها ان العدوان الإسرائيلي يحقق لها ما تريد ذاهلة ان إسرائيل تقوم على الألغام ، وان الأمر يحدث بعده الأمر ، وان مصائر الخلق بيد الله وحده لا بيد الصهيونية والاستعمار[2].

يتبين من خلال هذا المطلب، أن على المجتمعات التي تملك جزءًا من هذه النعم أن تتحمل مسؤولية شكرها وصيانتها والمحافظة على قيم العطاء الإلهي، وإلا كانت النتيجة واحدة مع فارق الزمن فقط.

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:٣٨٥/٤.

(2) تفسير الكاشف، الشيخ مغنية: ٤١٥/٤.

المبحث الثالث: أثر المسؤولية الاجتماعية في بناء المجتمع في القرآن الكريم:

المطلب الأول: دورها في تحقيق التماسك الاجتماعي:

حثّ الإسلام على إشاعة الفضيلة والآداب بين المسلمين وأمرهم بالتودّد بعضهم إلى بعض ؛ لأنّه يوجب التماسك الاجتماعي وشيوع المحبّة والألفة بينهم[1]، ولمعرفة ذلك لا بدَّ من الإشارة إلى نقاط رئيسة توضح هذا المطلب، وهي كما يأتي:

أولًا- التعاون على البر والتقوى: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[2]، قال الرازي: (أي لا تخلوا بشيء من شعائر الله وفرائضه التي حدها لعباده وأوجبها عليهم، وعلى هذا القول فشعائر الله عام في جميع تكاليفه غير مخصوص بشيء معين)[3]، وذكر الطبرسي[4] ، سبعة أقوال لشعائر الله تعالى، وهي: حرمات الله، حرم الله، مناسك الحج، هي الصفا والمروة والهدي، ما حرم الله عليكم في إحرامكم، العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم، أن المشركين كانوا يحجون البيت، ويهدون الهدايا، ويعظمون حرمة المشاعر، وينحرون في حجهم فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فنهاهم الله عن ذلك، ثم قال: وأقوى الأقوال هو القول الأول؛ لأنه يدخل فيه جميع الأقوال، وحمل الآية على ما هو الأعم أولى[5]، إن ما

---

(1) موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي:٥/٨٥.

(2) سورة المائدة، أية ٢.

(3) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ١١/١٢٨.

(4) ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣/٢٦١.

(5) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٣/٢٦١.

يحويه القرآن من سنن إلهية من قبيل سنَّة العطاء، والشهادة في سبيل الله والوحدة والتعاون على البر والتقوى، وسنَّة الاستقامة على الطريق، كل ذلك فيه التحريض على العودة إلى الأصول التاريخية والاجتماعية والإنسانية الصحيحة[1].

يبدو للباحث أن توسع معنى الآية يثري المعنى ويغني الحاجة المعاصرة، وكل ما ذكره الرازي والطبرسي ما هو إلا عبارة عن جزئيات مسائل المسؤولية الاجتماعية وفروعها، وقد أشار النص القرآني إلى أبرز معالمها وهو التعاون على البر والتقوى، لا التعاون على أساس المصلحة والمنفعة الشخصية، ولعل ابرز مصاديقها المعاصرة هو مؤسسة العين للرعاية الاجتماعية، وتقديمهم المساعدات وكفالة الايتام ورعايتهم، إذ إن ما قامت به يحتاج إلى جهود كبيرة قد لا توفرها المؤسسات الرسمية.

ثانيًا- رابطة الأخوة: وفي آية أخرى أشار إلى رابطة الأخوة الإيمانية وضرورة الإصلاح بينهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[2]، الّذين يوحدون الله تعالي و يعملون بطاعاته و يقرون بنبوة نبيه و يعملون بما جاء به (أخوة) يلزمهم نصرة بعضهم بعضًا **(فَأَصلِحُوا بَينَ أَخَوَيكُم)** يعني إذا رجعا جميعاً إلي الحق وما أمر الله به **(وَاتَّقُوا اللّه)** أي اجتنبوا معاصيه وافعلوا طاعته واتقوه في مخالفتكم[3]، وجاء في الروايات عن عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ((إن نفراً من المسلمين خرجوا إلى سفر لهم فضلوا الطريق، فأصابهم عطش شديد، فتكفنوا ولزموا أصول الشجر، فجاءهم شيخ وعليه ثياب بيض. فقال: قوموا فلا بأس عليكم فهذا الماء، فقاموا وشربوا وارتووا. فقالوا: من

---

(1) في رحاب القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام: ٣٠ - ٣١.

(2) سورة الحجرات، أية ١٠.

(3) التبيان، الشيخ الطوسي: ٣٤٦/٩.

أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا من الجن الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه واله) إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول: المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، فلم تكونوا تضيعوا بحضرتي))[1]، وورد أيضًا عن علي بن عقبة عن أبي عبد لله (عليه السلام) قال: ((المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه))[2]، للإسلام تعاليم وإرشادات لبناء المجتمع وإصلاحه ، منها وجوب حماية الإنسان في دمه وماله وعرضه ، وحريته في القول والفعل ، لا سلطان عليه لأحد ولا لشيء إلا الحق ، فإذا خرج عنه وانتهك حرمته بالاعتداء على الآخرين فقد رفع هو الحصانة عن نفسه[3]، وقوله: {فأصلحوا بين أخويكم} ولم يقل: فأصلحوا بين الأخوين من أوجز الكلام وألطفه حيث يفيد أن المتقاتلتين بينهما أخوة فمن الواجب أن يستقر بينهما الصلح وسائر المؤمنين إخوان للمتقاتلتين فيجب عليهم أن يسعوا في الإصلاح بينهما[4]، وما أحسنه من تعبير وكم هو بليغ إذ يعبّر القرآن عن جميع المؤمنين بأنّهم (أخوة) وأن يسمّي النزاع بينهم نزاعاً بين الأخوة! وأنّه ينبغي أن يبادر إلى إحلال الإصلاح والصفاء مكانه، وحيث أنّه في كثير من الأوقات تحل (الروابط) في أمثال هذه المسائل محل (الضوابط) فإنّ القرآن يضيف في نهاية هذه الآية مرّةً أُخرى قائلاً: {واتّقوا الله لعلّكم ترحمون}، وهكذا تتّضح إحدى أهم المسؤوليات الإجتماعية على المسلمين في ما بينهم في تحكيم العدالة الإجتماعية بجميع أبعادها[5].

---

(1) البحار، العلامة المجلسي: ٢٧٢/٧١. الكافي، الشيخ الكليني: ١٦٧/٢.

(2) البحار، العلامة المجلسي: ٢٦٨/٧١. الكافي، الشيخ الكليني: ١٦٦/٢. الوسائل، الحر العاملي: ٢٠٥/١٢.

(3) الكاشف، الشيخ مغنية: ١١٣/٧.

(4) الميزان، السيد الطباطبائي: ٢٥٦/١٨.

(5) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشبرازي: ١١١/١٣.

وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[1]، وهي دعوة إلى التكافل الأسري، وهؤلاء هم بشر وليسوا بآلهة لذلك لا يحوز عبادتهم ...بل يجب الإحسان إليهم فقط، وفرق كبير بين الإحسان والعبادة، إذ إن الإحسان هو العطاء من يدٍ عالية، والعبادة هي الخضوع لمن هو أعلى[2]

وقال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[3]، وهي دعوة إلى الوحدة ونبذ الفرقة والتشرذم، والاعتصام بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، أي حال كونكم مجتمعين على الاعتصام بحبل الله وما جعله الله سببا عاصما من سقوط الضلال ووباله، وقد دلنا رسول اللهﷺ على ما هو من مصاديق هذا السبب والحبل الذي لا يضل من تمسك به[4]، بقولهﷺ في حديث الثقلين ((ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا- كتاب الله وعترتي اهل بيتي))[5].

---

[1] سورة البقرة، أية ٨٣.

[2] من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله):١/٢٠٦.

[3] سورة آل عمران، أية ١٠٣.

[4] آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي(ت:١٣٥٢هـ):١/٣٢٢.

[5] الوسائل، الحر العاملي:٢٧/٣٤.

وقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1].

هذه الآيات تحتوي على برنامج متكامل للتعاون والتماسك الاجتماعي، وتبرز من خلالها أسمى قواعد المسؤولية الاجتماعية (فهي تطهرهم من الرذائل الأخلاقية، ومن حب الدنيا وعبادتها، ومن البخل وغيره من مساوئ الأخلاق، وتزرع مكانها خلال الحب والسخاء ورعاية حقوق الآخرين في نفوسهم، وفوق كل ذلك فإن المفاسد الاجتماعية والانحطاط الخلقي والاجتماعي المتولد من الفقر والتفاوت الطبقي والذي يؤدي إلى وجود طبقة محرومة، كل هذه الأمور ستقتلع بتطبيق هذه الفريضة الإلهية وأدائها، وهي التي تطهر المجتمع من التلوث الذي يعيشه ويحيط به، وكذلك سيفعل التكافل الاجتماعي، وينمو ويتطور الاقتصاد في ظل مثل هذه البرامج)[2].

وقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ قوله: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم))[3]، وقال ﷺ ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه))[4]، وقال أيضًا: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[5].

---

[1] سورة التوبة، أية ٧١.

[2] الأمثل، الشيخ ماصر مكارم الشيرازي: ٢٠١/٦.

(٣) ابوداود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، ضبط: محمد عبد العزيز، (بيروت، دار الكتب الإسلامية، ٢٠٠٥م)، ص٤٤٠.

[4] صحيح البخاري، البخاري (ت:٢٥٦هـ):٩٨/٣، سنن الترمذي، الترمذي (ت:٢٧٩هـ):٢١٨/٣، السنن الكبرى، النسائي (ت:٣٠٣ه):٤١/٢.

[5] م.ن، ص٩٦٧.

هذا المجتمع المتوادّ المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق، هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرةً في أرقى وأصفى صورة لا تشيع فيه الفاحشة، ولا يتبجّح فيه الإغراء، ولا تروّج فيه للفتنة، هذا المجتمع الذي يسمع التوجيهات الربانية الكثيرة... الذي يكفل لكل قادر عملًا ورزقًا، ولكل عاجز ضمانة للعيش الكريم، ولكل راغب في العفّة والحصانة زوجة صالحة، والذي يعد أهل كل حيّ مسؤولين مسؤولية جنائيّة لو مات فيهم جائع[1].

يرى الباحث أن ذلك يشير إلى عمق المسؤولية الاجتماعية في الإسلام، من خلال وضعه برنامجًا متكاملًا يهدف إلى بناء مجتمع متماسك ومتضامن، خالٍ من الفساد الأخلاقي والانحراف الاجتماعي، فهو يؤكد على أن تحقيق العدالة الاجتماعية والتكافل الاقتصادي ليس مجرد اختيار فردي، بل هو واجب ديني يطهر النفوس من الرذائل، ويزرع فيها معاني السخاء والمحبة ورعاية حقوق الآخرين، كما أن الإسلام يحمل كل فرد في المجتمع مسؤولية جماعية تجاه الآخرين، بحيث لا يُترك أحد فريسة للجوع أو الحرمان، مما يعزز مفهوم العدالة الاجتماعية والاستقرار العام، ومن هنا، فإن الالتزام بهذه المبادئ يُعد تطبيقًا عمليًا للمسؤولية الاجتماعية في أرقى صورها، إذ يصبح كل فرد جزءًا من نسيج مجتمعي متكامل يضمن العيش الكريم للجميع، والذي يكفل تطبيق كل ذلك هو القانون العادل.

المطلب الثاني: دورها المسؤولية الاجتماعية في تقليل الفوارق المجتمعية:

تُعد الفوارق الاجتماعية من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات الحديثة، حيث تؤدي إلى تفاوت في الفرص والموارد بين الأفراد والفئات. وفي هذا السياق، تبرز المسؤولية الاجتماعية كأداة فعالة تسهم في تعزيز العدالة الاجتماعية وتقليل هذه

(1) التفسير الأثري الجامع، الشيخ محمد عادي معرفة (ت:١٤٢٧هـ)، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، مؤسسة التمهيد، المطبعة: ستاره، قم - إيران: ٢٧١-٢٧٢.

الفوارق، من خلال توجيهات القرآن، وارشادات السنَّة المطهَّرة، ولم يلغِ الدين الفوارق الشخصية والقدرات سواء العقلية أو البدنية على اعتبار أن الملكات لدى البشر بنسب متفاوتة والقدرات مختلفة، وأهم نقاط المعالجة التي ركز عليها الإسلام هي:

أولًا- الاهتمام بالأيتام:

يُعد الاهتمام بالأيتام ورعاية حقوقهم المالية والاجتماعية وغيرها مسؤولية الجميع، وقد خاطب النص القرآني المجتمع من خلال آياته التي جاءت بلفظ الجمع بالقيام بحقوق اليتيم، مما يدلُّ على المسؤولية الجماعية في الإسلام، فالمجتمع كله مسؤول عن حقوق اليتامى والضعفاء[1].

الخطاب القرآني تضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي أشارت إلى اليتيم وضرورة الاهتمام به، وحفظ أمواله، والإحسان إليه، فأوصى الله تعالى بمن له مال منهم، وحرم الاعتداء عليه، وحرم أكل ماله من غير وجه حق، وأوجب دفع أمواله إليه إذا رشد، وأما من لا مال له منهم فقد أوصى به خيرًا على العموم، وبين أنه أحق من ينفق عليه، وجعل له نصيبا مفروضًا في أموال المسلمين، ومدح المحسنين اليهم[2]، قال تعالى: **﴿آتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾**[3]، ورد عن ((علي بن إبراهيم، يعني: لا تأكلوا مال اليتيم ظلما فتسرفوا، وتبدلوا الخبيث بالطيب، والطيب))[4].

وأولى رسول الله(ص) اليتيم عناية فائقة، وابرز أجر كافل اليتيم ومكانته كما أنه شدد على حرمة أكل مال اليتيم، قول رسول اللهﷺ: ((أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة

(1) ظ: آداب معاملة اليتيم، محمد مجاهد طبل، ومحمد بن إبراهيم: ١٥.

(2) التأمين الاجتماعي، آل محمود:١٧٠.

(3) سورة النساء، الآية:٢.

(4) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني:١٦/٢.

إذا اتقى الله عز وجل – وأشار بالسبابة والوسطى))[١]، وورد عنه ﷺ: ((من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر))[٢].

وعلى هدي رسول الله ﷺ سار الإمام علي عليه السلام، فكان اليتيم حاضرًا في فكره، ولم يفارق مخيلته، لذلك كان لليتيم في عهد علي عليه السلام مكانه اللائق من الاهتمام، فيوصي به عامله بقوله: ((وتعهد أهل اليتم، وذي الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية، فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعد الله لهم))[٣].

ثانيًا– الاهتمام بالفقراء: رعاية الفقراء مسؤولية مجتمعية أصيلة، يقوم بها الأفراد والمؤسسات على حد سواء، وهي مظهر من مظاهر التكافل والرحمة التي دعا إليها الإسلام. فبها تُصان كرامة الإنسان، وتتحقق العدالة الاجتماعية، ويزدهر المجتمع بأكمله .الفقراء لا يُؤثر فقط على المحتاجين، بل يهدد استقرار المجتمع وتماسكه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه محمد : يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه ، فإن الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت[٤].

قال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ**﴾[٥]، معناه النفقة المذكورة في هذه الآية وما قبلها

(١) ميزان الحكمة، الريشهري:٤/٨٨٩.

(٢) م، ن: ٤/٨٨٩.

(٣) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤٣٠.

(٤) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي:٨/٢٧٧.

(٥) سورة البقرة/ الآية:٢٧٣.

للفقراء الذين حبسوا ومنعوا في طاعة الله أي منعوا أنفسهم من التصرف في التجارة للمعاش إما لخوف العدو من الكفار وإما للمرض والفقر وإما للإقبال على العبادة وقوله **{في سبيل الله}** يدل على أنهم حبسوا أنفسهم عن التقلب لاشتغالهم بالعبادة والطاعة[1].

وقد ركز الإسلام على الانفاق كنوع من أنواع المسؤولية الواجبة على المؤمنين، قال تعالى: **﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾**[2]، وأنفقوا في طاعة الله والوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها[3]، حث سبحانه على الإنفاق ورغَّب فيه بشتى الأساليب ، وهدد من بخل وأمسك بأشد العذاب، ومن أساليب القرآن في الحث على الإنفاق في سبيل الله هذه الآية التي ساوت بين الأمر بالإيمان بالله ورسوله وبين الأمر بالإنفاق، وتومئ هذه المساواة إلى ان من يبخل ويمسك فهو كافر عمليا بالله ورسوله وان آمن بهما نظرياً، وأيضا تشير الآية إلى أن الأغنياء لا ينفقون من ملكهم وأموالهم، وانما ينفقون مما هم وكلاء فيه[4].

إنَّ إشباع عائلة وكسوتها وحفظ كرامتها من ذل السؤال أفضل عند الله من سبعين حجة مستحبة، وقد وسع الإسلام دائرة الصدقة والإحسان[5]، حتى شملت الإحسان إلى الحيوان فقد قال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الله تبارك وتعالى

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢/٢٠٠.
(2) سورة الحديد، الآية:٧.
(3) ظ: مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٩/٣٨٥.
(4) ظ: الكاشف، الشيخ مغنية: ٧/٢٤١.
(5) ظ: مقدمة أصول الدين، الشيخ وحيد الخراساني:٥٤٣.

يحب إبراد الكبد الحرى، ومن سقى كبدا حرى من بهيمة وغيرها، أظله الله يوم لا ظل إلا ظله)[1].

المطلب الثالث: دورها في الحفاظ على القيم:

في ظل التحديات الفكرية والسلوكية المعاصرة، تبرز المسؤولية الاجتماعية كعامل أساسي في حماية المنظومة القيمية كقيمة الإيمان والعفاف، ومواجهة مظاهر الانحراف عن الفطرة والمبادئ الأخلاقية، وقد تعرّض واقعنا الاجتماعي لموجة من الانحرافات الفكرية، خاصة بعد زعزعة إيمان كثير من الناس، وعلى وجه الخصوص فئة الشباب. وانطلاقًا من ذلك، سأقوم بتعريف القيم وبيان أهميتها، ثم أُقدّم عرضًا لتلك الانحرافات وفق التسلسل الزمني لظهورها، وذلك كما يأتي:

أولًا- تعريف القيم: هي عبارة عن (كيان رصين هرمي الشكل في قمته يتجلى نور التوحيد، ومن ثم أسماء الله الحسنى، وبعدها يأتي دور الإيمان كصلة بين الحق والخلق)[2]، هذا الكيان يشكل قناعة الإنسان بأهداف مقدسة تعطيه معايير للحكم على الأشياء والأفعال بالحسن والقبح أو بالأمر والنهي[3].

ثانيًا- أهمية القيم: تُعد القيم من المفاهيم الأساسية في ميادين الحياة جميعًا، وهي واحدة من الأسس التي يبني عليها جيل الشباب الرسالي، وهي تمس العلاقات

(1) الكافي، الشيخ الكليني:٤/٥٨.

(2) التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله):ط١، ١٤١١هـ، الناشر: انتشارات المدرسي، قم – إيران:٢/٢٤٦.

(3) التشريع الإسلامي بين التفكير القيمي والتفكير المقاصيدي، الشيخ معتصم السيد أحمد، ط١، ١٤٣٨هـ، الناشر: مركز الفكر الرسالي للأبحاث والدراسات:٦٢.

الإنسانية، ولا يمكن أن تفرضها على الافراد، وانما تكتسب من خلال تأثير المنزل والمدرسة والشعائر الحسينية[1].

لذا فأن المجتمعات بحاجة إلى منظومة قيم تستند عليها عندما تقوم بالتفاعل الإيجابي مع بعضها البعض ... إذ أن قبولهم لها يؤدي إلى وحدة بناء وتماسك المجتمع، ورفضها سيؤدي إلى تفككه وانحلاله[2]، إن القيم الاجتماعية كانت هي القيم الدينية بالذات، فإذا ما شذَّ فرد عنها، وخرج عليها كان تمامًا كمن يخرج على النظام السليم والوضع القويم[3].

يتضح مما سبق أن أي مخالفة للحالة السائدة في المجتمع الإسلامي، يعد مخالفة للقيم الدينية على اعتبار وحدة المفاهيم القيمية، فإذا خالف أحد العدالة الاجتماعية، وعمل خلاف القسط، ونبذ مفهوم الأخوة، وخالف العهد، كان مخالفًا لقيم السماء، أو إذا سار عكس القيم الاجتماعية الفطرية، ورفض سنن الحياة الطبيعية كان مخالفًا أيضًا، وعليه نستطيع تثبيت أن مخالفة سنن الله تعالى في الحياة البشرية، يعد معول هدم للمجتمع والحضارة، ومن خلال ذلك نتمكن من اعتبار هذه المخالفة للحالة الطبيعية معيار انحراف المجتمع من عدمه، وحالات مخالفة القيم في المجتمع المعاصر تتمثل فيما يأتي:

١- **الالحاد:** الالحاد في اللغةِ بمعنى: الميل والانحراف عن الوسط، والملحد هو المائل المنحرف عن حد الاعتدال، ولحد القبر هو الشق الذي يكون في جانب من

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، عبد الجواد السبد بكر، ط١/ ١٩٨٣م، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر: ٨١.

(٢) علم النفس التربوي، عبد الحميد نشواني، ط١، ١٩٨٤م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن: ٩٥.

(٣) الكاشف، الشيخ مغنية: ٧/١.

حفرة القبر يوضع فيه الميت[1]، وفي الاصطلاح هو: الإلحاد في الدين هو المعاندة بالعدول عنه، والترك له[2]. وهو بهذا المعنى يشمل من لا يؤمن بوجود الله خالق للكون.

وقد ورد الالحاد في القرآن ومعالجته، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[3]، وهم الذين يميلون من الإيمان ب آياتنا {لا يخفون علينا} بأشخاصهم وأقوالهم وأفعالهم[4]، والمقصود من الإلحاد في آيات الله هو إيجاد الوساوس والتمويه في أدلة التوحيد والمعاد التي ذكرتها الآيات السابقة بعنوان ومن آياته، أو جميع الآيات الإلهية، إن المذاهب المادية والإلحادية في عالمنا اليوم التي تعتبر الدين وليد الجهل أو الخوف أو نتاج العامل الاقتصادي والأمور الأخرى لإضلال الناس، هي بلا شك من مصاديق الخطاب في هذه الآية الكريمة[5]،

إذا أردنا ان نقيسه وفق المعيار الذي تكلمنا حوله، وهو معيار القيم، لنلاحظ هل يعتبر الالحاد حالة طبيعية أو مخالفة للقيم؟

إن القيمة العليا بين مجموع القيم هي الإيمان بالله تعالى، وهي القيمة الناظمة لكل القيم الفرعية الأخرى، ومنها تنبثق جميع القيم، ولذلك اتفق جميع الأنبياء في الدعوة لهذه القيمة العليا الناظمة[6]، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا**

(1) لسان العرب، ابن منظور:٣/٣٨٨.

(2) جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط١، ١٣٢٣هـ، المطبعة: المطلعة الكبرى الأميرية، القاهرة – مصر:١٥/١٥٨.

(3) سورة فصلت، الآية:٤٠.

(4) الكاشف، الشيخ مغنية:

(5) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٥/٤٢١.

(6) التدبر الموضوعي في القرآن الكريم، الشيخ علي آل موسى:٥٤٩.

نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1]، وقوله تعالى: **﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾**[2].

توضح هذه الآيات بما لا يقبل الشك، أن الحالة الطبيعية للإنسان هي الإيمان بالله الواحد القهار، ولكن بما أن هذه المجتمعات خالفت القيم فكان ذلك سببًا في هلاكها، قال تعالى: **﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾**[3]، كل أمة من هؤلاء الأمم فقد كذبت نبيها[4]، **تحدّثت الآيات السابقة عن الأقوام الظالمة التي عاقبها الله على ما إقترفت أيديهم فدمّر أحياءهم**[5].

يبدو للباحث أن هذه الأقوام وقع عليها العذاب نتيجة مخالفتها للسنن الإلهية، وهي مخالفة القيم الإسلامية، إذ إنّ الحالة الطبيعية لبني البشر هي الإيمان بالله تعالى، فقد خالفت هذه المجتمعات القيمة العليا الناظمة لجميع القيم الفرعية كالعدل والإحسان والتسامح وغيرها، فوقع عليها عذاب الله تعالى.

ومن هنا تجدر الإشارة أن المجتمع العراقي قد تعرض لموجة الالحاد هذه قبل مدة ليست بالبعيدة، فتحمل المجتمع آنذاك مسؤوليته ورفض كل دعاوي الالحاد ليحافظ على قيمه الاجتماعية الأصيلة، والتي أهمها فيمة التوحيد ونبذ الشرك.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية:٢٥.

(2) سورة الفرقان، الآية: ٣٧.

(3) سورة ص، الآية:١٢-١٥.

(4) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي:١٥٨/٧.

(5) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:٤٢١/٨.

٢- **المثليـــة:** هـي الانجـذاب العـاطفي والنفسـي والجنسـي لـنفس النـوع[١]، مـن المؤسـف ثمانيـة عشـر بلـدًا، معظمهـا يقـع فـي الامـريكيتين وأوروبـا الغربيـة، اعترفـت بـزواج المثليـين[٢]، وذلـك يعـد مخالفـة صـارخة لكـل القـيم والمبـادئ التـي وضـعها الله تبـارك وتعـالى لمسـألة الـزواج وتنظـيم أمـر الأسـرة، لقـد تحـدث الـرئيس الأمريكـي الأسـبق (جـون كنيـدي) فـي سـنة ١٩٦٢م عـن مسـتقبل بـلاده، وأثـر الانحـلال الأخلاقـي لـديهم، فقـال: (إنَّ لإمريكـا مسـتقبلًا مؤلمًـا؛ إذ الشـباب انحلاليـون وغـارقون فـي الشـهوات، وغيـر مسـتعدين لأن يقومـوا بمـا يحـوَّل علـيهم مـن تكـاليف، فمـثلًا، مـن كـل سـبعة مـن الشـباب يـدخلون فـي الجنديـة يخـرج سـتة مـنهم ضـعفاء غيـر لائقـين؛ ذلـك لإن افـراطهم فـي شهواتهم قد استنفد منهم استعداداتهم النفسية والجسدية)[٣].

وكانـت المثليـة هـي الإنحرافـة الثانيـة التـي بعـد موجـة الالحـاد، التـي حـاول الـبعض التـرويج لهـا فـي مجتمعنـا العراقـي، حتـى اخـذوا يرمـزون لهـا مـن خـلال علـم معـين فيـه الـوان محـددة سـلفًا، ولكـن الـوعي الاجتمـاعي الـديني فـي مجتمعنـا حملهـم مسـؤولية رفـض الأفكـار الدخيلـة المخالفـة للقـيم والمبـادئ الحقـة، وكمـا ذكرنـا مخالفـة للمعيـار الطبيعـي للحياة الاجتماعية.

وقـد ذكـر الله تعـالى هـذه الحالـة فـي كتابـه العزيـز، وكانـت هـي سـبب دمـار المجتمـع آنـذاك، قـال تعـالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً**

---

(١) المثليّة الجنسية الشاذة، جمعية إحساء التراث الإسلامي:٢.

(٢) م، ن: ٥.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، السيد مجتبى الموسوي، تعريب: محمد هادي اليوسفي:٤٧.

لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]، ولتعديهم سبيل الفطرة والخلقة إلى غيره عدهم متجاوزين مسرفين[2] فقال: ﴿ **بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾، فهذه المعصية مضافا إلى كونها عملا قبيحا جدّا لم يفعلها أحد قبلكم من الأقوام وبذلك يكون قبح هذا العمل الشنيع مضاعفا، لأنّه أصبح أساسا لسنّة سيئة ، وسببا لوقوع الآخرين في المعصية عاجلا أو آجلا وأي انحراف أسوأ وأقبح من أن يترك الإنسان وسيلة توليد النسل وإنجاب الأولاد ، وهو مقاربة الرجل للمرأة ، والذي أودعه الله في كيان كل إنسان بصورة غريزية طبيعية، ويفعل بالتالي ما يخالف أساسا الفطرة، والتركيب الطبيعي للجسم والروح الإنسانيين، والغريزة السوية الصحيحة ، وتكون نتيجة عقم الهدف المتوخى من المقاربة الجنسية[3]، وما أحوج البشرية اليوم للاعتبار بمصير قوم لوط وهي تنزلق في وحل الرذيلة والفحشاء، وتراها استمرأت المجون و استباحت الزنا وانتشر فيها الشذوذ الجنسي وبدأ يكتسب وضعا قانونيا في بلاد عديدة، وبالرغم من تحذير الحكماء، وإنذار الرب بانتشار الأوبئة المهلكة فإنهم لا يزالون يهبطون نحو الهاوية، حيث غضب الله الذي لا يقدرون على رده أنجانا الله منه[4].

يظهر للباحث أن هذا الفعل مخالف للحالة الطبية لبني البشر، وإنحرافة كبيرة في تاريخ البشرية، ومخالفة واضحة لسنة الله تعالى، لذلك تحمل المجتمع مسؤولية، وحاول الحفاظ على قيمه وعاداته وتقاليده الاصيلة، رافضين كل ألوان المثلية واشكالهم المنحرفة.

---

(1) سورة العنكبوت، الآية:٢٨-٢٩-٣٤-٣٥.

(2) الميزان، السيد الطباطبائي:١٨٨/٨.

(3) الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:٤٢٠/٤.

(4) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي:٦،٤٢٢.

النتائج والتوصيات...

النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج :

١- المسؤولية الاجتماعية مفهوم قرآني شامل تتجاوز المسؤولية الفردية لتشمل الأسرة، المجتمع، والدولة، تقوم على العدل، التكافل، والإحسان، وترتبط بالإيمان والعمل الصالح.

٢- المسؤولية الاجتماعية شرط أساسي لبناء مجتمع قوي ومستقر، ولتحقيق التماسك الاجتماعي، وتقليل الفوارق الاجتماعية، ومساهمتها في تحقيق الأمن والاستقرار.

٣- تطبيقها يؤدي إلى نهضة اقتصادية وعدالة اجتماعية.

٤- المسؤولية في القرآن ليست اختيارية بل تكليف شرعي، تستند إلى أوامر واضحة مثل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٢).

٥- الفرد مطالب بالمشاركة في إصلاح المجتمع عبر الالتزام بالقيم القرآنية.

غياب المسؤولية الاجتماعية يؤدي إلى انهيار المجتمعات، وانتشار الظلم والفساد والاستغلال الاقتصادي من أسباب تدهور المجتمعات في ضوء القرآن.

٦- التاريخ يثبت أن المجتمعات التي أهملت المسؤولية الاجتماعية تعرضت للعقوبات الإلهية.

ثانيًا: التوصيات:

١- إدماج قيم المسؤولية الاجتماعية في المناهج الدراسية لتعزيز وعي الأجيال بأهميتها.

٢- تعزيز دور المؤسسات الخيرية والوقف لتقديم حلول مستدامة للفقر والبطالة.

٣- إصلاح الأنظمة الاقتصادية وفق التعاليم القرآنية لتحقيق عدالة في توزيع الثروات.

٤- نشر ثقافة العمل التطوعي والمبادرات الاجتماعية كجزء من المسؤولية الجماعية.

٥- تفعيل دور العلماء والمفكرين في توعية المجتمع حول أهمية الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية.

هذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث، وهي توفر إطارًا واضحًا لفهم دور المسؤولية الاجتماعية في بناء المجتمع وفق المنظور القرآني.

المصادر والمراجع...

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١.أبعاد استراتيجية المسؤولية الاجتماعية الشاملة في الأداء الاستراتيجي لتحقيق الميزة التنافسية المستدامة، عبد الرضا ناصر محسن المالك، ط١، ٢٠٠٩م، بغداد – العراق.

٢.احترام الحقوق في الإسلام، الشيخ مرتضى مطهري (ت:١٣٩٩هـ)، ط١، ١٩٩٨م، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة الثقلين الثقافية، بلا مطبعة، بيروت – لبنان.

٣.الأخلاق عند كنت، عبد الرحمن بدوي (ت:١٤٢٣هـ)، ط١، ١٩٧٩م، الناشر: وكالة المطبوعات في الكويت.

٤.الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، أسعد السحمراني، ط١، ٢٠٠٧م، الناشر: دار النفائس، بيروت – لبنان.

٥.الأخلاق والحضارة، علي حسن الياسري، ط١، ١٤٤٥هـ، المطلعة: نگارش، الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم – إيران.

٦.الأخلاق، السيد عبدالله شبّر (ت:١٢٤٢ه)، ط١، ١٤٢٧ه، تدقيق: جواد شبر، الناشر: ذوي القربى، المطبعة: صدر، قم – إيران.

٧.آداب معاملة اليتيم، محمد مجاهد طبل، ومحمد بن إبراهيم، ط١، ١٤١٢ه، دار الصحابة للتراث، طنطا – مصر.

٨.الأربعون حديث، السيد الخميني (ت: ١٤٠٩هـ)، ط٢، ١٤٢٤هـ، تعريب: السيد محمد الغروي، الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر اراث الإمام الخميني، قسم الشؤون الدولية، طهران – إيران.

٩.الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد بن نعمان المفيد (ت:٤١٣هـ)، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم – إيران.

١٠. الأسرة ونظامها في الإسلام، حسين أنصاريان، ط١، ١٤١٩هـ، الناشر: دار الرسول الأكرم، بيروت – لبنان.

١١. الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، أبو بكر إبراهيم التلوع، ط١، ١٩٩٥م، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي– ليبيا.

١٢. الإسلام والحضارة الغربية، السيد مجتبى الموسوي، ط١، ١٩٩١م، تعريب: محمد هادي اليوسفي، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، قم – إيران.

١٣. الإسلام وقضايا الزواج، علي القائمي، ط١، ١٤١٤هـ، دار النبلاء، بيروت – لبنان.

١٤. إعادة التفكير في المسؤولية الاجتماعية، إداورد فريمان (ت:١٨٩٢م)، ط٢، ٢٠١٠م، بلا ترجمة، مطبعة جامعة كامبريدج، الولايات المتحدة الأمريكية.

١٥. الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، محمد عمارة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة – مصر.

١٦. آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي النجفي(ت:١٣٥٢هـ)، ط١، ١٣٥١ه، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – لبنان.

١٧. الإلهيات على هدي القرآن والسنّة والعقل، الشيخ جعفر السبحاني، ط١، ١٩٨٩م، نشر وتحقيق: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم – إيران.

١٨. الأمالي، الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ)، ط١، الناشر: مؤسسة البعثة، قم – إيران.

١٩. الآمالي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، ط١، ١٤١٤هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، قم – إيران.

٢٠. الإمامة وقيادة المجتمع، السيد كاظم الحسيني الحائري، ط٢، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، الناشر: دار البشير، المطبعة: ظهور، قم – إيران.

٢١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

٢٢. الأمر والنهي عن المنكر، عبد العزيز عبد الستار، ط١، ١٩٩٩م، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان.

٢٣. الإنسان وآفاق المسؤولية، السيد محمد تقي المدرسي، ط٢، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م، الناشر: مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت–لبنان.

٢٤. أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني، عبد العزيز خواجه، ط١، ٢٠٠٧م، تقديم: محمد بن موسى بابا عمي، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق – سوريا.

٢٥. آيات الأحكام من تفسير التبيان للشيخ الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، ط٢، ١٤٣٨هـ، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، قم – إيران.

٢٦. أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة، السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله، ط٢، ١٤٣٤هـ، المركز العالمي التخصصي بتراث الشهيد الصدر، دار الصدر، قم – إيران.

٢٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)ط١، ١٤١٤هـ، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان.

٢٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت:١١١١هـ)، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، النشر: مطبعة الوفاء، بيروت – لبنان.

٢٩. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي العاملي (ت: ١١١١هـ)، ط١، ١٩٨٣م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٣٠. بداية الحكمة منهجية حديثة في علم الكلام، حسن مكي العاملي (ت:١٣٢٤هـ)، ط١، ١٩٩٢م، دار المغرب، البتاوين – بغداد.

٣١. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (ت:١١٠٧هـ)،ط١، ٢٠٠٦م، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان.

٣٢. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني: ١٠٣/٢.

٣٣. بصائر الدرجات الكبرى، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت:٢٩٠هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ، تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم، المطبعة: شريعت، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية، قم – إيران.

٣٤. البنى الأساسية في علم الأخلاق، محمد الجبر، ط١، ١٩٩٤م، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٣٥. البيان الميسر في شرح الباب الحادي عشر، خالد محمد جعفر، ط١، بلا سنة طبع، دار الوارث للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة – العراق.

٣٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المشهور بـ مرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، ط١، ١٤١٥، تحقيق: وزارة الإرشاد والأنباء – الكويت، دار الهداية، الكويت.

٣٧. تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:٣٩٣هـ)، ط٤، ١٩٩٠م، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.

٣٨. تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ط١، ١٩٥٩م، دار المعارف، القاهرة – مصر.

٣٩. تاريخ روما القديمة، تيتوس ليفيوس، ط٢، ١٩٨٧م، ترجمة: محمد صقر، دار الهلال، القاهرة – مصر.

٤٠. التأملات، ماكوس أوريليوس، ط١، ٢٠١٦م، ترجمة: عبد الله عويضة، الناشر: المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر.

٤١. التأمين الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية، عبد الطيف محمود آل محمود، ط١، ١٤١٥هـ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٤٢. تبعية الأخلاق للدين، مجلة الاجتهاد والتجديد، أبو القاسم فنائي، ط١، ١٤٣٨هـ، ترجمة: حسن علي مطر، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، الناشر: مركز البحوث المعاصرة في بيروت، بيروت – لبنان.

٤٣. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠هـ)، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٨٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

٤٤. التجديد الكلامي عند الشهيد الصدر، حبيب فياض، ط١، ٢٠٠٦م، الناشر: معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، بيروت – لبنان.

٤٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٣هـ)، ط١، ١٩٨٤م، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس.

٤٦. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، ط١، ١٣٩٣هـ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران – إيران.

٤٧. التربية الأخلاقية والإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، مقداد يالجن، ط١، ١٩٧٧م، دار عالم الكتب، الرياض – السعودية.

٤٨. التسويق والمسؤولية الاجتماعية، ثامر البكري، ط١، ٢٠٠١م، جرا وائل للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن.

٤٩. التشريع الإسلامي بين التفكير القيمي والتفكير المقاصيدي، الشيخ معتصم السيد أحمد، ط١، ١٤٣٨هـ، الناشر: مركز الفكر الرسالي للأبحاث والدراسات.

٥٠. التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله):ط١، ١٤١١هـ، الناشر: انتشارات المدرسي، قم – إيران.

٥١. التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

٥٢. تشريعات بلاد الرافدين من سومر إلى بابل، فرانسيس جوستين، ط١، ١٩٩٥م، دار التنوير، القاهرة – مصر.

٥٣. التعريفات، علي بن محمد الشريف الحسيني الجرجاني، ط١، ١٩٨٥م، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت – لبنان.

٥٤. التفسير الأثري الجامع، الشيخ محمد عادي معرفة (ت:١٤٢٧هـ)، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، مؤسسة التمهيد، المطبعة: ستاره، قم – إيران.

٥٥. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ)، ط١، ١٩٨٢م، دار المرتضى للنشر، قم – إيران.

٥٦. تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المشهور بـ العياشي (ت:٣٢٠هـ)،ط١، ١٤٩٥هـ، تحقيق: عبد الله صالحي، دار ذوي القربى، قم – إيران.

٥٧. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت:٣٠٧هـ)، ط١، ١٣٨٧هـ، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، النجف – العراق: ٢٢/٢.

٥٨. التفسير الكاشف، الشيخ محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، ط٤، ٢٠٠٧م، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، قم – إيران.

٥٩. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا (ت:١٣٥٤هـ)، ط١، ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، دار النوادر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٦٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي (ت:١٤٣٧هـ)، ط١٠، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، دار الفكر، دمشق – سوريا.

٦١. تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت: ١١١٢هـ)، ط٤، ١٤١٢هـ، المطبعة: مؤسسة اسماعيليان، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، قم – إيران.

٦٢. التقوى في القرآن، السيد كمال الحيدري، ط٤، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م، مطبعة: ستارة، الناشر: دار فراقد، مشهد – إيران.

٦٣. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد الرازي مسكويه (ـ٤٢١هـ)، ط٢، ٢٠٠٥م، تقديم: حسن تميم، الناشر: انتشارات مهدوي، طهران – إيران.

٦٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الازهري (ت:٣٧٠هـ)، ط١، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: دار إحياء التراث العربي، المطبعة: مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٦٥. التوحيد، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ)، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم – إيران.

٦٦. جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، السيد حسين الطباطبائي البروجردي (ت:١٣٨٠هـ)، ط١، ٢٠٠٦م، مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان.

٦٧. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط١، ١٣٢٣هـ، المطبعة: المطلعة الكبرى الأميرية، القاهرة – مصر.

٦٨. جامع السعادات: ٢٢/١.

٦٩. الجامع لإحكام القرآن، أبو عبدالله محمد ين أحمد الأنصاري القرطبي (ت:٦٧١هـ)، ط٢، ١٣٨٤هـ، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر.

٧٠. الجمهورية، افلاطون (ت:٣٤٧ق م)، ط٣، ١٩٨٧م، ترجمة: فؤاد زكريا، الناشر: دار المعارف، القاهر – مصر.

٧١. الجهد الأصولي عند العلّامة الحلّي، الدكتور بلاسم عزيز شبيب، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف – العراق.

٧٢. حدود الشريعة، الشيخ محمد آصف المحسني (ت:١٤٤٠هـ)، ط١، ١٤٣٩هـ، الناشر: مركز الطبع والإعلام الإسلامي، قم – إيران.

٧٣. الحرية قراءة في مرتكزاتها الإسلامية، مجموعة مؤلفين (الشيخ أمين ترمس العاملي)، ط١، ٢٠١٠م، إعداد: منتدى الفكر اللبناني، بيروت – لبنان.

٧٤. الحضارة المصرية القديمة: الجوانب الاجتماعية والسياسية، جيمس هنري بريستد، ط١، ١٩٧٤م، دار المعارف، القاهرة – مصر.

٧٥. الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية، الشيخ فاضل الصفار، ط١، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م، دار المحجة البيضاء، بيروت – لبنان.

٧٦. حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله عبد المحسن التركي، ط١، ١٤١٩هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض – السعودية.

٧٧. الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين، السيد محسن الأمين العاملي (ت:١٣٧١هـ)، ط١، ١٩٩١م، الناشر: مؤسسة أهل البيت عليم السلام، بيروت – لبنان.

٧٨. الدر المنتظم في السر الأعظم، الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت:٦٥٢هـ)، ط١، ١٤٥٢هـ، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، دار الهادي، بيروت – لبنان.

٧٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١هـ)، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، تحقيق: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة – مصر.

٨٠. دروس أصولية شرح كتاب الحلقة الأولى للسيد الصدر، الشيخ علي العبود، ط١، ١٤٣٤هـ، تحرير: عبدالله معرفي، قم – إيران.

٨١. دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام، الشيخ باقر شريف القرشي، ط١، ١٢٣هـ، ، المطبعة: برهان، الناشر: دار الفقه للطباعة والنشر، قم – إيران.

٨٢. دروس في الشيعة والتشيع، علي الرباني الكَلبايگاني، ط١، ١٤٢٦هـ، تعريب: أنور الصافي، المناشر: منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، المطبعة: صدف، قم – إيران.

٨٣. دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي مصباح اليزدي (ت: ١٤٤٢هـ)، ط٨، ٢٠٠٨م، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بيروت لبنان.

٨٤. دروس في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت:٩٦٥هـ)، ط١، ١٩٩٢م، بيروت – لبنان.

٨٥. دروس في علم الأصول الحلقة الأولى، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ)، ط١، ١٤٢١هـ، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر رحمه الله، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر رحمه الله، مؤسسة الهدى الدولية للنشر والتوزيع، قم – إيران.

٨٦. دستور الأخلاق في القرآن، محمد بن عبدالله دراز (ت١٣٧٧هـ)، ط١٠، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٨٧. دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في النهضة الحسينية، الشيخ مرتضى مطهري (ت:١٩٧٩م)، ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، مؤسسة الثقلين، دمشق – سوريا.

٨٨. دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم ، ط٤، ٢٠٠٧م، الناشر: مؤسسة شهيد المحراب، النجف الأشرف – العراق.

٨٩. الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبدالله دراز، ط١، ١٩٥٢م، دار القلم، الكويت.

٩٠. الدين والكرامة الإنسانية، الدكتور عبد الجبار الرفاعي، ط١، ٢٠٢١م، الناشر: مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

٩١. الدين والكرامة الإنسانية، الدكتور عبد الجبار الرفاعي، ط١، ٢٠٢١م، الناشر: كرمز دراسات فلسفة الدين–بغداد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

٩٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بـ الراغب الاصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، ط١، ١٤٢٨هـ، تحقيق: د. أبو زيد العجمي ودار السلام، الناشر: دار الكتب العلمية، القاهرة – مصر.

٩٣. ذكر مصطلح الوعي الوقائي والاستباقي الدكتور عبد الكريم بكار، تجديد الوعي، ط١، ٢٠١٥م، دار القلم، دمشق – سوريا.

٩٤. الرأسمالية والحرية، ميلتون فريدمان (ت: ٢٠٠٦م)، ط٥، ٢٠١٧، ترجمة: مروة عبد الفتاح شحاتة، مراجعة: حسين محمود التلاوي، الناشر: مؤسسة هنداوي، الولايات المتحدة الأمريكية.

٩٥. الرأسمالية والحرية، ميلتون فريدمان، ط١، ١٩٦٢م، ترجمة: عبد السلام شرف الدين، الناشر: جامعة شيكاغو، الولايات المتحدة.

٩٦. الرحمة الواسعة، الشيخ محمد تقي بهجت (ت:١٤٣٠هـ)، ط١، ١٤٣٧هـ، الناشر: مركز حفظ ونشر التراث، قم – إيران.

٩٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي (ت:١٢٧٠هـ)، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٩٨. رياض المسائل، السيد علي الطباطبائي، ط١، ١٤٢٢هـ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم – أيران.

٩٩. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ)، ط١، ٢٠٠٥م، ضبط: محمد عبد العزيز، دار الكتب الإسلامية، بيروت – لبنان.

١٠٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي(ت:٢٢٦٩هـ)، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الفكر، بيروت – لبنان.

١٠١. السنن الكبرى، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ)، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، إشراف: شُعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيرت – لبنان.

١٠٢. سنن النسائي، أحمد بن شعيب(ت:٣٠٣هـ)، ط٢، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لينان.

١٠٣. السنن النفسية لتطور الأمم، الدكتور غوستاف لوبون، ط٢، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م، ترجمة: عادل زعتير، دار المعارف، مصر.

١٠٤. السياسة، أرسطو (ت: ٣٢٢ق م)، ط٥، ١٩٩٧م، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة – مصر.

١٠٥. السياسة، أرسطو، ط٣، ١٩٦٣م، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة – مصر.

١٠٦. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت:١٠٨١هـ)، ط٢، ١٤٢٩هـ، تحقيق: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١٠٧. شرح أصول الكافي، صدر الدين محمد الشيرازي المشهور بـ صدر المتألهين (ت: ١٠٥٠هـ)، ط١، ٢٠٠١م، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.

١٠٨. شرح تبصرة المتعلمين، الشيخ ضياء الدين العراقي (ت:١٣٦١هـ)، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم – إيران.

١٠٩. شرح دعاء كميل، السيد حسين انصاريان، ط٣، ١٤٣١هـ، ترجمة: كمال السيد، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، قم – إيران.

١١٠. الشريعة تواكب الحياة، الشيخ حسين الخشن، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، دار الهادي ، بيروت – لبنان.

١١١. الصحاح في اللغة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت – لبنان.

١١٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)ط١، ١٩٩٠م، دار الفكر، بيروت – لبنان.

١١٣. الصلح في هدي الكتاب والسنّة، طه عابدين طه، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، الناشر: الجامعة الإسلامية، السودان.

١١٤. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الكتاني (ت:٢٣٠هـ)، ١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١١٥. طهارة الروح، الشيخ مرتضى مطهري (ت:١٣٩٩هـ)، ط١، ٢٠٠٤م، إعداد: حسين واعظي نجاد، ترجمة: خليل زامل العصامي، دار الرسول الأكرم، قم – إيران.

١١٦. ظاهرة الافتراء على الشيعة عبر التاريخ، الشيخ جعفر السبحاني، ط١، ٢٠١٠م، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، النجف الأشرف – العراق.

١١٧. العدل، السيد عبد الحسين دستغيب (ت: ١٤٠١هـ)، ط١، ١٩٩١م، ترجمة: أحمد القبانجي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، بيروت – لبنان.

١١٨. عقود المرجان في تفسير القرآن، السيد نعمة الله الجزائري (ت:١١١٢هـ)، ط٢، ١٣٢٥هـ-٢٠٠٦م، تحقيق: مؤسسة شمس الضحى الثقافية، الناشر: إحياء الكتب الإسلامية، قم – إيران.

١١٩. العقيدة من خلال الفطرة في القرآن الكريم، الشيخ جوادي آملي، بلا ط، الناشر: مؤسسة الثقلين الثقافية: دمشق – سوريا.

١٢٠. العلاقات الاجتماعية من منظور القرآن وأهل البيت عليهم السلام، الشيخ محمد عبد الحسن الكعبي، ط١، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م، الناشر: قسم الشؤون الدينية في العتبة الحسينية المقدسة، المطبعة: دار الكفيل، كربلاء المقدسّة – العراق.

١٢١. علم الاجتماع السياسي، الدكتور صادق الأسود، ط١، ١٩٧٣م، مطبعة الرشاد، بغداد – العراق.

١٢٢. علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ارسطو، ط١، ١٩٣٤م، ترجمة: أحمد لطفي السيد، دار المعارف، القاهرة – مصر: ١١، رسالة الأخلاق، السيد مجتبى الموسوي (ت:١٤٣٤هـ)، ط٦، ١٤٢٩هـ، الناشر: مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، قم – إيران.

١٢٣. علم النفس التربوي، عبد الحميد نشواني، ط١، ١٩٨٤م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان – الأردن.

١٢٤. عوالي اللئالي، في الأحاديث النبوية، محمد بن علي ابن ابي جمهور الإحسائي (ت:٨٨٠هـ)، ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، تحقيق: اغا مجتبى العراقي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، المطبعة: سيد الشهداء، قم – إيران.

١٢٥. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٤هـ)، ط١، ١٤١٤هـ، تحقيق: محمد حسن البكائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران.

١٢٦. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، لبنان – بيروت.

١٢٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، الناشر: مكتبة أهل البيت عليهم السلام، قم – إيران.

١٢٨. غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، أبو القاسم الميرزا القمي (ت:١٢٣١هـ)، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق: عباس ابريزيان، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم – إيران.

١٢٩. الفرد والمجتمع في الإسلام، سيد عبد الحميد مرسي، ط١، ١٩٨١م، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر.

١٣٠. الفروق اللغوية، أبو الحسن علي بن محمد بن هلال العسكري (ت:٤٦٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبان.

١٣١. الفروق اللغوية، أبي هلال العسكري: ٢٥٤.

١٣٢. فضائل القرآن وتلاوته، أبو الفضل هبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي المقرئ (ت:٤٥٤هـ)، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: الدكتور عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان.

١٣٣. فقه الاستنباط دراسات في مبادئ بحث الألفاظ، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، تحقيق: مركز العصر للثقافة والنشر، دار المحجة البيضاء، بيروت-لبنان.

١٣٤. فقه الأسرة، الشيخ فاضل الصفار، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، مركز الفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية، القطيف، المملكة العربية السعودية.

١٣٥. فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عرض واستدلال، الشيخ محمد جواد مغنية (ت:١٤٠٠هـ)، ط٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الناشر: مؤسسة أنصاريان، مطبعة: افق، قم – إيران.

١٣٦. فقه العقود دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والفقه الوضعي، السيد كاظم الحسيني الحائري، ط٤، ١٤٣١هـ، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، المطبعة: شريعت، قم – إيران.

١٣٧. فقه القرآن، الشيخ سعيد بن هبة الله الراوندي (ت: ٥٧٣هـ)، ط١، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، تحقيق: أحمد الحسيني، باهتمام السيد محمود المرعشي، المطبعة العلمية، قم – إيران.

١٣٨. الفقه والعقل، الشيخ أبو القاسم عليدوست، ط١، الناشر: مركز الثقافة والفكر، مطبعة اديب الفقه الجواهري، قم – إيران.

١٣٩. الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية، محمد المبارك، ط٢، ١٩٧٠م، دار الفكر ، بيروت – لبنان.

١٤٠. فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، عبد الجواد السبد بكر، ط١/ ١٩٨٣م، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.

١٤١. فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين، ط١، ١٩٨٠م، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان.

١٤٢. فلسفة الحضارة، ألبرت شفيتسر، ط٢، ١٩٨٠م، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، بيرت – لبنان.

١٤٣. الفلسفة اليونانية، علي سامي النشار، ط١، ١٩٨٠م، دار المعارف، القاهرة – مصر.

١٤٤. الفهم الاجتماعي للنص الشرعي عند الشيخ محمد جواد مغنية، حيدر نجم عبود، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، الناشر: مركز عين للدراسات والبحوث، دار القارئ، بيروت – لبنان.

١٤٥. في رحاب القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، ط٢، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، كربلاء المقدسة – العراق.

١٤٦. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت:١٩٦٦م)، ط١، ١٩٨٧م، دار الشروق، القاهرة – مصر.

١٤٧. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ)، ط٢، ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

١٤٨. قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، ط١، ١٩٩٥م، دار المعرفة الجامعية.

١٤٩. القانون الدولي العام، ماهر ملندي، ماجد الحموي، ط١، ٢٠١٨م، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، دمشق – سوريا.

١٥٠. قانون حمورابي والتشريع في بابل القديمة، كينيث مونرو، ط١، ١٩٦٨م، مطبعة جامعة شيكاغو، شيكاغو – الولايات المتحدة.

١٥١. قراءات دينية في قضايا معاصرة، حسان محمود عبدالله، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، الناشر: دار الهادي، بيروت – لبنان.

١٥٢. قصة الحضارة: قيصر والمسيح، ويل دورانت، ط١، ٢٠٠١م، ترجمة: زكي نجيب محمود، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر.

١٥٣. قوانين حمورابي، أحمد كمال زكي، ط١، ١٩٧٢م، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القهرة – مصر.

١٥٤. القول السديد في شرح التجريد، السيد محمد الحسيني الشيرازي (ت:١٤٢٢هـ)، ط١، ١٣٦٨هـ، الناشر: دار الإيمان، قم – إيران.

١٥٥. كامل البهائي في السقيفة، عماد الدين حسن بن علي الطبري (ت: بعد ٦٩٨هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ، مكتبة الحيدرية، قم المشرفة – إيران.

١٥٦. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، ط١، ١٩٩٦م، تحقيق: د. علي دحروج، تقديم: د. رفيق العجم، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت – لبنان.

١٥٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مطبعة العبيكان، الرياض – السعودية.

١٥٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، ط١، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

١٥٩. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (ت:٦٧٢هـ)، شرح: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر المشهور بالعلامة الحلي (ت:٧٢٦هـ)، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

١٦٠. كلمة حول فلسفة الأخلاق، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي (ت:١٤٤٢هـ)، ط١، الناشر: مؤسسة في طريق الحق، قم – إيران.

١٦١. كيف نبني حضارتنا الإسلامية، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط٤، ١٤٣٦هـ، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، طهران – إيران.

١٦٢. اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت:٧٧٥هـ)، ط١، ١٤١٩هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٦٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت:٧١١هـ)، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ت: عامر أحمد، بيروت – لبنان.

١٦٤. ماعت فلسفة العدالة في مصر القديمة، أنَّا مانسيني، ط١، ٢٠٠٩م، ترجمة: محمد رفعت عواد، مراجعة: جيهان زكي، تقديم: علي رضوان، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القهرة – مصر.

١٦٥. مبادئ الاقتصاد الكلي، بلانشارد أوليفييه، ط١، ٢٠١٤م، ترجمة علي خليل، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان.

١٦٦. المبادئ التربوية في القرآن الكريم، آراس محمد صالح، الناشر: مجلة آداب الرافين، كلية الآداب–جامعة الموصل، المجلد: ٢٠١٠ العدد: ٥٧، الموصل–العراق.

١٦٧. مبادئ علم الاجتماع، فادية عمر الجولاني، ط١، ١٩٩٥م، الناشر: دار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

١٦٨. متخب ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط٧، ١٤٣٠هـ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم – إيران.

١٦٩. المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم ، محمد نجيب أحمد مصطفى أبو عجوة، ط١، ١٩٩٩م، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة – مصر.

١٧٠. المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، ط١، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، دار الأرق، الكويت.

١٧١. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت:١٠٨٥هـ)، ط١، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م، تحقيق: أحمد الحسيني، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.

١٧٢. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي(ت:١٠٨٥هـ)، ط٢، ١٣٦٥هـ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة المرتضوي، طهران – إيران.

١٧٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت:٥٤٨هـ)، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار العلوم، بيروت - لبنان.

١٧٤. محاضرات في أصول الفقه، السيد أبو القاسم الخوئي (ت:١٤١٣هـ)، تقرير الشيخ محمد إسحاق الفياض، لا ط، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

١٧٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن الأندلسي (ت:٥٤٦هـ)، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٧٦. المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ)، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، مؤسسة الثقلين الثقافية، سوريا - دمشق.

١٧٧. المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار محبي الحسين عليه السلام، طهران - إيران.

١٧٨. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت:١٣٢٠هـ)، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، النشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران.

١٧٩. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت:١٤٠٥هـ)، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - إيران.

١٨٠. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ)، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

١٨١. مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري (ت:٢٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٨٢. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي(ت:٣٠٧هـ)، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق – سوريا.

١٨٣. مسند أحمد، أحمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، ط١، ١٣١٨هـ، دار صادر، بيروت – لبنان.

١٨٤. المسؤولية الاجتماعية: نظرية الممارسات والتطبيقات، مركز الفكر الاقتصادي، ط١، ١٩٩١م، الناشر: دار الساقي، بيروت – لبنان.

١٨٥. المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري، السيد هاشم معروف الحسني، ط٢، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان.

١٨٦. المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، أحمد بن عبد العزيز الحليبي، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٤م، مكتبة الرشد، الرياض – السعودية.

١٨٧. المسؤوليّة بين الإسلام والفلسفات، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٤٦هـ–٢٠٢٥م، إعداد: الشيخ مجتبى المطري، تحقيق: مركز القرآن يهدي للدراسات القرآنية، دار طريق الهدى، قم – إيران.

١٨٨. المصباح، إبراهيم بن علي العامل الكفعمي (ت:٩٠٥هـ)، ط١، ٢٠٢٠م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان.

١٨٩. المصنف، لابن أبي شيبة الكوفي(ت:٢٣٥هـ)، ط١، ١٤٠٩هـ، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت – لبنان.

١٩٠. مطارحات في العقيدة المعاد رؤية قرآنية، السيد كمال الحيدري، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م، الناشر: مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، بغداد–العراق.

١٩١. المعالم الجديدة للأصول، السيد محمد باقر الصدر (ت:١٤٠٠هـ)، ط٣، ١٤٢٩هـ، إعداد: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الصدر، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، المطبعة: الشريعة، قم – إيران.

١٩٢. معالم الحضارة الإسلامية آفاق وتطلعات، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٢٤هـ_٢٠٠٣م، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، طهران – إيران.

١٩٣. معالم المجتمع المدني في الفكر الإسلامي، السيد مرتضى الشيرازي، تقرير: د. هيثم الحلي، ط٢، ١٤٣٩هـ، مؤسسة التقى الثقافية، النجف الأشرف – العراق.

١٩٤. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض، أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة – مصر.

١٩٥. المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت – لبنان

١٩٦. المعجم الفلسفي، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١، ١٩٧٩م، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة – مصر.

١٩٧. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، ط١، ١٩٨٢م، الناشر: دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت – لبنان.

١٩٨. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت:٣٦٠هـ)، ط٢، دار احياء التراث العربي، القاهرة – مصر.

١٩٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت:١٤٢٤هـ)، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الناشر: دار الكتب العلمية، القاهرة – مصر.

٢٠٠. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

٢٠١. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة – مصر.

٢٠٢. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت:٣٩٥هـ)،ط٢، ١٤٠٤هـ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم – إيران.

٢٠٣. معرفة الدين، الشيخ عبد الله الجوادي الآملي، ط١، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م، تعريب: هاشم الميلاني، الناشر: مركز الدراسات الاستراتيجية في العتبة العباسية المقدسة، النجف الأشرف – العراق.

٢٠٤. مفاتيح الغيب، محمد بن الحسن بن الحسين التيمي البكري المعروف ب فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، ط٣، ١٤٢٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٢٠٥. مفاهيم القرآن، الشيخ السبحاني، ط١، ١٤٣١هـ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان.

٢٠٦. مفتاح الوصول إلى علم الأصول، الشيخ الدكتور أحمد كاظم البهادلي (ت:١٣٩٠هـ)، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان.

٢٠٧. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بـ الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، ط١، ١٤٣٠هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي وإبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢٠٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كَيلاني، بيروت – لبنان: ص٢٥٠.

٢٠٩. مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، نايف بن حامد الشريف، ط١، ١٤٢٠هـ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة.

٢١٠. مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دوني كوش، ط١، ترجمة: قاسم مقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا.

٢١١. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت:٣٩٥هـ)، ط١، ١٩٩١م، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان: ٣٨٦/٣.

٢١٢. مقدمة أصول الدين، الشيخ حسين الوحيد الخراساني، ط١، ١٤٢٥هـ، مطبعة: فقاهت، قم – إيران.

٢١٣. المقنعة، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المشهور بالمفيد، (ت:٤١٣هـ)، ط٢، ١٢٧٤هـ، الناشر: دار المفيد، بيروت – لبنان.

٢١٤. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بـ الشيخ الصدوق (ت:٣٨١هـ)، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم – إيران.

٢١٥. من نور القرآن، الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)، ط٤، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م، دار الصادقين للطاعة والنشر، العراق – النجف الأشرف.

٢١٦. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط٢، ٢٠٠٨م، إخراج وتنسيق: زكي حسن أحمد، الناشر: دار القارئ، بيروت – لبنان.

٢١٧. من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله (ت:١٤٣١هـ)، ط٣، ٢٠١٨م، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

٢١٨. مناهج الأنظمة الاجتماعية في رحاب أهل البيت دراسة مقارنة، الشيخ باقر شريف القرشي (ت:١٤٣٣هـ)، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، الناشر: الرافد، المطبعة: ستارة، قم – إيران.

٢١٩. المنجز الحضاري الاجتماعي للنبي ودوره الإنساني، موفق هاشم عبيد، ط١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء – العراق.

٢٢٠. منهج الإسلام في تزكية النفس، الدكتور أحمد كرزون، ط٤، ٢٠٠٧م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، جدة – السعودية.

٢٢١. مواعظ أخلاقية، السيد عبد الحسين دستغيب (ت:١٤٠١هـ)، ط١، ٢٠١٤م، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٢٢٢. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري (ت: ١٤١٤هـ)، ط٥، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، المطلعة: نكَين، قم – إيران.

٢٢٣. موجز في أصول الدين ، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠هـ)، ط١، ١٩٩٤م، تحقيق ودراسة: عبد الجبار الرفاعي، الناشر: رابطة أهل البيت عليهم السلام الإسلامية العالمية، قم – إيران.

٢٢٤. موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي

٢٢٥. موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ط١، ١٩٨٤م، وكالة المطبوعات، الكويت.

٢٢٦. موسوعة معارف الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، المطبعة: دار الحديث، بيروت – لبنان.

٢٢٧. موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، إشراف: صالح بن عبدالله بن حميد، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، دار اللؤلؤة، المنصورة – مصر.

٢٢٨. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الحديث، قم – إيران.

٢٢٩. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، ط٢، ١٩٧٣م، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم – إيران.

٢٣٠. النبوة في القرآن، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ط١، ١٤٢٦هـ، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، الناشر: فقاهت، المطبعة: افق، قم – إيران.

٢٣١. نضد القواعد الفقهية، الفاضل محمد بن الحسين بن محمد الأسدي المقداد السيوري الحلي، ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة آية الله المرعشي، قم – إيران.

٢٣٢. نظام الإسلام، تقي الدين النبهاني (ت:١٣٩٧هـ)، ط١، ١٣٧١هـ-١٩٥٣م، بيروت – لبنان.

٢٣٣. نظرات معاصرة في القرآن الكريم، الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط١، ٢٠١٨م، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان.

٢٣٤. نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، محمد الغزالي (ت:١٩٩٦هـ)، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، جدة – السعودية.

٢٣٥. النكت الاعتقادية، محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ، تحقيق: رضا المختاري، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة: مهر، قم – إيران.

٢٣٦. نهج البلاغة، الإمام علي بن ابي طالب عليهما السلام، شرح علي محمد علي دخيل، ط١، ٢٠١٩م، مطبعة الاعلم، بيروت–لبنان.

٢٣٧. نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي (ت:٤١١هـ)، ط١، ١٤٢٧هـ، تحقيق: الشيخ باسم محمد الأسدي، مطبعة: نكَارش، مكتبة العلامة المجلسي، قم – إيران.

٢٣٨. الواجبات، ماركوس توليوس شيشرون، ط٢، ٢٠٠٥م، ترجمة: عادل مصطفى، دار التنوير، القاهرة – مصر.

٢٣٩. الوجيز في الفقه الإسلامي، السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، الناشر: دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.

٢٤٠. وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت:١١٠٤هـ).

٢٤١. الوعي والإدراك، حسن علي الجوادي، ط٤، ١٤٤٥هـ، تدقيق: مصطفى كامل محمود، المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر، الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة - العراق.

Abstract

This dissertation examines the concept of social responsibility in the Holy Quran in terms of its foundations, dimensions, regulations, and conditions, in addition to studying its various applications. The study aims to analyze the relevant Quran verses and clarify the impact of adhering to this responsibility in building a cohesive and stable society. The introductory chapter, "The Conceptual Framework and Historical Development of Social Responsibility," reviews the fundamental concepts related to the topic, discussing: the definition of social responsibility both linguistically and terminologically based on linguistic and religious sources, the Quran framework of social responsibility by outlining the Quran principles that govern this concept, and the historical trajectory of social responsibility, tracing its development across different civilizations with a particular focus on the Islamic experience. The first chapter, "The Dialectic of the Individual and Society: Dimensions and Regulations," explores various aspects of social responsibility, including: the primacy of the individual or society, the social dimensions—spiritual, ethical, and universal—and the Quran regulations of social responsibility, such as adherence to justice, along with religious, moral, customary, and legal guidelines. The second chapter discusses "Origins, Pillars, and Conditions," focusing on the foundations upon which social responsibility in the Quran is built. This includes: the Quran origins of social responsibility, such as reason, human nature (fitrah), and religion. The chapter also identifies the pillars of social responsibility: the inquirer, the responsible party, and the subject of responsibility, while clarifying the necessary conditions for achieving social responsibility. The third chapter addresses "Applications of Social Responsibility in the Holy Quran and Its Impact on Building Islamic Society." The findings and recommendations emphasize that social responsibility in the Quran is not merely an ethical

principle but a divine legislation aimed at achieving balance and stability in society. Adhering to Quran principles of social responsibility contributes to reducing class disparities, achieving justice, and fostering sustainable development. It is crucial to reinforce Quran values of social responsibility in educational curricula and religious discourse, and there is an urgent need to activate legislation inspired by the Quran to promote social solidarity and combat negative phenomena in contemporary societies. The conclusion reaffirms that social responsibility, as presented in the Quran, constitutes a comprehensive approach to building a just and balanced society. Its application in contemporary reality can significantly contribute to achieving development and social stability.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala / College of Islamic Sciences

Department of Quranic Studies and Jurisprudence

Social Responsibility in the Holy Quran and Its Impact on Building Society – A Thematic Study

A dissertation submitted to the College of Islamic Sciences / University of Kerbala as part of the requirements for obtaining a Doctorate in Philosophy of Sharia and Islamic Sciences

Submitted by:

Haider Najm Aboud Kazem

Supervised by:

Prof. Dr. Hameed Jasim Aboud Al-Ghurabi

Asst. Prof. Dr. Hassan Mohammed Kazem Al-Judhaili

1446 AH **2025 AD**